اللغة واللون

الدكتور
أحمد مختار عمر
الأستاذ بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة





اللغة واللون

الطبعة الأولى ١٩٨٢

الطبعة الثانية ١٩٩٧

عالم الكتب للنشر والتوزيع - القاهرة

الإدارة : ١٦ شارع جواد حسني - ت : ٣٩٢٤٦٢٦ - فاكس ٣٩٣٩٠٢٧

المكتبة : ٣٨ شارع عبد الخالق ثروت - ت : ٣٩٢٦٤٠١

المحتويات

الباب الأول : الالفاظ

المصادر والمراجع

الفهارس التحليلية

المقدمة

اللون جزء من العالم المحيط بنا . وهو يلازمنا في حياتنا ، ويدخل في كل ما حولنا . ونحن ننفق على النواحي الجمالية ـ سواء في أنفسنا أو داخل بيوتنا أو خارجها ـ أضعاف أضعاف ما ننفقه على شؤون المعاش الضرورية . ولا شك أن اللون يبرز كواحد من أهم عناصر الجمال التي نهتم بها ، ونستعين بآراء المتخصصين والخبراء لتحقيقها .

وعلى الرغم من أن الحياة من حولنا تزخر بألوانها الطبيعية المتنوعة والمتناسقة ـ سواء في طيورها وحيواناتها أو أزهارها ونباتاتها أو فيما يكتسبه الأفق من ألوان خلال دورة الحياة اليومية ـ فإن الإنسان لم يقنع بهذه الحياة الملونة الطبيعية وأضاف إليها من فنه وعلمه آلافا مؤلفة من الألوان والتركيبات اللونية ، وأدخل اللون الصناعي في كل شيء حوله حتى كادت الحياة غير الملونة (أبيض وأسود) تختفي من حياتنا ، وإذا صادفتنا نملها وننفر منها . وبعد تسخير اللون لغايات منفعية ، ولتسيير شؤون الحياة وتيسيرها لم يعد من الممكن الآن حتى لو نحينا عامل الجمال جانبا أن نتصور عالمنا الحديث بدون ألوان .

ومن أجل هذا كان موضوع الألوان محل اهتمام الكثيرين على اختلاف ثقافاتهم ، وتنوع اهتماماتهم ، وكان التأليف فيه متعدد الاتجاه ؛ نظرا لاتساع مجاله ووقوعه في دائرة اهتمام الفنان والكيميائي وعالم اللغة والنفس والطبيعة

ووظائف الأعضاء وغيرها . ولا نتصور إمكانية إصدار كتاب يفيد الجميع ، ويعالج اللون من جميع جوانبه ، ويملأ الفجوة في التقاء كل هذه الفروع السابق الإشارة إليها وغيرها . ونحن بدورنا لم نضع نصب أعيننا ونحن نؤلف هذا الكتاب هدفا طموحا كهذا ؛ لأنه فوق طاقتنا من ناحية ، ولأنه يحتاج إلى تعاون عدد من الباحثين في تخصصات مختلفة من ناحية ثانية ، ولأنه سيكون عملا ضخما يحتاج إلى عدة مجلدات تكون أشبه بدائرة معارف من ناحية ثالثة .

ولا يبقى أخيرا إلا أن نقول إن مثل هذا النوع من الكتب الشاملة تفتقر إليه المكتبة العربية ؛ إذ لا يكاد يوجد فيها دراسة واحدة تجمع اللغة واللون معاً في كتاب واحد ، وتتناول كثيرا من قضايا اللون من جانبيها اللفظي واللوني بصورة لا ترهق غير المتخصص في العلوم ، وتخاطب المثقف العام دون خوض في التفصيلات ، وتربط العلم بالفن ، وتتخطى ما يسمى بالإنسانيات والعلوم لتخرج كل هذا في عمل متكامل متناسق .

ولا ندعي أننا عالجنا في هذا الكتاب جميع قضايا اللغة واللون ، فما زال هناك الكثير في حاجة الى بحث ، وما تزال الدراسة التطبيقية لاستخدامات الألوان في التراث العربي لم تمس بعد ، وهو ما نعتزم إنجازه في القريب بإذن الله .

وقد رأينا أن نقسم الكتاب إلى بابين رئيسيين يتناول أولهما موضوع الألفاظ ، ويتناول ثانيهما موضوع الألوان ، وإن وجد تداخل في بعض المباحث بشكل جعل من الصعب فصل اللفظ عن اللون .

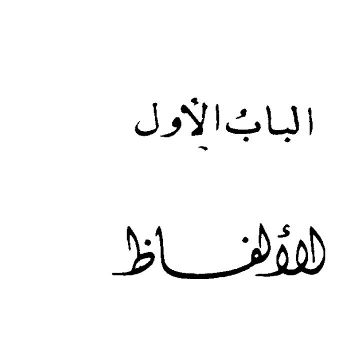
وقسمنا باب الألفاظ الى الفصول الآتية :

الفصل الأول : تسمية الألوان عبر التاريخ .
الفصل الثاني : الألفاظ الأساسية للألوان .
الفصل الثالث : الألفاظ الثانوية للألوان .
الفصل الرابع : الألفاظ الشائعة للألوان .

الفصل الخامس : التصرف في ألفاظ الألوان .
الفصل السادس : ألفاظ الألوان والتعبيرات اللغوية .
الفصل السابع : ألفاظ الألوان والمصادر الطبيعية

كما قسمنا باب الألوان إلى الفصول الآتية :
الفصل الأول : تمييز الألوان .
الفصل الثاني : المعايير القياسية للألوان
الفصل الثالث : الألوان والجمال
الفصل الرابع : الألوان والمنفعة
الفصل الخامس : الألوان والمعتقدات
الفصل السادس : الألوان والأصوات
الفصل السابع : الألوان والتحليل النفسي

والله الموفق .



الباب الأول

الألفاظ



الفصل الأول

تسمية الألوان عبر التاريخ

تعد تسمية الألوان مرحلة تالية لتمييز الألوان والتعرف عليها . ومن الممكن أن يوجد التمييز دون أن توجد التسمية . ومن المعقول أن يكون الإنسان الأول قد تنبه إلى ما بين الألوان من فروق ، وربط بعض الألوان ببعض مشاهداته الطبيعية ، فميز لون النبات وهو أخضر عن لونه وهو أصفر ، وميز لون السماء عن لون الرمال ، ولون الماء عن لون الدم ، وتنبه إلى لون الشمس ساعة الغروب ، ولفت نظره تعدد ألوان النباتات والزهور . ولكنه ربما لم يتنبه إلى اللون كتصور مستقل إلا بعد أن استخدمه في الزخرفة أو لأغراض دينية ؛ لأن التنبه للون كهوية مستقلة لا بد أن يسبق التسمية[١] .

وقد ثبت أن استخدام الألوان في الرسم يمتد من ١٥٠ ألف سنة إلى ٢٠٠ ألف سنة مضت . وقد عثر في أسبانيا على رسوم في حوائط بعض الكهوف تمثل بعض الحيوانات في ألوان حمراء وسوداء وصفراء ترجع الى هذه الفترة السحيقة . ودفن إنسان العصر الجليدي موتاه في لون

---

(١) مما يدل على ان مرحلة التجريد متأخرة أن كثيرا من ألفاظ الألوان عند الشعوب البدائية تؤخذ من أسماء الأشياء المتصفة بها . ففي السنسكريتية القديمة مثلا كلمة rudhira تعني دم . وقد ظهر الجزء الأول من الكلمة في الإغريقية واللاتينية بمعنى أحمر . كما ظهر في كلمة red الموجودة في لغات حديثة كثيرة مثل الألمانية rotوالدانمركية rod . وعند الإسكيمو الكلمة الدالة على الأحمر مأخوذة من الكلمة الدالة على الدم . (Methuen Handbook of Colour ص ١٣٧) .

أصفر محمرّ ، ودهن عظامهم بلون أحمر . ولعله استمد ذلك من ملاحظة أن تدفق الدم الأحمر في الجسم يعني الفرق بين الحياة والموت ، فاعتقد أن اللون الأحمر ربما منح الحياة للجسد الفاني[1] .

كذلك تؤيد دراسة أثر السنّ في تمييز الألوان فكرة البدء بتمييز اللون قبل إطلاق اسم عليه . فقد ثبت أن اللون يخطف بصر الطفل وهو في أيامه الأولى ، وأنه ينادي عينه قبل أن ينادي لسانه أو عقله ، وأن مرحلة التسمية عند الطفل لا تبدأ إلا مع بداية الكلام ، ونمو جسمه وفكره .

وتختلف آراء العلماء حول بدايات تسمية الألوان وتطورها ، وحول تقسيم مجموعة الطيف عند الشعوب المختلفة ما بين مؤمن بالعشوائية المطلقة ، ومنادٍ بوجود نوع من المنطقية ، أو بوجود نوع من التتابع التاريخي ، أو التسلسل الزمني العام .

ويمكن تلخيص آرائهم فيما يأتي :

الرأي الأول ، وهو الذي ساد لمدة طويلة في القديم ـ ويكاد يهجر الآن ـ وهو الذي ينكر وجود أي تتابع عام تسير فيه اللغات ، ويرى أن اللغات تقسم مجموعة الطيف عشوائيا . ولهذا فمن المتصور عند أصحاب هذا الرأي أن تملك بعض اللغات مصطلحا يشمل اللونين الأحمر والأزرق مثلا (لم تثبت الدراسة المكثفة الحديثة لحقل الألوان وجود مثل هذا المصطلح في أي لغة من لغات العالم) . وتصنيف الألوان وتسميتها ـ على هذا الرأي ـ عملية لغوية صرف[2] .

الرأي الثاني ، وهو يتفق مع الرأي الأول في نفيه لوجود تتابع عام معين تسير فيه اللغات ، ولكنه يخضع وجود اللفظ أو عدم وجوده للأهمية الوظيفية

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

(٢) On the Internal Structure ص ١١٤ ؛ Psychology and Language ص ٥٢٤ .

للون ، والحاجة إلى استعماله . وهذا يتوقف على نوع البيئة ، والموجودات الطبيعية فيها من ناحية[1] ، وعلى عامل الثقافة والتقدم الحضاري من ناحية أخرى[2] .

أما الرأي الثالث فهو السائد الآن ، وهو يرى أن تصنيف الألوان وتسميتها قام - منذ قام - على أساس من نظام الإدراك الحسي البشري ، وفسيولوجية رؤية الألوان[3] . ولذلك فهو أبعد ما يكون عن العشوائية، وأقرب ما يكون إلى العالمية .

ويتصور أصحاب هذا الرأي الألوان كشريط متصل متدرج يبدأ بالألوان ذات الموجات العالية (الأحمر) ، ويتدرج في الهبوط حتى يصل إلى الألوان ذات الموجات المنخفضة (الأزرق) ، وأن التدرج يمر بنقاط يصعب على العين تمييزها عما قبلها وما بعدها ، تسمى الألوان الانتقالية ، ولـذا يتخطاها[4] ، وبنقاط أخرى بارزة يمكن للعين بسهولة أن تقف عندها

---

(١) البيئة الصحراوية مثلا تتنبه للون الأصفر قبل الأخضر ، والبيئة الزراعية تتنبه للأخضر أولا . والمجتمعات القريبة من خط الاستواء - كما يقول Van Wijk تملك معجما لونيا يعتمد على صفة البريق واللمعان في حين أن المجتمعات القطبية أو القريبة منها تركز على أصل اللون (Basic Color Terms ص ١٤٩) .

(٢) السابق ص ١٦ ؛ Colour and Colour Terminology ص ٢١ ، ٢٢ ؛ Adjectives of Color ص ٤٧٨ ؛ Gleason : An Introduction ص ٤ ؛ A linguistic Approach ص ٢٧٦ ؛ Semantic Fields ص ١٥٢ . وقد ثبت أن كل اللغات التي يتصف أصحابها بتقدم صناعي في . كل المجالات يكون معجمها اللوني أكثر تقدما . وكل اللغات التي يتصف أصحابها بالبدائية أو بالتقدم المحدود أو بالعزلة يكون معجمها اللوني محدودا . وعدد أسماء الألوان في أي لغة يتناسب طرديا مع درجة الرقي التكنولوجي والتقدم الثقافي (Miwok Color Terms ص ١) .

(٣) On the Internal Structure ص ١١٢ .

(٤) ثبت بالتجربة أن المتكلمين بلغات مختلفة يختلفون على رسم الحدود لهذه الألوان . بل إن متكلمي اللغة الواحدة يختلفون فيها ، وأكثر من هذا فالمتكلم الواحد يختلف مع نفسه حين يتم اختباره في أوقات مختلفة (Semantic Fields ص ١٥٣) . وخير مثال لهذه الألوان الانتقالية : البرتقالي ، والأخضر المزرق ، والبنفسجي (Colour and Colour Terminology . ص ٢١) .

وتميزها ، ولذا يقف عندها لتسميتها . وهذه الألوان البارزة[١] - إلى جانب الأسود والأبيض اللذين يعد أولهما انعدام اللون وثانيهما جماع الألوان - هي : الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . وبعد هذا حين ترهف حاسة البصر وتدق يمكن أن تميز درجات أخرى من الألوان تقع في مواقع متوسطة أو متطرفة . وحتى يمكن إيجاد اتصال باللون ، ويتمكن الإنسان من التفكير فيه فلا بد أن يوضع له لفظ دال عليه ، وبشكل يفهمه الآخرون .

وتحت هذا الرأي وجدت وجهات نظر متعددة ، سنكتفي بعرض أهمها حسب تسلسلها التاريخي :

١ - كان LazarusGeiger أول من قال بوجود تتابع عالمي في اكتساب الألفاظ الأساسية للألوان . فقد ألقى محاضرة عام ١٨٦٧ بدأها قائلا : هل أجهزة الإنسان تقوم بوظائفها منذ آلاف السنين بنفس الصورة التي تقوم بها الآن ، أو أنها كانت في فترة سحيقة عاجزة عن أداء بعض وظائفها الحاضرة ؟ وانتهى إلى أن « حاسة اللون عند الإنسان لا يمكن أن تكون قد بدأت بنفس الدقة التي نراها عليها الآن » وذلك بعد قيامه بدراسة فيلولوجية للآداب الإغريقية والفارسية والهندية القديمة .

واستنتج Geiger أن الإنسان صار واعيا بالألوان بنفس الترتيب الذي تظهر فيه في مجموعة الطيف بادئا بالألوان ذات الموجات الطولى . . ومعنى هذا أن الإحساس بالأصفر تولد قبل الإحساس بالأخضر . لكنه لاحظ أن الاعتراف بالألوان المحايدة ظهر مبكرا . ولاحظ كذلك أن اللغة لا تعترف بالفكرة القائلة إن الأسود ليس لونا . وقد اعتبره أكثر الألوان تضادا - في الزمان المبكر - للأحمر .

وقد افترض Geiger ست فترات على الأقل لتطور مفردات الألوان :

---

(١) قد يطلق عليها أحياناً اسم الألوان أو النقاط البؤرية (focal colours (points ، ويعرّف اللون البؤري بأنه أفضل نموذج لتمثيل اللون .

أ ـ أبكر فترة تصور فيها الإنسان لونا واحدا هو الأحمر مندمجا في الأسود .
ب ـ وفي المرحلة الثانية تم التمييز بين الأسود والأحمر كلونين منفصلين .
وهذه المرحلة تمثل أول مرحلة للتمييز بين الألوان .
جـ ـ وفي المرحلة الثالثة أضيف الأصفر .

وقد أقام الانسان تعرفه الثلاثي للألوان على احساساته بالليل والفجر والشمس . واعترف Geiger ان الأصفر في تلك المرحلة كان يضم الواناً اخرى منها الأخضر ، وان الأحمر كان يشمل الأبيض كذلك .
د ـ وفي المرحلة الرابعة ظهر الأبيض .

وهذه الألوان الأربعة هي التي اعترف بها كل من Democritus وPythagoreans ، وكانت الألوان التي استخدمها الرسامون حتى عهد الاسكندر الأكبر .

هـ ـ وفي المرحلة الخامسة ظهر لفظ الأخضر ، بعد أن كان متضمنا في الأصفر .
و ـ أما آخر الألفاظ انبثاقا فهو الأزرق . وقد كان فيما مضى إما مندمجا في لفظ الأخضر ، أو في لفظ الأسود .

٢ ـ وفي عام ١٨٧٧ نشر Hugo Magnus بحثا وافق فيه Geiger في القول « بالنظرية التطورية » ، وبتفسير ترتيب التطور على أساس من تطور الإدراك الحسي للألوان . ثم عدل عن رأيه في هذا التفسير عام ١٨٨٠ حين قرر أن زيادة نمو المفردات لا يعكس بالضرورة تغيرات في القدرة التمييزية للألوان ، وأن كلا من قدرات الإدراك الحسي وسلوك التسمية يمكن أن يتغير ويتطور مستقلا عن الآخر .

وقد بنى رأيه الأخير على تجارب وملاحظات أجراها على عدد من الشعوب البدائية تبلغ خمس عشرة مجموعة في أمريكا الشمالية ، وواحدة في أمريكا الجنوبية ، وخمسا وعشرين في أفريقيا ، وخمس عشرة في آسيا ،

وثلاثا في أستراليا ، واثنتين في أوربا . وانتهى من أبحاثه إلى القول بأن « مجال الإحساس بالألوان عند الشعوب البدائية موجود داخل نفس الحدود التي توجد عند الشعوب المتحضرة . ولم يثبت وجود اي نقص ملحوظ في إدراك الألوان الأساسية عند أي قبيلة من القبائل التي فحصناها » . ثم مضى قائلا : « إننا نعتبر الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق الممثلات الرئيسية للألوان ذات الموجات الطويلة والقصيرة . ولم نجد أي قبيلة من القبائل التي درسناها عاجزة عن التمييز بين هذه الألوان الأربعة » .

وتوصل Magnus إلى عدد آخر من النتائج منه :

أ ـ أن الفاظ الألوان الطويلة الموجة تكون عادة أكثر دقة من القصيرتها .

ب ـ أن أسبق الألفاظ ظهورا : الأحمر ، يليه الأصفر ، فالأخضر ، وأخيرا الأزرق .

جـ ـ أن تداخل ألفاظ الألوان يحدث عادة بين الألوان المتجاورة في « مجموعة الطيف » مثل الأحمر مع البرتقالي أو الأصفر ، ومثل الأصفر مع الأخضر ، ومثل الأخضر مع الأزرق ، وأكثر أمثلة التداخل وقع بين الأخيرين . أما التداخل بين الألوان المتباعدة (مثل الأحمر مع الأزرق) فلم يجد مثالا واقعيا له .

د ـ أن اللون البرتقالي ـ رغم أنه ذو موجة طويلة ـ كان كثيراً ما يدمج في الأحمر أو الأصفر ؛ لأنه يمثل نقطة انتقال بين الأحمر والأصفر . وحتى بعد تمييزه في مرحلة تالية كان اللفظ الذي يدل عليه هو لفظ الأحمر أو الأصفر مع ذكر محدِّد وصفي .

٣ ـ وختم القرن التاسع عشر بآراء W. H. Rivers في هذا الميدان ، وقد نشر تلخيص لها عام ١٩٠١ . وقد بنى Rivers آراءه على دراسته للغات كثير من القبائل البدائية ، وحدد تصوره لمراحل التطور على أساس من المستوى الثقافي والعقلي للجماعات المدروسة .

وقد حصر Rivers مراحل التطور في أربعة على النحو التالي :

المرحلة الأولى : وكانت تحوي ثلاثة ألفاظ هي :

أ - لفظ يدل على الأسود والأزرق والنيلي والبنفسجي .

ب - لفظ يدل على الأبيض والأصفر والأخضر .

جـ - لفظ يدل على الأحمر والأرجواني والبرتقالي .

ويمثل هذه المرحلة بعض القبائل الاسترالية في منطقة الأنهار السبعة .

المرحلة الثانية : وقد أضافت إلى الأولى لفظا للأصفر . وتمثلها جماعة أكثر تقدما تعيش في جزيرة Kiwai عند مصب نهر Fly .

المرحلة الثالثة : وهي أكثر تقدما من السابقة ، وقد وجدها في جزيرة Murray وتحوي خمسة ألفاظ هي : أسود وأبيض وأحمر وأصفر وأخضر . كما وجد فيها لفظا مقترضا يدل على الأزرق .

المرحلة الرابعة : وهي آخر المراحل ، وتحوي ستة ألفاظ بزيادة لفظ للأزرق وقد وجدها في جزيرة Mabuiag . وقد لاحظ Rivers أن الأزرق بالذات كان موضع خلط أكثر من غيره ، فكان بعضهم يخلط بينه وبين الأخضر ، وبعضهم بينه وبين البنفسجي ، وبعضهم بينه وبين الأسود[١] .

٤ - وقد ختمت نظرية التتابع العالمي بدخول العالمين الأنثروبولوجيين Berlin وKay حلبة المناقشة وإخراجهما كتابهما الفذ Basic Color Terms عام **١٩٦٩** . وقد أعطى بحثهما قيمة كبيرة اعتماده على مقارنات ودراسات قاما بها على عشرين لغة[٢] ، بالإضافة إلى نماذج ودراسات تمت على لغات أخرى يبلغ عددها ثماني وسبعين لغة ، فيكون المجموع ثماني وتسعين لغة . وتمت الدراسة باستخدام **٣٢٩** نموذجا لونيا .

---

(١) انظر في الآراء الثلاثة السابقة Basic Color Terms ص ١٣٥ - ١٤٨ .

(٢) قائمة بهذه اللغات في المرجع السابق ص ٧ .

وأهم النتائج التي توصل إليها هذان العالمان :

أولا : أن تصنيف الألوان ليس عشوائيا ، وأن قائمة الألفاظ الأساسية[1] متشابهة في كل اللغات . والإحصاء التالي لعدد اللغات التي استعملت ألفاظ الألوان (من بين اللغات العشرين المدروسة) يكشف عن ذلك :

اللون	عدد اللغات التي تضع لفظا له	النسبة المئوية
الأبيض	٢٠	٪١٠٠
الأسود	٢٠	٪١٠٠
الأحمر	٢٠	٪١٠٠
الأخضر	١٩	٪٩٥
الأصفر	١٨	٪٩٠
الأزرق	١٦	٪٨٠
البني	١٥	٪٧٥
الأرجواني	١٥	٪٧٥
الرمادي	١٤	٪٧٠
الوردي	١٣	٪٦٥
البرتقالي	١١	٪٥٥

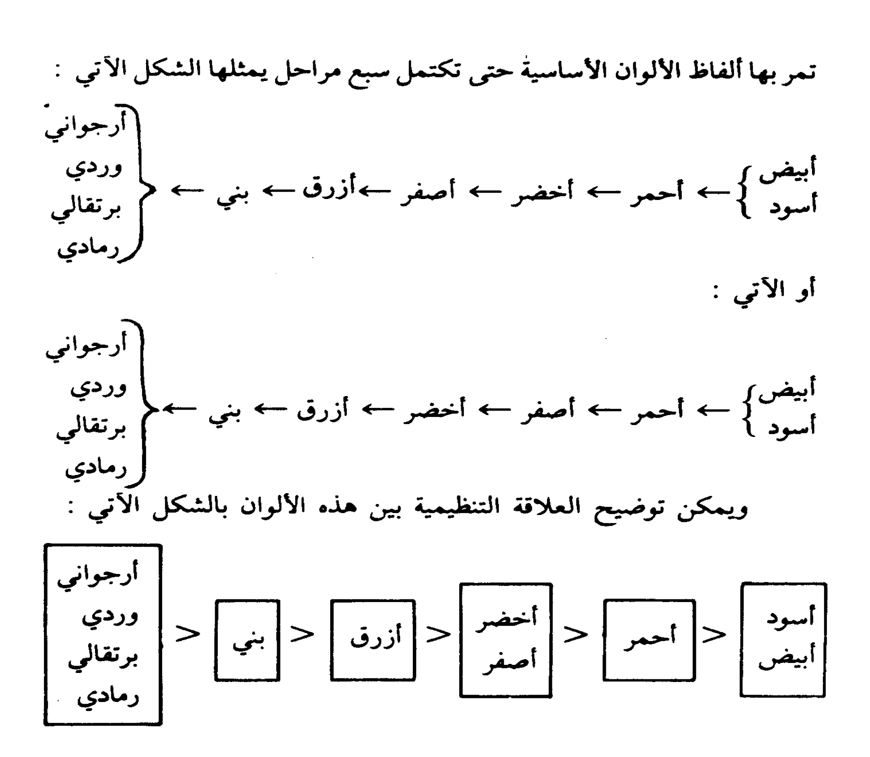
ثانيا : أن ألفاظ الألوان الأساسية في كل اللغات أحد عشر لفظا ، هي السابق ذكرها في الاستنتاج السابق ، وأن كل لغة تختار من هذا العدد الكلي مجموعتها الفرعية التي قد تكون العدد كله أو اختيارا منه .

ثالثا : أن اللغات تسير في تتابع ثابت يعكس مراحل تاريخية يجب أن تمر بها أي لغة خلال نموّ معجمها اللوني الأساسي . ومجموع المراحل التي

---

(١) انظر مفهوم الالفاظ الأساسية والألفاظ الهامشية أو الثانوية في الباب الثاني .

تمر بها ألفاظ الألوان الأساسية حتى تكتمل سبع مراحل يمثلها الشكل الآتي :



أو الآتي :

ويمكن توضيح العلاقة التنظيمية بين هذه الألوان بالشكل الآتي :

حيث تعني < عالمية مشروطة ، وتفسر كالآتي : بالنسبة لأي متتابعين من الألوان [خ] و[ي] ؛ فإن [خ] < [ي] يعني أنه إذا كانت لغة تحوي [ي] فإنها يجب أن تحوي [خ] .

	مجموع الألفاظ	عدد الاحتمالات
ففي المرحلة الأولى يوجد لفظان للأبيض والأسود[1]	٢	١

---

(١) يدلان على الألوان الفاتحة والألوان الداكنة جميعها .

وفي المرحلة الثانية يزاد لفظ للأحمر[1]	٣	١
وفي المرحلة الثالثة يزاد لفظ للأصفر أو الأخضر	٤	٢
وفي المرحلة الرابعة يزاد لفظان للأصفر[2] والأخضر[3]	٥	١
وفي المرحلة الخامسة يضاف لفظ للأزرق	٦	١
وفي المرحلة السادسة يضاف لفظ للبني[4]	٧	١
وفي المرحلة السابعة يضاف لفظ أو أكثر من مجموعة:		
الأرجواني - الوردي - البرتقالي - الرمادي[5]	من ٨ - ١١	١٥
مجموع الاحتمالات .		٢٢

فيكون عدد المراحل سبعا تضم اثنين وعشرين احتمالا .

وأي لغة في العالم القديم أو الحديث في وقت ما يمكن أن تلحق بواحدة - وفقط بواحدة - من المراحل السابقة ، وهي - في نفس الوقت - لا بد أن تكون قد مرّت تاريخيا بالمراحل السابقة للمرحلة التي انتهت إليها . وإذا أرادت اللغة ذات أي مرحلة متوسطة أن تنمي معجمها اللغوي فلا بد أن تسير بالترتيب المذكور . وتمثل المرحلة السابعة عشرون لغة من اللغات الثماني والتسعين المدروسة . وأنواع كثيرة من هذه المرحلة توجد في لغات العالم . وأكثر نماذج هذه المرحلة شيوعا هي تلك التي تحتوي على أحد عشر لفظا ، وتدخل فيها الإنجليزية والروسية والأسبانية والكورية والعبرية والعربية (الحديثة) .

(١) يشمل عائلة الأحمر : البرتقالي - معظم الأصفر - البني - الوردي - الأرجواني شاملا البنفسجي .

(٢) يضم عادة عائلة البني الفاتح والأخضر الفاتح .

(٣) يضم عائلة الأخضر والأزرق والأرجواني .

(٤) يصبح الأحمر والأصفر هنا أكثر تحددا.

(٥) انظر أمثلة اللغات التي تدخل تحت كل مرحلة : المرجع السابق ص ٢٣ وما بعدها .

ويوضح الاحتمالات الاثنين والعشرين لمراحل تطور اللغات الجدول الآتي[1] :

النموذج	عدد الألوان الرئيسية	الأبيض	الأسود	الأحمر	الأخضر	الأصفر	الأزرق	الادكن (البني)	الوردي	الارجواني	البرتقالي	الارمد الرمادي
١	٢	+	+									
٢	٣	+	+	+								
٣	٤	+	+	+	+							
٤	٤	+	+	+		+						
٥	٥	+	+	+	+	+						
٦	٦	+	+	+	+	+	+					
٧	٧	+	+	+	+	+	+	+				
٨	٨	+	+	+	+	+	+	+	+			
٩	٩	+	+	+	+	+	+	+	+	+		
١٠	٨	+	+	+	+	+	+	+			+	
١١	٨	+	+	+	+	+	+	+				+
١٢	٩	+	+	+	+	+	+	+	+	+		
١٣	٩	+	+	+	+	+	+	+	+		+	
١٤	٩	+	+	+	+	+	+	+	+			+
١٥	٩	+	+	+	+	+	+	+		+	+	
١٦	٩	+	+	+	+	+	+	+		+		+
١٧	٩	+	+	+	+	+	+	+			+	+
١٨	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	
١٩	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+		+
٢٠	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+		+	+
٢١	١٠	+	+	+	+	+	+	+		+	+	+
٢٢	١١	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+

(١) هذه هي الاحتمالات الواقعية ، وهي تمثل حوالي ١ ٪ فقط من الاحتمالات الممكنة التي تبلغ ٢٠٤٨ احتمالا (Semantics ص ٢٣٧) .

ويلاحظ أن أكثر النظريات الأربعة تفصيلا هي نظرية Berlin وkay ، وهي كذلك أكثرها إثارة للجدل . ورغم قصر الفترة الزمنية التي تلت إعلانها (١٩٦٩) فقد خضعت لكثير من المناقشات والاختبارات التي انتهى معظمها إلى تأييدها جملة أو تفصيلا ، وأثار بعضها نوعا من التحفظات عليها لكن دون أن يقدر على التشكيك فيها أو هز الثقة بها .

ولعل من أهم الأبحاث والتجارب التي أيدت نظريتهما :

١ ـ الأبحاث والتجارب التي أجريت على الأطفال ، وكيفية اكتسابهم لألفاظ الألوان . وأهمها تلك التي أجرتها Janet Dougherty ونشرتها عام ١٩٧٨ وانتهت فيها إلى القول : « من خلال أخطاء الأطفال يمكن أن نلاحظ عمليات تطورية لتكوين أنواع منفردة ، ولاكتساب ألفاظ لهذه الأنواع . وهو ما يعكس ـ إلى حد كبير ـ الخطوات التي اقترحت للتطور التاريخي ولفسيولوجية الإدراك الحسي البصري »[١] .

٢ ـ الأبحاث والتجارب التي أجريت على كثير من الشعوب البدائية أو القديمة ، ومن ذلك لغات :

أ ـ جماعة الـ Dani التي تعيش في Indonesian New Guinea وهي جماعة ترتبط بالعصر الحجري ووصفتها Heider عام ١٩٧٠ بأنها تملك فقط لفظين للألوان يقسمان المجال اللوني على أساس من اللمعان وليس اللون (إلى مشرق ومظلم) ، وهذا يمثل المرحلة الأولى عند Berlin وKay[٢] .

ب ـ لغات الهنود الأمريكيين ممثلة في لغتي Misquito وQuechi التي قام بدراستها André von Wattenwyl وHeinrich Zollinger في بحث نشر عام ١٩٧٨[٣] .

---

(١) On The Singnificance ص ١٤٧ .

(٢) Semantic Fields ; ص ١٥٣ On The Internal Structure ص ١١٥ .

(٣) The Color Lexica ص ٥٩ وما بعدها .

٣ ـ التماس تأييد لها في نظرية « المقابلات »* التي تقول إن رؤ ية اللون تقوم على ثلاثة ثنائيات تستجيب للمنبهات : أبيض وأسود ـ أصفر وأزرق ـ أحمر وأخضر ؛ حيث إن الألفاظ الستة الأولى في نظام Berlin وKay تنتمي الى هذه الثنائيات الثلاثة[١] . أو التماس التأييد لها في نظرية « العناصر الثلاثة »* ، كما فعلت Janet Dougherty (١٩٧٨) حين قالت : ما سماه Berlin وKay مرحلة خامسة تتميز فيه أنواع الألوان الأساسية الأولية تميزا لفظيا كل عن الآخر . والحكم بالأولية هنا مجرد حكم فسيولوجي . وقد بدىء أولا بالتمييز بين المشرق الدافىء (الأبيض) ، والمظلم البارد (الأسود) . ثم تم التمييز بين الأصناف الأربعة الكروماتية chromatic[٢] ، وهي الأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ؛ لأن كلا منها يمثل نقطة فريدة لا يختلط فيها بغيره حيث توجد أربعة أطوال موجية فريدة هي :

٧١٢	n m	للأحمر
٥٧٥	n m	للأصفر
٥٣٥	n m	للأخضر
٤٧٥	n m	للأزرق[٣]

وتتميز هذه الألوان الأربعة بأنها لا تتداخل . فبينها حدود لا تتجاوزها . فصنف الأحمر يرى عند ٧١٢ n m ولا يمكن أن يمتد وراء ٥٧٥ حيث الأصفر[٤] .

وقد قامت Janet Dougherty بتوضيح التتابع العالمي لتطور المعجم اللوني بالرسم التالي[٥] الذي لا يكاد يختلف عن النموذج المعدل الذي قدمه Kay :

---

* انظر ما سيأتي بعد تحت عنوان : كيف يتم الإحساس بالألوان ؟

(١) A Linguistic Approach ص ٢٦٦ .

(٢) مصطلح Chromatic يستعمل في مقابل achromatic . فالثاني يشير إلى الإدراك غير الملون (رمادي ـ أسود) ، والأول يشير إلى الإدراك الملون .

(٣) الرمز n m اختصار nanometre وهي وحدة لقياس طول الموجة من الضوء .

(٤) On The Significance ص ١٣٥ .

(٥) المرجع السابق الشكل ٩ ص ١٣٩ .

دافىء ـ مشرق

اتحاد الأحمر والأصفر ← اتحاد الأزرق والأخضر ← اصفر / أحمر ← ازرق/اخضر ← بني ← • برتقالي، وردي، ارجواني، رمادي

اتحاد الأحمر والأصفر ← اصفر / احمر ← اتحاد الأزرق والأخضر ← ازرق/اخضر

بارد ـ مظلم

أما أهم التحفظات أو التعديلات على هذه النظرية فتتلخص فيما يأتي .

أ ـ أدخل Kay نفسه تعديلا سمح بإفساح المجال لنوع من المرونة في ترتيب الألوان : أصفر ـ أخضر ـ أزرق ـ بني ـ كما يدل الشكل الآتي[1] :

الأصناف	{ ابيض / اسود } ← احمر ← (اخضر ← اصفر / اصفر ← از اخضر[2]) ← { اخضر / ازرق } ← بني ← { ارجواني / وردي / برتقالي / رمادي }
المراحل	١ ٢ ٣أ ٣ب ٤ ٥ ٦ ٧

ب ـ دراسة Catherine Callaghan (١٩٧٩) على مجموعة لغات Miwok (وهي لغات يتكلمها الصيادون والمزارعون في وسط كاليفورنيا) ، وهي مجموعة تحوي سبع لغات تقريبا ، وتقسم إلى شرقية وغربية . وقد أثبتت الدراسة وجود بعض المخالفات لتتابع Berlin وKay مثل :

١ ـ لغة Bodega Miwok لا يمكن إلحاقها بإحدى مراحل Berlin و Kay لأنها تحوي كلمات للأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأزرق .

---

(١) The Color Lexica ص ٥٧ .

(٢) مركب من الكلمتين : أزرق ـ أخضر .

٢ ـ لغة Northern Sierra Miwok تبدو عضوا شاذا للمرحلة الرابعة ؛ إذ تضم كلمات للأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر المسطردي mustard green بدلا من اللفظ المتوقع : الأز أخضر[١] .

جـ ـ بعض اللغات أقام تصنيفه على أساس التركيز على القيمة « القاتمة » والقيمة « الفاتحة » للألوان . ولذا عبر عن الأحمر القاتم والأزرق القاتم بلفظ واحد وعبر عن الأزرق القاتم والأزرق الفاتح باسمين مختلفين[٢] .

وفي رأينا أن هذه التحفظات ـ وأمثالها ـ لا تقلل من قيمة النظرية . وقد اعترف Berlin وKay أنفسهما بوجود مشكلة أو مشكلتين بالنسبة لاطراد نظريتهما . فالروسية والهنغارية يملكان نظاما من ١٢ نوعا أساسيا للألوان حيث لا يوجد في الروسية لفظ واحد للأزرق ولكن لفظان أحدهما للفاتح والآخر للقاتم ، ولا يوجد في الهنغارية لفظ واحد للأحمر ولكن لفظان أحدهما للفاتح والآخر للقاتم[٣] .

---

(١) Miwok Color Terms ص ٢ ـ ٤ .

(٢) The Psychology of Perception ص ٦٩ .

(٣) Basic Color Terms ص ٣٥ .

الفصل الثاني

الألفاظ الأساسية للألوان

وضع Berlin وKay في كتابهما Basic Color Terms أسسا للتمييز بين مفردات الألوان الأساسية[٢] ، ومفردات الألوان الثانوية . وقد تضمنت قائمة الألفاظ الأساسية عندهما ما يأتي :

أبيض - أسود - أحمر - أخضر - أصفر - أزرق - بني - أرجواني - وردي - برتقالي - رمادي (لاحظ أنها خلت من البنفسجي) ، والمجموع أحد عشر لفظا .

---

(١) تختلف اللغات في عدد الألفاظ التي تحويها للألوان ، ولكن لا توجد أي لغة في العالم عبرت عن كل الاختلافات اللونية . فتبعا لما قاله Judd يوجد نحو من عشرة ملايين اختلافا لونيا مميزا (An I ntroduction to color p. 230) ومع ذلك فلا تزيد اسماء الألوان في أي لغة عن بضعة آلاف . وقد تضمن معجم Maerz و Paul للألوان ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف كلمة انجليزية للألوان ، ولعله اعلى رقم أمكن التوصل اليه بعد البحث والاستقصاء والدراسة المستفيضة (انظر A Dictionary of color ص ١٨٨ وما بعدها) . ولا توجد احصاءات بألفاظ الألوان في اللغة العربية ، ومع ذلك فأكبر رقم عن تلك الألفاظ لا يتجاوز المئات ، فمجموع ما ورد في معجم الألوان للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ٣٥٠ لفظا فقط .

وليست ألفاظ الألوان على درجة واحدة من الأهمية ، ولا على مستوى واحد من شيوع الاستعمال ، ولهذا نجد اللغويين يفرقون بين ما يسمى بالألفاظ الأساسية وما يسمى بالألفاظ الثانوية ، وبين ما يسمى بالألفاظ الشائعة والألفاظ الأقل شيوعا .

(٢) لا علاقة بين هذا المصطلح ومصطلح الألوان الأساسية . فهنا نحن نعالج الألفاظ لا الألوان ، وأساسية الألفاظ تبنى على التحليل اللغوي ، أما أساسية الألوان فتدخل فيها اعتبارات متعددة .

أما قائمة Elaine Rich فقد تضمنت الألفاظ السابقة باستثناء الأبيض ، وأضيف إليها اللونان : بنفسجي violet ، وأسمر مصفر tan فيكون المجموع اثنى عشر لفظا[1] .

وأما Kornerup و Wanscher فيقسمان الألفاظ الأساسية إلى قسمين :

أ ـ ذات مرتبة أولى وتضم : أحمر ـ أصفر ـ أخضر ـ أزرق ـ أبيض ـ أسود (ستة ألفاظ) .

ب ـ ذات مرتبة ثانوية ، وتضم كلمات مثل البيج والأشقر (blonde) والرمادي والبني والذهبي والليلاك (lilac) والأحمر الأرجواني (magenta) والزيتوني والبرتقالي والأرجواني (purple) والوردي (rose)والياقوتي (ruby) والتركواز (turquoise) والبنفسجي (violet)[2] .

أما الـ Inter-Society Color Council فقد اعتبر الألفاظ الأساسية ثمانية فقط هي :

أحمر ـ اصفر ـ اخضر ـ أزرق ـ ارجواني ـ زيتوني ـ بني ـ وردي[3] .

وأما Maerz وPaul فقد وضعا على رأس القائمة :

أبيض ـ أسود ـ رمادي ـ أحمر ـ برتقالي ـ أصفر ـ أخضر ـ أزرق ـ بنفسجي (٩ ألفاظ)[4] .

وقد اشترط Berlin وKay في الألوان الأساسية ما يأتي :

١ ـ أن يكون اللفظ مكونا من وحدة واحدة مثل red ، ولا يمكن التنبؤ بمعناه من معنى كل جزء من أجزائه (بخلاف blood- like و blue- green)

---

(١) Sex- Related Differences ص ٤٠٥ .

(٢) Methuen Handbook ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٣) An Introduction to color ص ٢٣٢ . (٤) A Dictionary of color ص ١٨ ، ١٩ .

٢ ـ ألا يكون معنى اللفظ متضمنا في معنى لفظ آخر (بخلاف لفظ قرمزي المتضمن في لفظ أحمر) .

٣ ـ ألا يكون اللفظ محدد الاستعمال بموصوف معين (بخلاف لفظ blond الذي يستخدم غالبا وصفا للشعر) .

٤ ـ أن يكون اللفظ شائعا ومستقرا في الاستعمال بصورة تضمن له الوجود في أي قائمة استقرائية للألوان مثل yellow (بخلاف saffron مثلا) كما أنهما وضعا معايير للألفاظ الثانوية نذكر من بينها :

١ ـ أن يكون اللون المستخدم اسما لشيء قبل استخدامه وصفا للون[1] .

٢ ـ أن يكون من الألفاظ الحديثة الاقتراض .

٣ ـ أن يكون اللفظ قابلا للتحليل والتجزئة ؛ كأن يكون مشتملا على اكثر من جذر مثل blue-green ، أو محتويا على زائدة تصريفية مثل greenish[2] .

وقد تنبه ابن سيده إلى شيء قريب من هذا في معجمه « المخصص » إذ قال : « للألوان الثلاثة : أحمر وأسود وأبيض أسماء مستعملة قريبة ، وأخر بالإضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور في اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها . ألا ترى أن قولنا أبيض وأحمر وأسود من اللفظ المشهور ، وقولنا في الأبيض : ناصع ، وفي الأحمر : قُمُدّ ، وفي الأسود : غربيب من الأفراد التي رفعت عن الابتذال ، وأودعت صوانا في قلة الاستعمال ، مع أنك لا تجدها في غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة . يقولون : أبيض ناصع ،

---

(١) من الغريب أنهما لم يطبقا هذا الشرط على قائمتهما . فقد اعتبرا Orange و Purple من الألفاظ الأساسية مع أنهما مشتقان من أشياء واقعية .

(٢) Basic color terms ص ٥ ـ ٧ ، ٣٧ ؛ Miwok color terms ص ١ ؛ Psychology and language ص ٥٢٥ .

وأحمر قمدّ ، وأسود غربيب . وإن كان قد يستعمل مفردا كقوله :

بالحق الذي هو ناصع

وكقوله :

وبقمدّ كسائل الجريال »[1] .

وكان النمري في كتابه « الملمع » أكثر تحديدا وموضوعية من ابن سيده حين اعتبر الألوان الأساسية في اللغة العربية خمسة هي : الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر ، ووصفها بأنها هي النواصع الخوالص من بين جميع الألوان . ولم يعتبر هذا خاصا باللغة العربية وحدها ، وإنما اعتبره عاما في كل اللغات ، حيث قال : « إن الله خلق الألوان الخمسة . . »[2] .

وبمقارنة النموذج الذي اقترحه النمري بنماذج Berlin وKay نجده يتطابق مع نموذجهما رقم ٥ .

وقام النمري بعد هذا برد سائر الألوان إلى واحد من هذه الخمسة قائلا : « فإن قال قائل : فأين الغبرة والسمرة والزرقة والصحمة والشقرة وأشكالهن من الألوان ـ قيل : هذه الألوان ليست نواصع خوالص . وكل يرد إلى نوعه . فالغبرة إلى البياض ، والسمرة إلى السواد ، والزرقة الى الخضرة ، والصحمة إلى الصفرة ، والشقرة إلى الحمرة »[3] .

ثم أكد استنتاجه قائلاً : « العرب عمدت الى نواصع الألوان فأكدتها ، فقالت : ابيض يقق ، واسود حالك ، واحمر قانىء ، واصفر فاقع ، واخضر ناضر »[4] .

وفي رأيي أن النموذج الذي طرحه النمـري قد يقبل على أنه يمثل

---

(١) المخصص ٢/ ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) الملمع ص ١ .

(٣) المرجع ص ٧ .

(٤) المرجع والصفحة .

مرحلة مبكرة من مراحل اللغة العربية القديمة . أما في فترة لاحقة فلا بد أن يكون العرب قد ميزوا بين عدد أكبر من الألوان ، فزاد عدد الألوان الأساسية تبعا لذلك . وربما كان أقرب النماذج التي صارت إليها اللغة العربية هو النموذج رقم ١١ من نماذج برلين وكي ، وإن لم تطابقه اللغة العربية تمام المطابقة ، كما أنها لم تطابق أيا من النماذج الأخرى المطروحة . فقد خلت كل النماذج التي قدمها Berlin وKay من اللون الأسمر نظرا لخلو كثير من اللغات الأوربية من لفظ يدل عليه . وإذا كان هذا مبررا بالنسبة لبيئات يقل أو يندر فيها هذا اللون فلا يمكن تجاهله في بيئة كالبيئة العربية ، للسمرة فيها أهمية خاصة ، نظرا لغلبتها على لون البشرة[١] . ولذا لا بد من إدخال السمرة في الألوان الأساسية في اللغة العربية .

فإذا أضفنا إلى النموذج رقم ١١ اللون الأسمر لصارت ألوانه تسعة ، وهي الألوان التي نقدر أساسيتها في اللغة العربية الوسيطة وهي :

أبيض - أسود - أحمر - أخضر - أصفر - أزرق - أدكن - (بني) - أرمد (رمادي) - أسمر .

أما الألوان : وردي - أرجواني - برتقالي فلم ترد في لغة العرب . وقد ورد لفظ « ورد » - بدون نسبة - و« أرجوان » - بدون نسبة . وكلاهما استعمل اسما وصفة في الوقت نفسه ، وينطبق عليه معيار الصفة الثانوية رقم (١) الذي يقول : أن يكون اللون المستخدم اسما لشيء قبل استخدامه وصفا للون ، كما ينطبق عليهما معيار آخر للفرعية ، وهو اندراجهما تحت معنى لفظ آخر (وهو الأحمر) . أما لفظ «برتقالي» فهو مستحدث لأنه منسوب إلى البرتقال المأخوذ من اسم العلم «برتغال » . ولم يعرف العرب هذه الفاكهة ولذا لم ترد في معاجمهم القديمة ، كما لم ترد في مفردات ابن البيطار وغيره[٢] . كما أنه

---

(١) يقول ابن منظور : الغالب على ألوان العرب السُّمرة والأدمة (اللسان - حمر)
(٢) تكملة المعاجم العربية ٢٧٢/١ .

لا يوجد لفظ في ألفاظ الألوان العربية يؤدي مدلوله بدقة . ولعلهم اكتفوا باللون الأحمر الذي توسعوا في استخداماته ؛ وعددوا من ظلاله ودرجاته حتى كثرت ألفاظه الفرعية بشكل لافت للنظر لا ينافسه فيه سوى اللون الأسود .

ورغم وضوح مدلولات الألفاظ الأساسية في العصر الحديث فقد كان بينها نوع من التداخل عند العرب القدماء ، وهو تداخل يرد إلى التطور الطبيعي الذي لحق ألفاظ الألوان في اللغة العربية ، وإلى اتجاه العرب إلى التخصيص بعد التعميم . ومن أمثلة هذا التداخل ما ورد في كتب اللغة عن الألوان الآتية :

الأزرق :

ورد الأزرق بمعنى الأبيض وبمعنى الأخضر . كما وردت الزرقة وصفا للماء وللأسنة . وورد هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، وفسر بأن سواد الحدقة يزرقّ عند من يذهب نور بصره . وورد في « الإفصاح » أن الزرقة في العين خضرة في سوادها أو أن يتغشى سوادها بياض[1] .

الأصفر :

ورد في كتب اللغة تفسيرا له :

١ ـ لون معروف .
٢ ـ الصفرة السواد .
٣ ـ الصفرة لون دون الحمرة .

وقد فسر قوله تعالى : « جمالة صفر » على معنى إبل سود ، وكذلك قول الأعشى :

تلك خيلي منه وتلك ركابي   هنّ صفر أولادها كالزبيب

---

(١) انظر لسان العرب ـ تفسير النسفي ـ الإفصاح في فقه اللغة .

وقال ابن قتيبة وأبو عبيدة إن الصفراء في قوله تعالى : « صفراء فاقع لونها » هي السوْداء[1].

الأسود والأبيض :

لم يختلف تفسيرهما القديم كثيرا عن الحديث . فقد أطلق العرب السواد على جماعة النخل ، وعلى الشجر لخضرته ومقاربة الخضرة للسواد . واستخدموا الأسود اسما للتمر ، والحَرَّة ، والليل للمح صفة السواد فيها . كما أطلقوه على الماء مع التمر تغليبا . ولكن الغريب أن يطلقوا كذلك الأسودين على الماء واللبن ، وعلى الماء والفثّ .

أما البياض فقد أطلقوه على الماء ، والشحم ، واللبن . وغلبوه في مثل قولهم : الأبيضان : الماء والحنطة ـ الشحم والشباب ـ الخبز والماء . . وتوسعوا في استخدام البياض فأطلقوه على الإشراق والإضاءة ، فوصفوا به ليالى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، ووصفوا به الأرض إذا كانت ملساء لا نبت فيها ، والجلد إذا كان بغير شعر . كما استخدموا البياض في مقام المدح بالكرم ونقاء العرض . واستخدم بياض الوجه للإشارة إلى نقائه وصفائه وإشراقه ، ومنه قوله تعالى : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله »[2] .

الأخضر :

وردت الخضرة بمعنى السواد ، ووردت بمعنى السمرة في ألوان الناس ، وبمعنى الغبرة في ألوان الإبل والخيل . وأطلق العرب على السماء : الخضراء (مما يدل على تداخل هذا اللون مع الأزرق في مرحلة ما) . ووردت الخضرة وصفا للماء والبحر والكتيبة والحديد وغيرها . وقد استعمل القرآن الكريم « الأخضر » بالمعنى الذي نستعمله فيه حاليا ، وذلك

---

(١) اللسان صفر ؛ والإفصاح ١٣٣٢/٢ ؛ والمخصص ١٠٥/٢ ؛ والملمع ٩٧ ـ ٩٩ .
(٢) اللسان ؛ والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

في قوله : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » ، وقوله : « وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات »[1] .

الأحمر :

اعتبره ابن سيده من الألوان المتوسطة . وقد ورد اللفظ في المعاجم ـ إلى جانب معناه المعروف بمعنيين آخرين :

١ ـ فقد ورد بمعنى الأبيض ، فأطلقه العرب وصفا للماء ، وورد في الحديث النبوي : بعثت إلى الأحمر والأسود . والعرب تقول : امرأة حمراء ، ويريدون : بيضاء . والعرب تطلق على الأبيض : أحمر إذا أرادت لون الأبيض . أما لفظ « أبيض » فتستعمله للدلالة على الطهر والنقاء ، او تطلق الأحمر على الأبيض ، لأن البياض يقع على البَرَص .

٢ ـ كما ورد بمعنى الأصفر ، إذ أطلقه العرب على الذهب والزعفران فسموهما : الأحمران[2] .

---

(١) اللسان خضر ؛ والإفصاح ١٣٣٢/٢ ؛ والمخصص ١٠٦/٢ .
(٢) اللسان (حمر) ؛ والمخصص (١٠٩/٢) ؛ والملمع (ص ٣٤ ، ٣٥) .

الفصل الثالث

الألفاظ الثانوية للألوان

يقول « شفيق جبري » في مقال له بعنوان : « لغة الألوان » : فقه لغتنا دوّن ألفاظا « عن تفصيل الألوان وتقسيمها وترتيبها مما لا نظير له في كثير من اللغات على ما أظن » . ويقول نقلا عن كتاب « الفن والأدب » : « العرب حينما يصفون أقمشتهم يستخدمون تعابير تصويرية مشتقة من مفردات تذكرنا بأوراق الزهر ، والحجارة الكريمة ، ولمعة الحرير ، وبريق السماء ، وتمكنهم من بيان الفروق الضئيلة في مجموع الأصباغ »[1] .

وإذا كان هذا أصدق ما يكون على لغة العصر الحديث ، فإنه لا يبعد كثيرا عن لغة العرب القدماء ؛ فقد بلغت ألفاظ الألوان الثانوية والتفريعية في كتب فقه اللغة والمعاجم عدة مئات ، بعضها للتعبير عن درجات الألوان ، وبعضها لوصف اللون وصفا مميزا ، وبعضها للإشارة إلى طروء اللون ، وعدم ثباته .

وسنعرض الآن لبعض هذه الألفاظ مبينين دقة العرب في ملاحظة درجات الالوان ، وفي التعبير عن ظلالها .

الحمرة :

للتعبير عن درجات الحمرة أطلق العرب لفظ « أرجوان » للشديد

(١) ص ١٩٨ ، ٢٠١

الحمرة ، و « البهرمان » لما دونه بشيء من الحمرة . كما أطلقوا لفظ « المفدَّم » للمشبع حمرة ، و « المضرَّج » دونه ، و « المورَّد » بعده . واستخدموا « الملهَّب » لما لم تشبع حمرته من الثياب[1] .

وأحياناً يستخدمون الوصف للدلالة على درجة الحمرة ، فيقولون : أحمر أرجوان للمبالغة ، كما يقولون : أحمر قانيء ، ونكِع ، وعاتك ، وذَريحيّ ، وثَقيب ، وحانط ، وغَضْب . . . للشديد الحمرة . ويقولون : أحمر ناصع ، ونصّاع ، ويانع ، وزاهر ، وناضر ، إذا كانت الحمرة صافية خالصة مشرقة . ويقولون : أحمر قاتم للحمرة التي تضرب إلى السواد . ويقولون أحمر فاقع ، وفُقَاعيّ للخالص الحمرة أو الشديدها .
ووضعوا للحمرة مع السواد ألفاظا مثل[2] .

أسفع (أسود مشرب حمرة) .
غسيق (أسود مشرب حمرة) .
أحسب (أسود يضرب إلى الحمرة) .
أحوى (أحمر إلى سواد) .
أدبس (لون بين السواد والحمرة) .
أصبح (سواد إلى حمرة) .
كميت (حمرة يخالطها سواد) .

وللحمرة إذا خالطتها صفرة قالوا :
أخطب (غبرة أو صفرة تخالطها خضرة أو حمرة) .
أصهب (صفرة تضرب إلى الحمرة والبياض) .
أكهب (صفرة تضرب إلى حمرة) .

وللحمرة إذا خالطها بياض قالوا :
أشقر (حمرة تعلو بياضا في الإنسان ، أو بياض تعلوه حمرة) .

---

(١) اللسان (بهرم) ، والإفصاح ٢/١٣٣٠ .
(٢) لاحظ ان كثيرا من الألفاظ الآتية ذكرت لها المعاجم معاني أخرى إلى جانب ما ذكرناه .

أزهر (بياض تخالطه حمرة) ومثله أصهب وأقهب .
فقاعي (حمرة يخالطها بياض) .
أعفر (بياض تعلوه حمرة فيصير كلون العَفَر) .

السواد :

استخدم العرب للدلالة على السواد عشرات الكلمات ، منها ما يدل على مجرد اللون ومنها ما يدل على المبالغة والشدة ، ومنها ما يرتبط بموصوف معين ، ومنها ما يشير إلى لون آخر اختلط بالسواد . كما أنهم وصفوا السواد بمجموعة من الصفات ترتبط به وحده ، أو به مع غيره .

فاستخدموا للأسود الصرف أو الشديد السواد كلمات مثل :

حَليب ـ حَلوب ـ حُلبوب ـ أدجن ـ أدعج ـ أدلم ـ أدغم ـ أدهم ـ أسحم ـ أطلس ـ فاحم ـ فحيم ـ أبغس ـ بهيم ـ حالك ـ مُحْلولك ـ أحم ـ يُحموم ـ حَلْكم ـ جِمحم ـ حُمام ـ حانك ـ دُغمان ـ سُحكوك ـ أسحمان ـ علجم ـ علجوم ـ غُرابيّ . . . .

وللأسود القبيح استخدموا :

سُخام ـ سُخاميّ ـ أسخم ـ دُحْسمان ـ زُمَّح ـ زومح ـ كلِع ـ . . .

وللأسود العظيم استخدموا :

دُحْمُسان ـ دحامس ـ دُخْشم ـ دخشماني ـ دخامش . .

ووصفوا السواد بصفات مثل :

أسود حالك للمبالغة في السواد . وكذلك أسود أحمّ وفاحم وقاتم وغربيب وخُداريّ ودَجوجيّ ودَيْجوج ودَيْجور ودامج ومسحنكك ومصلخمّ ومعلنكس ومعلنكك .

وخصوا الليل إذا كان أسود حالكا بصفات منها :

دَجوج ودَجوجيّ ودُجاجيّ ودَجاجيّ ودَجداج وأسدف .

وفي سواد الشفة استعملوا اللعس فهي لعساء (ويصح تعميم اللون في الجسد كله) ، واللَّمى فهي لمياء . وسموا الأسود الشفتين : الأظمي .

ومع سواد الشعر استعملوا : الغدافيّ والفحيم .

وعبروا عن السواد مع الشحوب في الوجه بلفظ : أسفع .

وعبروا عن السواد إذا مال إلى الخضرة بكلمات مثل : أحوى وأقهب وقهب .

وعن السواد إذا اختلطت به الصفرة بكلمات مثل : أصحم .

وإذا اختلطت به الحمرة بكلمات مثل أصدأ .

وعبروا عن اللون بين السواد والغبرة بلفظ أطلس وكَدِر وأكدر .

وعن السمرة إذا تجاوزت إلى سواد أو عن السواد الخفيف بالأصحم والأطهم والأقتم والقاتم .

البياض :

استخدم العرب للدلالة على اللون الأبيض عشرات الكلمات بصورة تكشف عن الدقة ، وعن درجات اللون ، أو اختلاطه بغيره .

ومن ذلك : الأزهر لمن كان بياضه عتيقا نيرا حسنا ، وهو أحسن البياض . وقريب منه : الأغرّ والأقمر . وعكسه : اللهَق واللهِق ، وهو ما كان بياضه بدون بريق .

وأطلق العرب على الأبيض الخالص البياض وصف النِعج والناعج والصَّرَح والحُرّ .

وأطلقوا على الأبيض الذي تعلوه كدرة : قهبلس .

وعلى الأبيض الذي يخالط بياضه حمرة : الأقهب .

وعلى الأبيض المشوب بالسواد مع غلبة البياض : الأملح .

وعلى الأبيض القبيح البياض : الأمقه والأمهق والمُغْرَب ، وقريب منه الأمره . ووصفوا الأبيض بصفات كثيرة منها قولهم :

أبيض قهد إذا كان نقيّ البياض ، وقريب منه أبيض ناصع للخالص الصافي . وقالوا في الأبيض الشديد البياض : أبيض لَهَق ولهِق ولَهاق ولِهاق .

فإذا بولغ في وصفه بالبياض قيل : أبيض يَقَق ويَلَق ولِياح ولَياح . فإذا كان البياض ذا بريق قيل : أبيض وابص ووبّاص وبرّاق ودُلمص ودُلامص ودُملص ودُمالص[1] .

---

(١) هناك أوصاف أخرى كثيرة وردت في الملمع مثل : أبيض هجان ، وبضّ ، وغضّ ، وأبلج (ص ١٨ - ٢٤) .

الفصل الرابع

الألفاظ الشائعة للألوان

يختلف مفهوم اللفظ الشائع عن مفهوم اللفظ الأساسي مع احتمال تطابقهما في بعض الحالات . ولهذا يمكن أن يطلق على العلاقة بينهما العموم والخصوص الوجهي حيث يلتقيان في بعض الأمثلة ، وينفرد كل منهما في بعض آخر . فألفاظ مثل الأحمر ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، تعد أساسية لتحقق الشروط السابقة فيها . وتعد شائعة لوجودها في أعلى أي قائمة للألوان مهما قل حجمها . وألفاظ مثل برتقالي وبنفسجي ووردي تعد ثانوية في اللغة العربية ، وكذلك Silver و Gold في اللغة الإنجليزية ؛ لدلالتها على أسماء لأشياء قبل استخدامها وصفا للون رغم شيوعها ، وكثرة ترددها . وألفاظ مثل أدكن وأرمد تعد أساسية في اللغة العربية لدلالتها على اللونين البني والرمادي وهما في نفس الوقت غير شائعين في الاستعمال .

وتختلف قوائم الشيوع من لغة الى لغة ، ومن عصر إلى عصر في داخل اللغة الواحدة . بل أحياناً من جماعة إلى جماعة في داخل اللغة الواحدة وفي العصر الواحد ، ومن مستوى لغوي أو أدبي إلى مستوى لغوي أو أدبي آخر .

ولعل من أهم قوائم الشيوع تلك القائمة التي أعدها مؤخرا Evans Pauline على ألفاظ الألوان الواردة في سبعة عشر عملا قصصيا مشهورا باللغة الإنجليزية ،وكانت النتائج كما يلي :

١ ـ عدد ألفاظ الألوان الواردة في القائمة بلغ ٢٥ لفظا ترددت ٤٤١٦ مرة .

٢ ـ من بين هذا العدد يوجد ٤٠٨١ لفظا دار حول اثنى عشر لونا .

٣ ـ كلمات الأبيض والأسود والرمادي وحدها شغلت نحوا من نصف مرات التردد (٢٠٥١ من ٤٤١٦) .

٤ ـ من بين ألفاظ الألوان المفحوصة البالغ عددها ٣٣ لفظا لونيا (وهي الألفاظ اللونية الخالصة الواردة في معجم ألوان Maerz و Paul) وجد ٢٥ لفظا مستعملا و ٨ ألفاظ غير مستعملة[١] .

وهذه هي قائمة الألفاظ المستعملة مرتبة حسب مرات ترددها :

الرتبة	اللفظ بالإنجليزية	اللفظ بالعربية	عدد مرات التردد
١	White	أبيض	٩٥٧
٢	Black	أسود	٦٩٤
٣	Blue	أزرق	٤٨٢
٤	Red	أحمر	٤٧٧
٥	Gray	رمادي	٤٠٠
٦	Green	أخضر	٣١٩
٧	Brown	بني	١٨٥
٨	Yellow	أصفر	١٦٤
٩	Pink	وردي (زهري)	١١٥
١٠	Purple	أرجواني	٤٧

(١) الألفاظ غير المستعملة هي : azure و brunette و Cyan و dun و ecru و henna و sepia و Taupe (انظر ص ٢٣١ من An Introduction to color) .

الرتبة	اللفظ بالإنجليزية	اللفظ بالعربية	عدد مرات التردد
١١	Orange	برتقالي	٢٥
١٢	Crimson	قرمزي	٢٤
١٣	Violet	بنفسجي	٢٣
١٤	Blond	أشقر	١٦
١٥	Scarlet	قرمزي	١٢
١٦ م	Mauve	أرجواني (موف)	٩
١٦ م	Tan	أسمر مصفر	٩
١٨	Magenta	أحمر أرجواني	٦
١٩	Marroon	أرجواني أسمر (مارون)	٤
٢٠	Auburn	أسمر محمرّ	٣
٢١	Indigo	نيلي	٢
٢٢ م	Buff	برتقالي مصفر	١
٢٢ م	Cerise	أحمر كرزي	١
٢٢ م	Russet	أسمر محمرّ (خمري)	١
٢٢ م	Khaki	أسمر مصفرّ (كاكي)	١

وهذا إحصاء آخر تم على نفس الأعمال القصصية يبين كيفية استخدام لفظ اللون وتقسيم استخداماته على النحو التالي :

أ ـ ورود اللفظ مفردا مثل black و blacker .

ب ـ ورود اللفظ في صحبة لفظ يدل على التشبع واللمعان مثل dark blue و bright red و pale green .

جـ ـ ورود اللفظ في صحبة أشياء أو مواد معدلة للون مثل ice blue و milk white و cherry red .

د ـ ورود اللفظ في صحبة صفات لونية أخرى معدلة للون مثل blue- green و pinkish white .

هـ ـ ورود اللفظ في صحبة كلمات موحية مثل violent blue و dull red .

اسم اللون	أ	ب	جـ	د	هـ	مجموع التردد	النسبة المئوية
أبيض	٩٣٣	-	١٠	١٤	-	٩٥٧	٢١,٧
أسود	٦٨٩	-	١	٣	١	٦٩٤	١٥,٧
أزرق	٣٩٠	٤٤	٢١	٢	٢٥	٤٨٢	١٠,٧
أحمر	٤٤٨	٩	٨	٨	٤	٤٧٧	١٠,٧
رمادي	٣٦٨	١١	١٢	٧	٢	٤٠٠	٩,١
أخضر	٢٤٣	٣٤	١٤	٢٢	٦	٣١٩	٧,٢
بني	١٥٧	١١	٣	٨	٦	١٨٥	٤,٢
ذهبي	١٧٦	١	-	٣	-	١٨٠	٤,١
أصفر	١٤٧	٨	٥	٣	١	١٦٤	٣,٧
وردي (زهري)	١١١	٢	-	-	٢	١١٥	٢,٦
فضي	٦٠	-	-	١	-	٦١	١,٤
أرجواني	٤٤	١	-	١	١	٤٧	١,١
المجموع الكلي	٣٧٦٦	١٢١	٧٤	٧٢	٤٨	٤٠٨١	

وهناك متفرقات لونية أخرى يبلغ مجموعها ٣٣٥ لفظاً مما يرتفع بمجموع مرات التردد الى ٤٤١٦ مرة[(١)] .

وأما بالنسبة للغة العربية فلم تعدّ إحصاءات شاملة لألفاظ الألوان فيها ،

---

(١) بتصرف عن An Introduction to color ص ٢٣٠ .

ولا نسبة ترددها . وكل ما تحت أيدينا إحصاءات عن نسبة شيوع الكلمات ، وهي إحصاءات قاصرة إلى حد كبير لقدم العهد ببعضها من ناحية ، ومحدودية مادتها من ناحية اخرى . فإحصاء ابريل مثلا (١٩٤٠) قام على تحليل عينات من الكلمات في الجرائد العربية اليومية من سنة ١٩٣٧ الى سنة ١٩٣٩ سجل فيه ١٣٦,٠٨٩ كلمة تتابعية منها ٧٠,٠٠٠ كلمة من جريدتي الأهرام (بمصر) وفلسطين (بفلسطين) . وخرج من التحليل بقائمة تشمل ٥٩٨١ كلمة[1] . وإحصاء لنداو (١٩٥٩) يقوم على تحليل لعينات من ستين كتابا تمثل النثر المصري في النصف الأول من القرن العشرين ، وقد بلغ عدد كلماته التتابعية ١٣٦,٠٨٩ كلمة . وخرج التحليل بقائمة تتألف من ١١٢٨٤ . وأدمجت القائمتان فكان الناتج ١٢,٤٠٠ كلمة ، وهو عدد أقل من مجموع القائمتين «لأن كثيرا من هذه الكلمات مشترك في القائمتين»[2] .

وقد رجعت في استخلاص ألفاظ الألوان الى :

١ - قائمتي بريل ولنداو (المطبوعتين في مجلد واحد ، وفي عمودين متجاورين) اللتين تشتملان على ٢٧٢١٧٨ كلمة تتابعية ، وتحددان درجة الكلمة في قائمة مجموع الـ ١٢,٤٠٠ كلمة معينة التي وجدت بين ٢٧٢,١٧٨ كلمة تتابعية ابتداء من ١٠ ، ٢٥ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ١٠٠ ، ٢٠٠ ، ٣٠٠ . . . الى ١٠٠٠ . وبعد ذلك من ١٢٥٠ ، ١٥٠٠ ، ١٧٥٠ ، و٢٠٠٠ . . . الى ١٢,٤٠٠[3] .

٢ - قائمة داود عبده التي تشتمل على إحصاءات بأشيع ثلاثة آلاف كلمة في قوائم : عبده - بريل - لنداو - عاقل . وتتميز قائمة فاخر عاقل (١٩٥٣) بأنها أحصت حوالي مائة وثمانية وثمانين ألف كلمة وردت في ١٨

---

(١) إحصاء كلمات في النثر العربي الحديث ص ٦، ٧ تمهيد .
(٢) المرجع ص ١٤ .
(٣) المرجع ص ١٥ .

كتابا من كتب القراءة الابتدائية المستعملة في ستة أقطار عربية . ولم تنشر قائمة عبده التفصيلية بعد ، وتتضمن حوالي مائتين وخمسين ألف كلمة[1] .

ويلاحظ أن قائمة بريل ولنداو أشمل لأنها تبين نسبة الشيوع للكلمات حتى رقم ١٢,٤٠٠ في حين أن قائمة عبده تقف عند الرقم ٣٠٢٥ فقط .

وقد قمت باستخلاص ألفاظ الالوان من هذه القوائم ورتبتها حسب مجموع مرات ترددها في أربعة القوائم الخاصة بعبده وبريل ولنداو وعاقل مع جمع كل مشتقات اللون حين تتعدد مشتقاته في مكان واحد :

العدد	اللون	بريل	لنداو	عاقل	عبده	المجموع الكلي
١	الأبيض :					
	أبيض	٣	١٩	٦١	٤٩	١٣٢
	بيضاء	١	١٦	١٨	٨٣	١١٨
	بَيَاض	٣	٧	-	-	١٠
	بِيض	٢	٢	-	-	٤
	المجموع	٩	٤٤	٧٩	١٣٢	٢٦٤
٢	الأحمر :					
	حمراء	-	٤	٣٥	٧١	١١٠
	أحمر	٢١	٨	٣٧	٣١	٩٧
	حُمْرة	-	٤	-	-	٤
	احمّر	-	٢	-	-	٢
	حمّر	-	١	-	-	١
	احمرار	-	١	-	-	١
	حُمْر	-	١	-	-	١
	المجموع	٢١	٢١	٧٢	١٠٢	٢١٦

(١) انظر : المفردات الشائعة في اللغة العربية .

العدد	اللون	بريل	لتداو	عاقل	عبده	المجموع الكلي
٣	**الأسود :**					
	أسود	٨	١٦	٦٤	٢٨	١١٦
	سوداء	-	١١	١٥	٤٧	٧٣
	سواد	٢	٩	-	-	١١
	تسويد	٢	-	-	-	٢
	اسودّ	-	١	-	-	١
	المجموع	١٢	٣٧	٧٩	٧٥	٢٠٣
٤	**الأخضر :**					
	خضراء	-	٢	٢٧	٣٩	٦٨
	أخضر	-	٦	٣٨	٢١	٦٥
	خُضْرة	٣	٣	-	-	٦
	خُضْر	-	١	-	-	١
	المجموع	٣	١٢	٦٥	٦٠	١٤٠
٥	**الأصفر :**					
	أصفر	-	-	٢٤	١٠	٣٤
	اصفرار	-	١	-	-	١
	صُفرة	-	١	-	-	١
	المجموع	-	٢	٢٤	١٠	٣٦
٦	**الذهبي**[1] **:**	٤	١٤	-	-	١٨
٧	**الأسمر :**					
	سمراء	-	٣	-	-	٣
	سُمْرة	-	٣	-	-	٣

(١) من هنا تقف احصاءات عاقل وعبده ، لأنها تتوقف عند تردد ٢٨ مرة

العدد	اللون	بريل	لنداو	عاقل	عبده	المجموع الكلي
	أسمر	-	٢	-	-	٢
	سُمْر	-	٢	-	-	٢
	المجموع	-	١٠	-	-	١٠
٨	الأزرق :					
	زرقاء	١	٢	-	-	٣
	أزرق	٢	-	-	-	٢
	المجموع	٣	٢	-	-	٥
٩	الرمادي :	-	٤	-	-	٤
١٠	السماوي :	-	٢	-	-	٢
١١	الأدم :					
	أُدْمة	-	١	-	-	١
١٢	البرتقالي :	-	١	-	-	١
١٣	الجيري :	-	١	-	-	١
١٤	الخمري :	-	١	-	-	١
١٥	الأدعج :					
	دعجاء	-	١	-	-	١
١٦	الأرجواني :	-	١	-	-	١
١٧	العاجي :	-	١	-	-	١
١٨	الفاحم :	-	١	-	-	١
١٩	القمحي :	-	١	-	-	١
٢٠	القاني :	-	١	-	-	١
٢١	الكستنائي :	-	١	-	-	١

ويمكن بمساعدة هذه الإحصاءات استخلاص ما يأتي :

١ - أن الألوان الخمسة في أعلى القائمة وهي : الأبيض والأحمر والأسود والأخضر والأصفر تتطابق تماما مع الألوان الخمسة الأساسية الأولى في تتابع الألوان عند berlin و Kay .

٢ - أننا إذا اعتبرنا الذهبي تنوعا للأصفر - وهو كذلك - فإن اللون السادس في الترتيب يكون هو اللون الأسمر ، مما يعكس أهمية هذا اللون في اللغة العربية ، وهو ما سبق أن تنبأنا به .

٣ - من الأشياء الجديرة بالملاحظة كذلك :

أ - غياب ألوان تبدو كثيرة التردد في اللهجات المحكية أو الاستعمال المعاصر مثل « البني » و« الفضي » و« النيلي » و« الزيتي » و« الرصاصي » و« الكحلي » .

ب - غياب كلمة « صفراء » من جميع القوائم ، وكلمات « حمراء » و« خضراء » و « سوداء » من قائمة « بريل » ، وكلمة « أصفر » من قائمتي « بريل » و« لنداو » .

جـ - غياب الفعل الثلاثي المجرد من الألوان غيابا تاما .

٤ - أن الترتيب سيختل إلى حد كبير لو أخذنا كل قائمة على حدة ، أو أخذنا كل لفظ من ألفاظ الألوان على حدة .

الفصل الخامس

التصرُّف في ألفاظ الألوان

تستخدم اللغات وسائل متعددة لاشتقاق ألفاظ الألوان ، وتصريفها ، وبيان درجاتها . وسنحاول اولا أن نلقي نظرة على اللغة العربية ، ثم نتبعها بنظرة أخرى على اللغة الإنجليزية .

أ ـ اللغة العربية :

تعددت صيغ الألوان في الاستعمال العربي القديم ، سواء كان التعبير بالصفة أو بالفعل .ولم يكن تعداد الصيغ أمرا جزافيا أو اعتباطيا ، وإنما كان يهدف إلى تحقيق الدقة في التعبير ، وإضافة معنى جديد على مجرد اللون ، مثل تجدد اللون أو ثباته ، أو لمح معنى التشبيه فيه ، أو المبالغة . . . أو غير ذلك .

الصيغ الوصفية :

على الرغم من غلبة استخدام وزن « أفعل » للدلالة على صفة اللون ، فإننا لا يمكن أن نوافق على ما قيل عن دلالة هذا الوزن على أساسية اللون[1] . ولو أننا قبلنا هذا التفسير لوجب علينا أن ندرج تحت الألوان الأساسية عشرات من الألوان وردت الصفة منها على وزن « أفعل » وكلها تعد من الألوان الثانوية ، أو من تفرعات الألوان .

---

(١) داود عبده : نمو الطفل اللغوي .

أما السر في استخدام هذه الصيغة فهو أن العرب فرقت بين :

١ ـ ثبات الصفة وشدة لصوقها بالموصوف ، واستخدمت لذلك أوزاناً متعددة من الصفة المشبهة أو صيغ المبالغة غلب عليها وزن « أفعل » .

أ ـ فمثال وزن أفعل : أصبح ـ أصحم ـ أربد ـ أغثر ـ أرمد ـ أمهق ـ أدكن ـ أسفع ـ أكلف ـ أدبس ـ أدهس ـ أطحل ـ أقهب ـ آدم ـ أدلم ـ أسمر ـ أدخن ـ أشقر ـ أزهر ـ أصدأ ـ أمغر . . الخ .

ب ـ ومثال وزن فَعُول : حلوب ـ خضور . . .

جـ ـ ومثال وزن فَعيل : غسيق ـ ثقيب ـ بهيم ـ خضير ـ دكين . . .

د ـ ومثال وزن فَعِل : نكع ـ كلع ـ حلب ـ خضر . . .

٢ ـ طروء الصفة مع حدوثها بمعالجة وفعل فاعل خارجي ، واستخدمت لذلك صيغة اسم المفعول مثل : مُتَبَّن ـ مُغْرَب ـ مُشْبَع ـ مُشَرَّق ـ مُضَرَّج ـ مُورَّد ـ مَقُدَّم ـ ملهَّب ـ مفضَّض ـ ممغَّر . . .

٣ ـ طروء الصفة مع حدوثها دون معالجة ، واستخدمت لذلك صيغة اسم الفاعل مثل : وابص ، ناعج ـ حالك ـ حانط ـ محلنكك ـ مسحنكك ـ حانك ـ فاحم ـ زاهر ـ عاتك . . .

٤ ـ الإشارة إلى معنى التشبيه في اللون ، واستخدمت لذلك ياء النسب مثل : ترابيّ ـ غُرابيّ ـ غُدافيّ (الغداف : الغراب) ـ وَرْسيّ ـ فُقاعي ـ ذَريحيّ ـ مَضْرَحيّ ـ عِرْسيّ (نسبة إلى ابن عرس) . . .

٥ ـ الدلالة على المبالغة في الوصف وأطلقت في ذلك لفظ اللون على صفته كقولهم : إضريج ـ أرجوان ـ ورد ـ بهرمان . . . أو صيغة المبالغة مثل : خَوَّار[1] .

---

(١) الخوارة من النوق ما كان لونها بين الغبرة والحمرة .

٦ - كما استخدمت زيادة المبني للدلالة على المبالغة ، أو زيادة المعنى ، ومن ذلك : حُلبوب ، محلولك - حَلَكوك - حَلْكم - يحوم - سحكوك - مسحنكك - أسحمان - غربيب . . .

الصيغ الفعلية :

يكثر في أفعال الألوان الثلاثية المجردة أن تكون من باب فَعِل يفعَل[1] ، ويقل أن تكون من باب فَعُل يفعُل ، ويندر ما عدا ذلك . يقول سيبويه في الكتاب : « ويكون الفعل [من الألوان] على فعِل يفعَل ، وربما جاء على فعُل يفعُل ، وذلك قولك : أدِم يأدَم . . ومن العرب من يقول : أدُم يأدُم . . وشهِب يشهَب ، وقهِبَ يقهَب ، وكهِب يكهَب . . وقالوا : كهُب يكهُب ، وشهُب يَشهُب . . وقالوا صدىء يصدأ ، وقالوا أيضاً : صدأ . . »[2] .

وبمراجعة المعاجم ، وبخاصة ما جاء تحت أبواب الأفعال في « معجم ديوان الأدب » نجد الإحصاء يصدق ما قاله سيبويه . فقد ورد من باب « فرِح » الألوان الآتية :

أخطب - أشهب - أكهب - أبغث - أبرج - أبلج - أخرج - أدعج - أفضح - أقرح - أقلح - أحور - أخضر - أسجر - أسمر - أشقر - أعفر - أغرّ - أقشر - أكدر - أطلس - ألعس - أشمط - أسلع - أخيف - أغضف - أزرق - أشكل - أشهل - أطحل - أكحل - أليل - أحمّ - أدكن - أظمى - ألمى . .

ومن باب « كرُم » : أسمر - أشقر (إلى جانب ورودهما من باب فرح) .

ومن أبواب أخرى : غَبَس (لم أجد بابه فيما تحت يدي من معاجم

---

(١) يختص باب فعل يفعَل كما يقول اللغويون المحدثون بالأفعال الإجبارية التي لا اختيار فيها (انظر : من اسرار اللغة ص ٥٤) ، وهو ما يناسب الألوان الثابتة .

(٢) الكتاب ٤/ ٢٥ .

ولعله باب ضرب) وصدأ (من باب فتح) .

أما الثلاثي المزيد فيكثر فيه وزنا افعلّ ، وافعالّ ، ويقل فيه افعوعل ، ويندر ما عدا ذلك[1] .

وكثيرا ما يستعمل العرب من أفعال الألوان الصيغ المزيدة ، ويهملون المجردة رغم استعمالهم في الصفات وزن « أفعل » ، مما يدل على أنهم قد يريدون بالصيغ المزيدة الدلالة على أصل الفعل دون مبالغة أو زيادة . وقد يستخدمون للدلالة على اللون الصيغة المجردة والمزيدة معا .

فمن الأول قولهم : اغبثّ الشيء - املحّ الكبش - اربدّ - احمرّ - اصفرّ - اغبرّ - احلسّ - ابرشّ - ارقطّ - ابلقّ - ارمكّ - اشعلّ - ادلمّ - ادهمّ - ارثمّ - اقتمّ - ابيضّ . .

ومن الثاني قولهم : شهب وأشهبّ واشهابّ - خرج واخرجّ - زرق وازرقّ وازراقّ - سمر واسمرّ واسمارّ - بلق وابلقّ - خضر واخضرّ - دبس وادبسّ - رقط وارقطّ - رمد وارمدّ - كمت واكمتّ - سود واسودّ واسوادّ - شقر واشقرّ .

وقد يأتي المزيد على افعوعل نحو : ابلولق - اخضوضر - احووّى - اخضوضب . .

والفرق بين افعلّ وافعالّ أن الأول يستعمل غالبا للون اللازم ، والثاني للون العارض أو المتدرج مع قابليته للتغير . وقد يغني أحدهما عن

---

(١) يأتي على وزن « أفعل » و« فعّل » إذا أريد التعدية مثل أخضره وخضّره جعل أخضر . ويأتي على وزن « فاعل » للمفاخرة والمغالبة مثل بايضه : فاخره في البياض . وقد يأتي « أفعل » و « فعّل » لغير التعدية كما قالوا : أباض الشيءُ صار أبيض وأباضت المرأة ولدت ولدا أبيض، وأحمرتْ ولدت ولدا أحمر ، وبيّض الرجل لبس ثوبا أبيض (انظر المعجم الوسيط في المواد المذكورة) .

الآخر[1] ، يقول سيبويه : « واعلم انهم يبنون الفعل منه على افعالّ نحو اشهابّ وادهامّ . . فهذا لا يكاد ينكسر في الألوان ، وإن قلّت فيها « فعِل يفعل) أو (فعُل يفعُل) . وقد يستغنى بافعالّ عن (فعِل وفعُل) وذلك نحو ازراقّ واخضارّ واصفارّ واحمارّ واشرابّ وابياضّ واسوادّ . واسودّ وابيضّ واخضّر واحمرّ واصفرّ أكثر في كلامهم لأنه كثر فحذفوه »[2] .

أما وزن « افعوعل » فيأتي لقصد المبالغة ، ففي الكتاب : « قالوا خشن وقالوا اخشوشن . وسألت الخليل فقال : كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد . . وربما بُني عليه الفعل فلم يفارقه . ومثال ذلك اقطرّ النَبت واقطارّ لم يستعمل إلا بالزيادة ، وابهارّ الليل »[3] .

وعلى هذا يتضح الفرق بين قول العرب : خضِر واخضرّ واخضارّ واخضوضر ، وقولهم : زرِق وازرقّ وازراقّ ، وشمِط واشمطّ واشماطّ ، وكمت واكمتّ واكماتّ ، وبلق وابلقّ وابلولق ، وربد واربدّ وارْبادّ . .

المصدر :

تذكر كتب النحو أن المصدر من الفعل الثلاثي يأتي على فُعْلة وهو الغالب مثل الحمرة والصفرة والكدرة ، كما يأتي على فَعال مثل البياض والسواد . قال سيبويه : « كما قالوا الصباح والمساء ؛ لأنهما لونان بمنزلتهما ، لأن المساء سواد والصباح وَضَح »[4] .

وبتتبع المصادر الواردة في أبواب الألوان في كل من المخصص لابن سيده والإفصاح في فقه اللغة نخرج بالإحصاءات التالية . وقد راعينا ترتيب المصادر ترتيبا تنازليا حسب مرات ورودها :

---

(1) شرح الشافية (1/112) . فلا معنى إذن لقول صاحبي الإفصاح : اكهابّ اللون مبالغة (2/1332 ، 1334) ، فالمراد بالصيغة الدلالة على عروض الصفة لا على المبالغة . كذلك لا معنى لقول الحملاوي (شذا العرف ص 26) : احمارّ يدل على قوة اللون أكثر من حمر واحمر.

(2) الكتاب 4/25 ، 26 . (3) المرجع 4/ 75 ، 76 . (4) المرجع 4/ 26 .

الوزن	عدد الكلمات	الأمثلة
فُعْلة	٧٠	الأدمة ـ الأرثة ـ البرشة ـ البغثة ـ الحسبة ـ الحلبة ـ الحلكة ـ الحمرة ـ الحمّة ـ الحوّة ـ الخضرة ـ الخطبة ـ الخلسة ـ الدبسة ـ الدجنة ـ الدخنة ـ الدسمة ـ الدعجة ـ الدكنة ـ الدهسة ـ الدهمة ـ الربدة ـ الرقطة ـ الرمدة ـ الرمكة ـ الزرقة ـ الزهرة ـ السحمة ـ السخمة ـ السعرة ـ السفعة ـ السمرة ـ الشقرة ـ الشكلة ـ الشهبة ـ الصبحة ـ الصحرة ـ الصحمة ـ الصدأة ـ الصفرة ـ الصهبة ـ الصهمة ـ الطحلة ـ الطلسة ـ الطهمة ـ العرمة ـ العفرة ـ الغبثة ـ الغبرة ـ الغبسة ـ الغثرة ـ الغثمة ـ الغرّة ـ الفضحة ـ الفضخة ـ القتمة ـ القمرة ـ القهبة ـ الكدرة ـ الكلفة ـ الكمتة ـ الكهبة ـ اللهبة ـ المرهة ـ المعرة ـ المغرة ـ الملحة ـ النضرة ـ الوردة ـ الورقة[1] .
فَعَل	٢٧	البرش ـ البلق ـ الحلك ـ الحور ـ الخطب ـ الدخخ ـ الدعج[2] ـ الرقش ـ الزرق[2] ـ الشرق ـ الشمط ـ الصبح ـ الصهب ـ

(١) الإفصاح ٢/ ١٣٢٢ وما بعدها ؛ والمخصص ٢/١٠٤ وما بعدها .

(٢) كلاهما من اللسان .

الوزن	عدد الكلمات	الأمثلة
		العيس - الفقع - الكلع - الكلف - اللعس - اللمى - اللهق - المغر - المقه - المهق - النعج - النمش - النوق - الوضح[1] .
فَعَال	٣	البياض - الدلام - السواد[2] .
فُعول	٢	العتوك - القنوء[3] .
فُعولة	٢	الفحومة - اليقوقة[4] .
فَعْل	١	البغْش[5] .

ويلاحظ أن الفَعَال لم يكن من الكثرة بحيث ينص عليه سيبويه ويترك الفَعَل وهو أكثر ، اللهم إلا إذا كان ما لفت نظره هو مجيء لفظين من ألفاظ الألوان المشهورة عليه ، وهما البياض والسواد .

كما يلاحظ أن العربية المعاصرة تميل إلى استخدام وزن الفَعَال . وقد حوى معجم Hans Wehr للعربية المكتوبة الحديثة لفظين ليسا في المعاجم القديمة وهما : الخَضار بمعنى الخضرة ، والصَّفار بمعنى الصفرة .

وفي العامية المصرية يقال : حَمار وصَفار وخَضار وسَمار (بالاضافة إلى البياض والسواد) .

وأخيراً نقول إنه لا سبيل إلى أخذ المصدر من الكلمات الجامدة أو المنسوبة ، ولذا فالطريق الوحيد هو المصدر الصناعي فيقال : ذهبية - ورمادية - وسماويّة - وبرتقالية - وأرجوانية - وعاجية .. الخ .

---

(١) الإفصاح ٢/ ١٣٣١ وما بعدها ، والمخصص ٢/١٠٦ وما بعدها
(٢) المخصص ٢/١٠٤ وما بعدها .
(٣) الإفصاح ٢/ ١٣٢٩ .
(٤) السابق ٢/١٣٢٢ ، ١٣٢٦ .
(٥) المخصص ٢/١٠٤ .

ب ـ اللغة الإنجليزية :

١ ـ تستخدم اللغة الإنجليزية بعضا من ألفاظ الألوان أسماء وأفعالا في نفس الوقت وذلك مثل :

* Yellow : To Yellow (يصفّر) ـ Yellow (أصفر)
* Blue : To Blue (يزرّق) ـ Blue(أزرق)

٢ ـ وفي كثير من الأحيان تستعمل فعلا آخر مع اسم اللون مثل :

* Green : To be... ـ To Become... ـ To Make...
* White : To be... ـ To Become... ـ To Make
* Black : To be... ـ To Become... ـ To Make...
* Blue : To be... ـ To Become... ـ To Make...
* red : To be... ـ ... To Turn ـ To Make...

٣ ـ وفي أحيان أخرى كثيرة تضيف لاحقة في آخر لفظ اللون للدلالة على الفعل مثل :

* White : Whiten(يبيض)
* Black : Blacken(يسوّد)
* Red : Redden(يحمّر)

ولتحديد درجة اللون أو خاصته المميزة ، أو لبيان تحول اللون أو ميله نحو لون آخر استخدمت وسائل عديدة منها :

١ ـ إضافة اللاحقة (Ish) مثل Greenishو Yellowishلتفيد معنى مخضرّ ومصفرّ . ويمكن أن تكون هذه اللاحقة مفيدة بوجه خاص في وصف التغيرات التي تحدث في تدرج مثل : Green ← Green Bluish ← Blue
Green ← Green blue ← Greenish Blue[1] .

٢ ـ إضافة صفات مميزة تدل على اختلاف القيمة مثل :
light ـ dark ـ pale ـ deep . .

---

(١) Methuen Handbook ص ١٣٩ .

أو على اختلاف الصفاء واللمعان مثل :
bright - clear - prue - rich . . [1]

وهناك قائمة بأشهر المعدّلات modifiers of color names نجدها في معجم الألوان (A Dictionary of Color) [2] .

ولا يستحسن كثيرون زيادة مصطلح اللون على كلمتين ، ولذا فهم يستقبحون مصطلحات مثل : grey - green - light blue أو مثـــل : red - brown - grey[3] .

٣ - إضافة أو استخدام اسم يتضح فيه مظهر اللون بصورة أفضل مثل :
Sky blue و Fire-red و blood- like و spring -green . . [4] .

٤ - وفي أحيان كثيرة تستعمل اللغة الإنجليزية بدلا من المصطلح العام مصطلحا آخر يحدد درجة من درجات اللون مثل :
russet - auburn - carmine - scarlet - vermilion - rose - pink ، وهي من أسرة الأحمر ومثل : Peach - Salmon ، وهما من درجات البرتقالي[5] .

٥ - أحيانا تركب مصطلح اللون من اسمي لونين متجاورين للإشارة الى توسط هذا اللون وأخذه من اللونين على الجانبين ، وتسمى هذه بالألوان الوسيطة . وسنزيد الأمر تفصيلا عند الحديث عن دوائر الألوان في الباب الثاني .

٦ - إيراد لفظ اللون في صحبة كلمات موحية مثل : violent blue و dull red [6] .

---

(١) A Dictionary of color ص ٧ .

(٢) ص ٨ - ١٠ .

(٣) Methuen Handbook ص ١٣٩ .

(٤) السابق والصفحة ؛ Psychology and language ص٥٢٤ ؛ Sex - Related Differences ص ٤٠٥ .

(٥) Colour and Colour Terminology ص ٢٧ ؛ Color Psychology ص ٢٥٩ .

(٦) An Introduction to color ص ٢٣٠ .

الفصل السادس

ألفاظ الألوان والتعبيرات اللغوية

تستخدم اللغات ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال ، كما أنها عن طريق المعاني الرمزية أو الإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية idioms لا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها إذ تصبح تركيبا موحدا ذا معنى خاص .

وسنضرب فيما يأتي بعض الأمثلة من هذا وذاك في اللغتين العربية والإنجليزية :

الأبيض :

لما كان هذا اللون مرتبطا عند معظم الشعوب ـ بما فيهم العرب ـ بالطهر والنقاء استخدمه العرب القدماء في تعبيرات تدل على ذلك . فقد قالوا : كلام أبيض ، وقالوا : يد بيضاء . واستخدموا البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب . ولارتباطه بالضوء وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك ، فقد قالوا : كتيبة بيضاء : عليها بياض الحديد . وأطلقوا على الحنطة وعلى الشمس اسم : البيضاء . وقالوا : الأيام البيض لليالي ١٣ ، ١٤ ، ١٥ لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها .

وقد ورد اللون الأبيض في تعبيرات أخرى قديمة وحديثة مثل :

١ ـ إطلاق الأبيض على الفضة وعلى السيف .

٢ ـ وصف الأرض بأنها بيضاء إذا كانت ملساء لا نبت فيها .

٣ ـ وصف الموت بأنه أبيض إذا أتى فجأة لم يسبقه مرض يغير اللون .

٤ ـ قالوا : كلمته فما ردّ عليّ سوداء ولابيضاء : أي كلمة قبيحة ولا حسنة .

٥ ـ الخيط الأبيض : أول ضوء النهار .

٦ ـ صحيفته بيضاء : ذو سمعة طيبة ولا مغمز عليه .

٧ ـ كذبة بيضاء : لا ضرر منها .

٨ ـ انقلاب أبيض : لم يستخدم فيه السلاح ولم يقع فيه قتلى .

٩ ـ الكتاب الأبيض : (ترجمة عن الانجليزية) .

١٠ ـ نهارك أبيض : (تحية شائعة في مصر) .

١١ ـ رفع الراية البيضاء : استسلم وأعلن الطاعة .

١٢ ـ يا خبر أبيض : (بالنسبة للأخبار السيئة) يعني : أسود .

١٣ ـ قلبه أبيض .

ومن الأمثال أو الاستخدامات الشائعة :

القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود .

ما عنده لا أبيض ولا أسود .

أعطاه شيكا على بياض .

وقد ورد اللفظ مثنى في الاستعمال العربي القديم ، فقالوا : الأبيضان قصدوا بهما : الماء والحنطة ، أو عرقي الوريد ، أو عرقين في البطن لبياضهما ، أو الشحم والشباب ، أو الخبز والماء ، أو الماء واللبن ، او

الشحم واللبن . كما قصدوا بهما يومين أو شهرين في مثل قولهم : ما رأيته مذ أبيضان[١] .

وقد ورد لفظ White كذلك في اللغة الانجليزية في تعبيرات وتركيبات متنوعة لمح فيها أصل المعنى أو إيحاءات اللفظ . ومن ذلك :

white book : الكتاب الأبيض ، وهو يطلق سياسيا على تقرير أو كتاب تصدره الدولة حول قضية ما . ومثله : White paper.

white cap : ذو القلنسوة البيضاء . عضو في لجنة غير شرعية تهدف إلى اضطهاد خصومها .

Whitehall : مقر الحكومة البريطانية .

White House : المقر الرسمي لرئيس الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية

white flag : الراية البيضاء . علامة التسليم والإذعان .

white collared : ذو الياقة البيضاء . إشارة الى موظفي المكاتب.

white elephent : يطلق على ملكية لشيء لا يدر فائدة .

white lie : كذبة بيضاء ، لا تحدث ضررا .

white lipped : ذو شفة بيضاء . مجاز عن الخوف .

white Sheet : في التعبير : Stand in white Sheet وتعنى اعترف بذنوبك أو أخطائك .

white bread : الخبز المصنوع من الدقيق الصافي في مقابل brown bread[١]

---

(١) راجع في كل ما سبق : لسان العرب ـ المعجم الوسيط ـ Hans Wehr ـ سعيد بدوي .

(٢) راجع في كل ما سبق : Oxford English Dictionary ؛ المورد ، مادة «White» ؛ English Idioms ص ٧٥ ؛ The Art of color ص ٤٠٧ .

الأسود :

استعمله العرب القدماء في تعبيرات مثل :

١ ـ أتاني القوم أسودهم وأحمرهم ، يعنون : عربهم وعجمهم .

٢ ـ سواد القوم معظمهم ، وسواد الناس عوامهم وكل عدد كثير .

٣ ـ السواد جماعة النخل والشجر لخضرته .

٤ ـ سواد الكوفة والبصرة قراهما .

٥ ـ السواد المال الكثير .

٦ ـ كلمته فما رد عليّ سوداء ولا بيضاء : أي كلمة قبيحة ولا حسنة ، أي ما رد شيئاً .

٧ ـ لا يزايل سوادي بياضَك : أي لا يزايل شخصي شخصك .

٨ ـ لا يفارق سوادي سواده : أي عيني شخصه .

وورد لفظ « أسود » مثنى في الاستعمال القديم كذلك ، فقالوا الأسودان وعنوا : الحية والعقرب ، أو التمر والماء ، أو الماء واللبن ، أو الماء والفث ، أو الحَرّة والليل .

ومن التعبيرات الشائعة الاستخدام :

أ ـ سود الأكباد : وصف يطلق على الأعداء .
ب ـ أسود القلب : وصف يدل على الحقد والكراهية .
جـ ـ حظه أسود .
د ـ نهاره أسود .
هـ ـ سنته سوداء .
و ـ توصف الغنم بأنها سود البطون إذا كانت مهازيل .
ز ـ جاء الوزير وعليه سواده : عليه لبسه الرسمي .

ح ـ رفع الراية السوداء : حذّر من الخطر .
ط ـ علشان سواد عينيك (من أجل سواد عينيك ـ في العامية المصرية) : مراعاة لخاطرك .

ولتشاؤم العوام من النطق بلفظ أسود نجدهم في مصر يغيرون اللفظ فيقولون : يا نهار اسوح ـ يا نهار اسوخ ، وأحيانا يضعون الأبيض مكان الأسود فيقولون يا نهار أبيض ، ويا خبر أبيض (بالنسبة للأخبار السيئة المحزنة)[1] .

وقد ورد لفظ black في اللغة الانجليزية في تعبيرات كثيرة منها :

black list	: القائمة السوداء = قائمة الممنوعين أو الخطرين
blackmail	: ابتزاز المال تحت التهديد بفضيحة .
black market	: سوق سوداء = حركة تجارية غير قانونية أو البيع بأكثر من السعر المحدد .
black Sheep	: تطلق مجازا على الشخص ذي السمعة السيئة بين أقرانه .
black and white	: الطباعة أو التصوير بدون ألوان .
black hearted	: شرير ـ أسود القلب .
black Shirt	: القميص الأسود ، علامة العضوية في منظمة إيطالية فاشية (سابقا) .
black widow	: الأرملة السوداء : أنثى ضرب من العناكب تلتهم ذكورها .
black look	: نظرة غاضبة .
black tidings	: أخبار سيئة[2] .

---

(١) مراجع « الأبيض » .
(٢) مراجع White ؛ Color Psychology ص ١٣٠ .

الأصفر :

على الرغم من كثرة ما كتب عن اللون الأصفر في العصر العباسي ، وحلوله محلا كبيرا غطى على كل الألوان الأخرى[1] ، لم تذكر المعاجم القديمة إلا تعبيرات قليلة ورد فيها هذا اللون .

فقد أطلق العرب على الذهب اسم الأصفر والصفراء . وقالوا : الأصفران وأرادوا الذهب والزعفران ، أو الورس والذهب . وفي المثل : أهلك الناس الأصفران . ويقال: ما لفلان صفراء ولا بيضاء ، أي ذهب ولا فضة . ويقال : فلان مصفر استه ، إذا كان متنعما مترفا لم تحنكه التجارب والشدائد . ويقولون : فلان يلبس المورَّس (المصبوغ بالورس ، وهو نبت أصفر يصبغ به) إذا كان خليعا فاجرا .

وقد ورد هذا اللون في تعبيرات حديثة مثل قولهم :

١ ـ أصفر الوجه : ويعنون من المرض والذبول .

٢ ـ ضحكة صفراء : إذا كانت بمرارة أو منتزعة انتزاعا .

٣ ـ أرض صفراء : إذا كان ترابها مختلطا برمل[2] .

٤ ـ عين صفراء : للعين الحقودة الحاسدة .

٥ ـ السراية الصفراء : لمستشفى الأمراض العقلية (في مصر)

٦ ـ الملازم الصفراء : إشارة إلى الكتب التقليدية التي كان يدرسها الأزهريون .

ومن التعبيرات الشائعة التي ورد فيها لفظ yellow في اللغة الإنجليزية :

---

(١) فيض الخاطر ٣٢٢/١ .

(٢) انظر مراجع أبيض ، فيض الخاطر ٣٢٦/١ .

yellow press yellow journalism	صحافة معنيَّة بالفضائح والأخبار المثيرة
yellow dog	: حقير وغد جدير بالازدراء .
yellow-dog contract	: عقد استخدام يتعهد فيه العامل بعدم الانضمام إلى أي اتحاد أو نقابة خلال فترة التعاقد (وهو الآن غير قانوني) .
yellow flag	: رمز الوباء .
yellow streak	: في قولهم : having a yellow streak . . . . : يتصرف بغدر وجبن[1] .

الأحمر :

ارتبطت كثير من تعبيرات الأحمر في اللغة العربية بالمشقة والشدة من ناحية ، أخذا من لون الدم ، وبالمتع الجنسية من ناحية أخرى ، وإن ظهر الأخير في الاستعمالات الحديثة فقط .

فمن التعبيرات العربية القديمة :

١ ـ أحمرّ البائس : اشتد القتال وصار في الهول والشدة مثل السبع .

٢ ـ الموت الأحمر : الشديد ؛ إما من القتل ، أو من لون بعض السباع .

٣ ـ حمراء الظهيرة : شدة الحر .

٤ ـ حمراء النعم : كرائمها .

٥ ـ حمراء الشدقين : المرأة سقطت أسنانها من الكبر فلم يبق إلا حمرة لثاتها .

---

(١) مراجع White ؛ معجم وبستر ؛ The Art of Color ص ٤٠٤ ؛ Color Psychology ص ١٧٠ ؛ . . Colours ص ٢٦ .

٦ ـ حمراء العِجان : كلمة تقولها العرب في السب والذم .

٧ ـ جاء بغنمه حمر الكلى ، سود البطون : مهازيل .

٨ ـ فلان أحمر : لا سلاح معه .

٩ ـ ابن الحمراء : ابن الأمة .

١٠ ـ أتاني كل أسود وأحمر : جميع الناس عربهم وعجمهم .

١١ ـ في الحديث : بعثت إلى الأحمر والأسود : يعني العجم والعرب ، أو الإنس والجن .

١٢ ـ في الأمثال : الحسن أحمر : بمعنى أن الحسن في الحمرة ، أو أن الوصول إليه يكون بمشقة وصبر على المكاره .

واستعمل العرب اللفظ مثنى وأرادوا به : الذهب والزعفران ، أو الخبز واللحم ، أو اللحم والخمر . واستعملوه جمعاً فقالوا : الأحامرة بإضافة الخَلوق .

ومن الاستعمالات الحديثة :

١ ـ أمضى ليلة حمراء } خليعة ماجنة .
قضى سهرة حمراء }

٢ ـ الضوء الأحمر (في المكاتب) دلالة على الانشغال (وفي الطرق) علامة الخطر .

٣ ـ الحرية الحمراء : الحرية التي تنتزع من المستعمر بعد معارك دموية .

٤ ـ أظهر له العين الحمراء : تهدده وتوعده .

٥ ـ ولا الجن الأحمر : يستخدم عند استحالة الحصول على الشيء .

٦ ـ الشمع الأحمر : في مثل قولهم : ختم بالشمع الأحمر ، علامة الإغلاق عن طريق جهة رسمية .

٧ ـ الصليب الأحمر : منظمة دولية تعني بجرحى الحرب وضحايا الكوارث .

٨ ـ الهلال الأحمر : منظمة إسلامية تقابل منظمة الصليب الأحمر[١] .

ومن التعبيرات الشائعة لكلمة red في اللغة الإنجليزية .

Reds / Red Indians	هنود أمريكا الشمالية .
in the red	: بمعنى خاسر نقودا أو مستدين
to see red	: بمعنى تكون أو تصبح غاضبا .
red hat	: القبعة الرسمية أو قبعة الكاردينال ، وهي تشير إلى مركز أو درجة عالية .
Paint.. red	: في مثل : to paint the town red بمعنى أن تتمتع بوقت صاخب مرح .
red- handed	: متلبس في حال ارتكاب الجريمة .
a red letter day	: يوم مليء بالبهجة والسرور (أخذا من عادة النتائج كتابة أيام الأعياد الرسمية والإجازات الدينية بحروف حمراء) .
Redbrick	: اسم يطلق على أي جامعة حديثة في بريطانيا
red flag	: علامة الخطر
red light	: انظر (الضوء الأحمر) .
Red Cross	: (انظر الصليب الأحمر) .
Red Crescent	: (انظر الهلال الأحمر)[٢] .

(١) المراجع السابقة .

(٢) مراجع Yellow ، English Idioms ص ٦٩ ، ٢٣٢ .

الأزرق :

الزرقة من الألوان غير المحددة عند العرب ، فهي عندهم البياض ، وهي الخضرة ، وهي الصفرة ، وهي الكدرة ، وهي اللون الضارب الى الحمرة[1] . ومن أجل هذا لم يرد لفظ الأزرق إلا في تعبيرات قليلة مثل تسمية الأسنة : زُرْقا ، والخمر : زرقاء[2] .

أما في الاستعمال الحديث فهناك عدة تعبيرات شائعة في عربية مصر مثل :

أزرق زي النيلة : سيء مكروه .
عضمة زرقا : كلمة سب للقبطي .
نابه أزرق : ماكر بارع .
طلّع البلا الازرق على جتّته : ضايقه بشدة أو حطمه .
العفريت الازرق (أو العفاريت الزُّرق) بيتنطط أدام عيني : مغتاظ ومتوتر .
ازرقّ وشه : حالة اغماء[3] .
يا نهار أزرق : بدلا من : يا نهار أسود .
دمه ازرق : إشارة الى الارستقراطية .
من ذوي القمصان الزرقاء : شعار حزب الوفد أيام الملكية في مصر .

وفي الانجليزية نجد كلمة blue في تعبيرات كثيرة مثل :

blue blood (انظر دمه أزرق)
blue book : اسم اعطى للتقارير البرلمانية الرسمية في بريطانيا

---

(١) لسان العرب : زرق .
(٢) لسان العرب ـ المعجم الوسيط .
(٣) معجم سعيد بدوي .

blue devils blue mood feeling blue blues	لحالات الاغتمام والحزن والكآبة .
blue Monday	: وصف ليوم الاثنين الذي يأتي بعد عطلة ويكون غير مبهج .
true blue	: مخلص وفي .
blue day	: خال من البهجة والانشراح .
blue cheese	: جبنة تشبه الركفورت .
blue pencil	: قلم المصحح أو المحرر .
blue cross	: جمعية للرفق بالحيوان .
blue moon	: في مثل : in a blue moon: في الندرة .
blue ribbon	: علامة التميز والحصول على المرتبة الأولى .
blue jokes	: قفشات غير ملائمة[1] .

الأخضر :

الأخضر هو لون الخصب والرزق في اللغة العربية ، كما في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » . وهو لون النعيم في الآخرة ، كما في قوله تعالى : « عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق » وقوله : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » ، كما انه لون الغضاضة وعدم النضج .

وقد وردت معظم تعبيراته القديمة مرتبطة بهذه المعاني ، كما في قول العرب :

١ ـ أباد الله خضراءهم : أي سوادهم ومعظمهم .

---

(١) English Idioms ص ٥٣ ، ويستر ؛ An Introduction to color ص ١ ؛ Colours ص ٢٦ ؛ The Art of color ص ٤٠٦ ؛ Color Psychology ص ١٧٠ .

٢ ـ الخضيرة : المرأة التي لا تكاد تتم حملا حتى تسقطه .

٣ ـ في حديث القبر : يملأ عليه خضِراً : أي نِعَماً غضة .

٤ ـ كتيبة خضراء : يعلوها سواد الحديد .

٥ ـ في الحديث : ما أظلت الخضراء . . أصدق لهجة من أبي ذر : اي السماء .

٦ ـ فلان أخضر القفا : أمه سوداء .

٧ ـ فلان أخضر البطن : الحائك لأن بطنه يلزق بخشبته فتسوده .

٨ ـ فلان أخضر النواجد : للذي يأكل البصل والكراث .

٩ ـ الخضراء من الطيور : الدواجن .

١٠ ـ في الحديث : إياكم وخضراء الدمن : المرأة الحسناء في منبت السوء . شبهها بالشجرة الناضرة في دِمْنة البعر .

١١ ـ الأمر بيننا أخضر : جديد .

١٢ ـ الخضراء : الدلو إذا استقي بها زمانا حتى اخضرّت .

١٣ ـ الأخضر : سعف النخل وجريده .

١٤ ـ الأخاضر : الذهب واللحم والخمر .

١٥ ـ جَنّ عليه أخضر الجناحين } الليل .
١٦ ـ طار عنا أخضر الجناحين . }

١٧ ـ فلان أخضر : كثير الخير .

١٨ ـ هم خُضْر المناكب : أي في خصب عظيم[١] .

---

(١) لسان العرب ـ المعجم الوسيط .

ومن التعبيرات الحديثة :

١ - أتى على الأخضر واليابس : دمر كل شيء .

٢ - نفسه خضراء : مؤدب غير مدّع .

٣ - طلعت له الأسنان الخضراء : حينما تنبت للعجوز سنّ.

٤ - السمك الأخضر : الطازج غير المملّح .

٥ - السنة الخضراء : المخصبة ذات الخير .

٦ - اليد الخضراء : الكريمة الخيرة .

٧ - قدم خضراء : تجلب السعد[١] .

٨ - الخط الأخضر : في مناطق الجمارك (لمن لا يحمل بضائع تستحق أن يدفع جمارك عليها) .

٩ - الضوء الأخضر : علامة الأمان او الاذن .

وتكثر في الإنجليزية ورود كلمة green في تعبيرات معينة ، فمن ذلك :

green winter green Christmas green December	معتدل .
green memories	: مفعم بالحياة والقوة .
green hand	: شخص غير ناضج تعوزه الخبرة .
green- eyed	: حسود .
green power	: النقود .
green old age	: الشخص العجوز الذي ما يزال يتمتع بحيوية الشباب .

---

(١) معجم سعيد بدوي .

greenhorn	: غِرّ ، قليل الخبرة .
green room	: حَجرة استراحة الممثلين في المسرح .
greenhouse	: بيت زجاجي لزراعة النباتات .
green Sea	: بحر أو موجات عالية هائجة .
green fingers	: ماهر في الزراعة .
green stuff	: الخضراوات[1] .

---

(١) ويستر؛ English Idioms ص ٦٢ ؛ المورد ؛ The Advanced Learner's dictionary .

الفصل السابع

ألفاظ الألوان والمصادر الطبيعية

أ ـ في اللغة العربية :

استوحى العرب كثيرا من ألفاظ الألوان ، وتلك ظاهرة عامة في اللغات ـ من المصادر الطبيعية ، والمعادن ، والنباتات ، والموجودات المحيطة بهم ، والمشاهدات الحسية في البيئة التي عاشوا فيها .

وأمثلة ذلك كثيرة نقتضب منها ما يلي :

النبات :

* **من الخُطْبان** (وهو الحنظل إذا اصفّر وصار فيه خطوط خُضْر) **قالوا : أخطب .**

* **من التِّبْن قالوا** : ثوب متبَّن لما كان يشبه لون التبن .

* **من الأرجوان** (وهو شجر له نَوْر أحمر) قالوا : أرجوان لصبغ أحمر شديد الحمرة . واستخدموا اللفظ كذلك وصفا لما كان لونه أحمر .

* **من الإضريج** : (وهو صبغ أحمر) قالوا : مضرَّج .

* **من العَنَم** (وهو شجر له ثمر أحمر) قالوا : مُعنَّم .

* **من الوَرْد قالوا** : مورَّد لما صبغ على لون الوَرْد . وأطلقوا اللفظ نفسه على ما كانت حمرته تضرب إلى صفرَة حسنة .

* من القِرْفِ (وهو لحاء الشجر) أو القَرْف (وهو أديم أحمر) قالوا : أحمر قِرف إذا كان شديد الحمرة .

* من الفُوَّة (وهي عروق نبات في رأسه حب أحمر شديد الحمرة) قالوا : المفوَّى ، وهو الأحمر .

* من الشقِر (وهو شقائق النعمان) قالوا : أشقر .

* من البقَّم (وهو شجر يصبغ به ، وقال الجوهري : البقَّم صبغ معروف وهو العندم) قالوا : ثوب مبقَّم إذا كان أحمر .

* من الفَقْع والفِقْع (وهو الأبيض الرخو من الكمأة) قالوا : فقِّيع لجنس أبيض من الحمام . كما سموا شدة البياض فَقَعاً .

المعادن والحجارة :

* من الفحم قالوا : فاحم وفحيم للشديد السواد .

* من المَغْرة والمَغَرة (وهي طين أحمر) قالوا : مُمَغَّر إذا كان مصبوغا بالمغرة

* من الملح قالوا: أملح .

* من الرماد قالوا : أرمد .

الحيوانات والطيور والحشرات :

* من البرغوث اشتقت البرغثة وهي لون شبيه بالطُّحْلة .

* من الغراب قالوا : غرابيّ .

* من الغداف (وهو الغراب) قالوا : غُدافيّ .

* من ابن عرس قالوا : عِرْسيّ لضرب من الصبغ .

أجزاء البدن :

* من الطحال قالوا : أطحل .

* من الفَدْم (الثقيل من الدم) قالوا : المُفَدَّم ، وهو المشبع حمرة ، أو الذي ليست حمرته بشديدة .

محسوسات أخرى :

* من الدخان قالوا : أدخن ، وهو ما كان لونه يجمع بين الكدرة والسواد .

* من الصحراء قالوا : أصحر ، وهو ما كان لونه يجمع بين الغبرة والحمرة الخفيفة إلى بياض قليل .

* من الدبس (وهو عسل التمر وعصارته) قالوا : أدبس ، لما كانت حمرته مشوبه بسواد .

* من الصدأ قالوا : الأصدأ للأسود المشرب بحمرة .

* من الصقالبة (وهم جيل حمر الألوان صُهب الشعور) قالوا : صِقلاب وهو الرجل الأبيض أو الأحمر .

* من العَفَر والعفْر (وهو التراب) قالوا : أعفر ، لما جمع بين الغبرة والحمرة .

* من سَفْع النار (لفحها لفحا يسيرا يؤدي إلى تغيير لون البشرة) قالوا : أسفع .

* من حُمرة الغضب قالوا : أغضب للأحمر الشديد الحمرة[1] .

---

(١) وهناك احتمال آخر : أن يكون مشتقا من الغَضْبة ، وهي الصخرة الحمراء (الملمع ص ٨٦) .

* من القمر قالوا : أقمر للأبيض .

* من الزبرقان (وهو القمر أو ليلة خمس عشرة) قالوا : زبرق ثوبه إذا صفّره .

ب ـ في اللغات الأخرى :

توجد أمثلة كثيرة في اللغات لأسماء ألوان اشتقت من مواد طبيعية ، وتتساوى في ذلك اللغات القديمة والحديثة ، البدائية منها والمتحضرة . ومن ذلك :

١ ـ كلمة red يمكن أن يربط اشتقاقها بكلمة bloodفي كثير من اللغات[١] . ففي السنسكريتية كلمة rudhira تعني دم . وقد ظهر جزؤ ها الأولى في الإغريقية واللاتينية بمعنى أحمر . كما ظهر في كلمة red في لغات حديثة كثيرة ، مثل الألمانية rot والدانمركية rod . وحتى عند الإسكيمو نجد الكلمة الدالة على الأحمر عندهم مأخوذة من كلمة الدم[٢] .

٢ ـ كلمة black يمكن ربطها في كثير من اللغات بكلمات مثل : charcool و nightو darkness[٣] . وكذلك كلمة whiteترتبط في كثير من اللغات بكلمات مثل day و light . فأبيض في اللاتينية candidusمأخوذة من السنسكريتية candra (ضوء) . وفي الروسية belyi((أبيض) مشتق من الجذر bhe (يضيء) . وفي الإنجليزية whiteمأخوذة من الجرمانية xwitaz المرتبطة بالروسية svet (ضوء) . وأسود في الألمانية schwarzترتبط بالجرمانية الشمالية sortna (يظلم) ، واللاتينية suasum (مكان مظلم) ، والإنجليزية القديمة swart تعني ظلام وأسود[٤] .

---

(١) Basic color terms ص ٣٨ .
(٢) Methuen Handbook ص ١٣٧ .
(٣) المرجع قبل السابق ص ٣٨ .
(٤) Methuen Handbook ص ١٣٧ .

٣ ـ كلمة Kijani (أخضر) في اللغة السواحيلية يمكن تفسيرها بـ leaf green [(١)] . وكلمة Kijivu (رمادي) تعود الى الرماد [(١)] . وكلمة Chungwa (برتقالي) تعود الى ثمرة البرتقال [(١)] . وكلمة Kimangano (أصفر) تعود الى نبات الكركم [(١)] . وهي في كثير من اللغات تعود إلى أسماء الفواكه أو التبن أو الذهب أو النار أو مادة الصفراء التي تفرزها الكبد [(٢)] .

وتوجد في اللغة الإنجليزية أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة ، ومن ذلك :

١ ـ من أحجار ثمينة :

emerald (من الزمرد) ـ lazuli (من اللازورد) ruby (من الياقوت) ـ amber (من الكهرمان) .

٢ ـ من أزهار :

.violet - lavander - mauve- lilac - Pink - rose.

٣ ـ من فواكه :

pomegranate (رمان) ـ lemon ـ cherry ـ plum ـ Cerise ـ apricot ـ apple green .

٤ ـ من السمك والمحار والطيور :

. cardinal - canary- purple- salmon.

٥ ـ من معادن :

.bronze-platinum blonde- malachite green ـ copper ـ gold ـ Silver

٦ ـ من الحشرات والديدان :

. carmine ـ vermilion ـ crimson

---

(١) Basic color Terms ص ٤٠ .

(٢) Methuen Handbook ص ١٣٨ .

٧ من منتجات الإنسان :

chocolate - wine red - brick red .

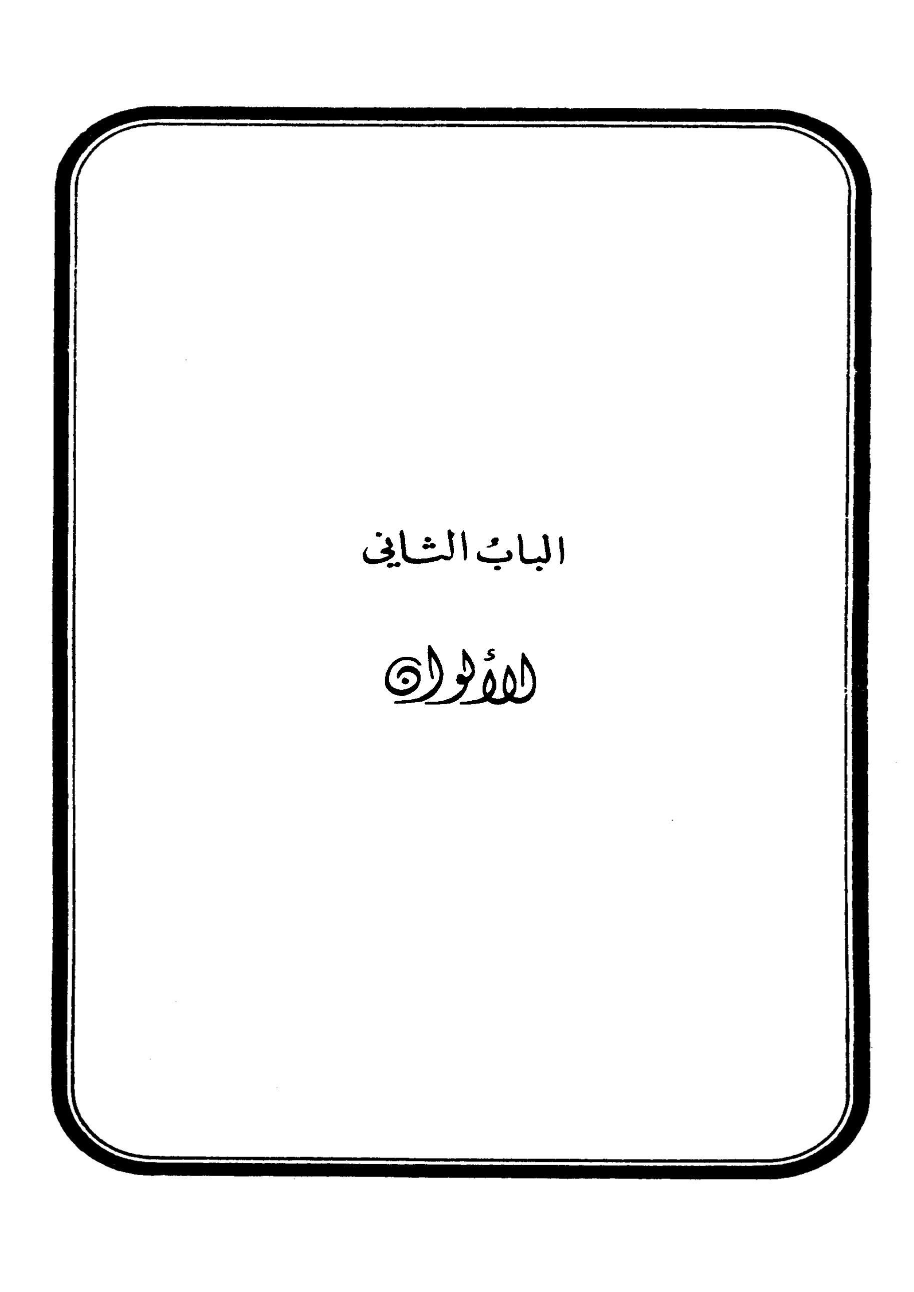
٨ - من أسماء جغرافية :

Berlin blue - Copenhagen blue - Magenta - Spanish green - Naples yellow - Nile .

٩ - من الطبيعة :

spring green - Sky blue - fire red[1] .

(١) Methuen Handbook ص ١٣٩ ؛ Colour and Colour Terminology ص٢٦ ; A Dictionary of color ص ١٨ ، ١٩ ؛ Principles of color ص ٥٣ .



الباب الثاني

الألوان

الفصل الأول

تميز الألوان

كيف يتم الإحساس بالألوان

يختلف الناس في إحساسهم بالألوان من العمى الكامل إلى الحساسية البالغة التي تصل إلى حد الإرهاف[1] .

إن عدد الألوان قد أوصله بعضهم إلى بضعة ملايين[2] ، ولكن العين العادية يمكنها أن تميز حوالي ١٨٠ درجة من اللون[3] ، لا يستطيع الشخص المتوسط أن يعطى لها أكثر من ٣٠ لفظا[4] .

وللإحساس بالألوان شروط لا بد من تحققها ، بعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه ، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل إلى العين ، وطول موجته ، وزاويته ، ولونه . . .

وهناك أكثر من نظرية تتعلق بالإحساس اللوني مثل :

١ - نظرية المقابلاتOpponent heory التي طرحها E. Hering منذ أكثر

---

(١) The Art of Color ص ٤٠٠ .

(٢) Color Psychology ص ١٨١ ؛ Methuen Handbook ص ٧ A study in Language ص ٤٥٧ ؛ Color Psychology ص ١٨١ ؛ Theory and Practice ص ٦٨ .

(٣) Color Psychology ص ١٨١ ؛ Principles of color ص ٥٠ .

(٤) المرجع قبل السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

من قرن . وتقول هذه النظرية إن رؤية اللون تقوم على ثلاثة ثنائيات تستجيب للمنبهات : أبيض وأسود (أو ضوء وظلام) - أصفر وأزرق - أحمر وأخضر . ولأن صاحبها يرى أن إدراك اللون يتركز في الشبكية فقد اقترح ثلاثة أجزاء شبكية ينتج انقسامها إدراك أول ألوان الثنائيات (أبيض - أصفر - أحمر) ، وينتج تجمعها إدراك الثاني (أسود - أزرق - أخضر) .

ومال كثير من العلماء في السنوات العشرين الأخيرة إلى هـذه النظرية [١] .

٢ - وهناك نظرية الإبصار الثلاثي للون ، أو نظرية العناصر الثلاثة three component theory [٢] التي قدمها عالم الطبيعة الإنجليزي Thomas Young في أوائل القرن التاسع عشر ، وقام بتعديلها بعد أكثر من نصف قرن Helmboltz . وتقول هذه النظرية بوجود ثلاث عمليات ميكانيكية لإدراك الألوان ؛ واحدة لكل لون من الألوان الثلاثة : الأحمر والأخضر والأزرق . وتتم هذه العمليات الثلاثة في شبكية العين ،ومن خلال مخروطاتها الحساسة للون تبعا لطول موجة الضوء . هذه المخروطات ذات أنواع ثلاثة من ناحية إحساسها الضوئي ؛ فنوع شديد الحساسية للموجات الطويلة (منطقة الأحمر) ، ونوع للموجات المتوسطة (منطقة الأخضر) ، ونوع للموجات القصيرة (منطقة الأزرق) . أما الإحساس باللون الأصفر - وحيث لا توجد حساسية لهذا اللون في المخروطات - فيتم عن طريق خليط من الأحمر مع الأخضر [٣] .

وبمرور الوقت كسبت نظرية الإبصار الثلاثي للون مؤيدين كثيرين [٤] ،

---

(١) colour and Life ص ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ A Linguistic Approach ص ٢٦٥ ؛ Psychology and Language ص ٥٢٦ .

(٢) Theory and practice ص ١٦٧ .

(٣) Colour and life ص ١٠١ ، Colour, its principles ص ٥٦ ، ٥٧ ؛ The Psychology of Perception ص ٧١ .

(٤) المرجع قبل السابق ص ٥٦ .

وبخاصة بعد أن أثبتت كثير من الأبحاث صحتها .

أ ـ فقد أثبتت أبحاث Sir William Abney التي نشرت عام ١٩٠١ أن المخروط الحساس للأزرق يستجيب عند ضوء يتموج من ٤٠٠ إلى ٤٦٠ n m

وأن المخروط الحساس للأخضر يستجيب عند ضوء يتموج من ٤٦٠ إلى ٦٥٠ n m

وأن المخروط الحساس للأحمر يستجيب عند ضوء يتموج من ٤٥٠ إلى ٧٠٠ n m[١] .

ب ـ كذلك أثبتت أبحاث Rogner Granit في الأربعينات حساسية أجزاء من العين تجاه أطوال موجات مختلفة[٢] .

جـ ـ وفي عام ١٩٦٤ استطاع عالمان أمريكيان أن يحللا الخصائص الامتصاصية للصبغات المخروطية cone pigments كلا على حدة . وأثبتت ملاحظاتهما أن شبكية العين تملك نماذج ثلاثة رئيسية من الصبغات المخروطية تؤدي إلى إيجاد ثلاثة نماذج من وحدات الاستقبال ، ويرتبط كل منها بطول معين (موجات طويلة = أحمر ، موجات متوسطة = أخضر ، موجات قصيرة = أزرق)[٣] .

٣ ـ وهناك نظرية ثالثة تقول إن في العين حساسية لأربعة ألوان كأزواج هي :

الأحمر والأخضر ويدركهما جزء من العين ، ويريان خلال عَصَب بصري واحد .

الأزرق والأصفر ويدركهما جزء آخر من العين ، ويريان خلال عصب بصري آخر .

---

(١) المرجع ص ٥٧ . (٢) Colour and Life ص ١٠٦ . (٣) Lights and Pigments ص٢٤ .

وهناك جزء ثالث من العين يتعلق باللونين الأسود والأبيض .

واستدل أصحاب هذه النظرية على أن الألوان ترى كأزواج بعصبين مختلفين بما يأتي :

أ ـ النظر إلى الأحمر ثم الأبيض يولّد الأخضر ، والعكس .
ب ـ النظر إلى الأصفر ثم الأبيض يولد الأزرق ، والعكس .
جـ ـ عمى الألوان لا يكون في لون واحد أساسي ،ولا في ثلاثة ، بل إما في اثنين (أحمر وأخضر) ، أو (أصفر وأزرق) ، وإما في الاربعة[1] .

الإحساس المعيب بالألوان

يملك الإنسان العادي جهازا للرؤ ية يفوق أي جهاز يملكه أي مخلوق آخر على وجه الأرض . ومن تفوق هذا الجهاز قدرته على تمييز موجات الضوء التي تقع في مجال إمكاناته أي فيها بين ٣٨٠ و ٧٦٠ n m .

وللرؤ ية الملونة الكاملة شروط كثيرة منها وجود الضوء الكافي . فالرؤ ية تحت إضاءة منخفضة الدرجة (مثل الرؤ ية في إضاءة أقل من ١ , ٠ شمعة ـ قدم) لا تكون ملونة[2] . ومنهـا نوعية الضوء . ومنها اختيار الزاوية التي يأتي منها الضوء إلى الجسم المفحوص . ومنها عدم تأثر اللون بمجاورته للون آخر ، أو بإتباع لون آخر له دون فارق زمني كاف . هذا ـ بالطبع ـ بعد تحقـق سلامة الجهاز البصري ، ومراكز المخ المختصة .

وفقد هذه الشروط أو بعضها يؤدي إلى إحساس معيب بالألـوان defective colour vision . وقد يصل العيب إلى حد العمى الكامل فيوجد ما يسمى بعمى الألوان Colour blindness .

من هذا يتبين أن الإحساس المعيب بالألوان قد ينتج عن عوامل داخلية

---

(١) Colours and What they can do ص ١١ ، ٤٣ .
(٢) Colour and Life ص ١٠١ .

ترتبط بجهاز الإبصار في الإنسان . وقد ينتج عن عوامل خارجية لا تمس هذا الجهاز . ولسهولة التفريق بين النوعين سنسمي الأول عمى الألوان الدائم ونقسمه إلى نوعين : عمى جزئي ، وعمى كلي . ونسمي الثاني عمى الألوان المؤقت .

أ ـ عمى الألوان الدائم :

هذا النوع من العمى الدائم يتسبب عن خلل في جهاز الإبصار ، أو في مركز الإبصار بالمخ ، مما يمنع العين من أداء وظيفتها بالكامل مهما توافر لها من ظروف صحيحة للرؤية . ولا علاج ـ حتى الآن ـ لعمى الألوان الخِلْقي (اللهم إلا إذا كان عن طريق الجراحة) وإن حاول بعضهم ـ دون نجاح ـ أن يعالجه باستخدام العقاقير أو العلاج النفسي أو التدريب الخاص أو استخدام أنواع معينة من الطعام[١] .

أما عمى الألوان المكتسب فقد يكون بسبب مرض في العين ، أو بعض مراكز المخ ، أو بسبب تقدم السّن ، أو التعرض لنوع من التسمم ، أو فقر الدم ، أو نقص في بعض الفيتامينات ، أو التعرض لفترة طويلة أو مستويات عالية من الضوء اللامع ، وغالبا ما يصحبه خلل في الرؤية[٢] .

والنوع الشائع من عمى الألوان هو العمى الجزئي . وهو في أكثر حالاته يتعلق بالعجز في التمييز بين اللونين الأحمر والأخضر . وقد يصل الخلل إلى حد أن الشخص لا يرى الأحمر مطلقا بل يراه رماديا ، أو يرى الأخضر أصفر . وقد يظهر الخلل في شكل ظهور اللونين الأحمر والأخضر في صورة ضعيفة باهتة أقل إشراقا أو أكثر ميلا إلى الصفرة . ويقل وقوع العمى الجزئي بين اللونين الأزرق والأصفر . وقد يظهر الخلل في شكل ظهورهما رماديين أو غير لامعين[٣] .

---

(١) Color Psychology ص ٢٢٣ .

(٢) Color Psychology ص ٢٢٢ ؛ Lights and Pigments ص ٢٦ .

(٣) المرجع الأخير والصفحة ؛ Color Psychology ص ٢٢٣ ؛ . . Colours ص ٤٣ ؛ The Psychology of perception ص ٧٦ .

ومع ذلك توجد حالات يقع الخلط فيها بين :

* الأخضر والأزرق وتسمى monochromatism .
* الأحمر والأصفر والأخضر[1] .

أما عمى الألوان الكلي فهو نادر الحدوث ، ويمثل أخطر حالات عمى الألوان ، حيث يرى الشخص العالم في لون واحد بدرجتين فاتحة وقاتمة ، أو بدرجات ثلاث : بيضاء وسوداء ورمادية [2] .

وقد أثبتت الدراسات والإحصاءات أن نسبة عمى الألوان عند الرجال أعلى منها عند النساء ؛ إذ تبلغ عند الرجال ٨٪ وعند النساء أقل من ٢ / ١ ٪[3] ، على الرغم من أن عمى الألوان ينتقل عادة عن طريق النساء . ولذا فأبناء النساء اللواتي يعاني آباؤهن من عيوب إدراك الألوان يكون من المتوقع معاناتهم من عيب في إدراك الألوان وإن لم يكن بالضرورة نفس العيب الموجود عند الأجداد . وقد تعاني المرأة نفسها من بعض العيب في هذه الحالة ، وبخاصة إذا كان أبو أمها - وليس الأب فقط - يعاني كذلك من عيب في إدراك الألوان[4] .

وقد صمم العلماء أنواعا من الاختبارات لاكتشاف عمى الألوان . ومن أشهر هذه الاختبارات ترتيب مجموعات من النقط الحمراء والخضراء بشكل يكوّن أرقاما ، ووضع هذه النقط وسط أرضية منقوطة بنقط من ألوان أخرى . فالشخص ذو الإدراك اللوني العادي يمكن أن يقرأ الأرقام بسهولة . أما غيره فلا يمكنه أن يميز النقط الحمراء أو الخضراء من نقط الأرضية[5] .

وأهمية هذه الاختبارات تبدو في المهن التي تستخدم الألوان مثل الصباغة

---

(١) Lights and pigments ص ٢٦ ؛ Colour, its Principles ص ٥٩ .

(٢) نفس المرجعين والصفحتين .

(٣) Lights and Pigments ص ٢٦ ؛ Color Psychology ص ٢٢١ .

(٤) The Psychology of Perception ص ٧٧ .

(٥) The Psychology of Perception ص ٧٨ .

والزخرفة و « المودة » ، وفي المهن التي تستلزم تمييزا سريعا للإشارات اللونية مثل قوات الطيران والبحرية . كما أنها ضرورية بالنسبة لسائقي السيارات لتمييز إشارات المرور[1] .

د ـ عمى الألوان المؤقت :

هذا النوع من العمى المؤقت يكون نتيجة الإخلال بشرط من الشروط الخارجية الواجب توافرها لتمكين العين من أداء وظيفتها بدقة . فهو عجز من العين عن أداء وظيفتها وليس عمى في الحقيقة . وبزوال الخلل الخارجي تعود للعين قدرتها الطبيعية على تمييز الألوان . وأكثر حالات العجز أو العمى المؤقت تتمثل في الظواهر الآتية :

١ ـ الإشعاع اللوني Colour irradiation . وينتج عن نظر العين إلى لون ثم انتقالها منه مباشرة إلى لون آخر . فحين نظر العين إلى اللون الثاني تقع تحت تأثير اللون الأول . ومثل هذا يحدث إذا نظرت العين إلى لونين متجاورين في وقت واحد . وأمثلة ذلك كثيرة منها :

* إذا نظرنا الى دائرة بلون أحمر فاتح محاطة بأرضية سوداء فإن الدائرة الحمراء ستبدو أكثر لمعانا . ولكن إذا وضعنا نفس الدائرة وسط أرضية بيضاء أو ذات بريق لوني فستبدو أقل لمعانا . ومثل هذا يحدث مع الرمادي إذا وضعت وراءه خلفية سوداء ثم بيضاء[3] .

* إذا نظرنا إلى الأصفر لفترة (داخل مغارة مظلمة مثلا) وتأثرت أعيننا به ثم انتقلنا إلى ضوء النهار الطبيعي فسوف نرى لونه يميل إلى الزرقة[3] . وكذلك إذا نظرنا إلى الأحمر لفترة ثم انتقلنا إلى الأبيض أو إلى لون محايد فسنرى الأخضر ، والعكس[4] .

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٢) السابق ص ٧٥ ؛ Theory and Practice ص ١٣٨ .

(٣) الأخير والصفحة .

(٤) Colours and What They can do ص ١١ .

وهذه الظاهرة تعرف باسم الصورة البعدية afterimage حين ترى العين اللون المكمل للون الأول حين تنتقل منه إلى الأبيض[1] .

وتستغل نظرية الصورة البعدية في اختيار ألوان ملابس الجراحين ودهان حوائط غرفة العمليات حيث يكون الجميع في لون يحيّد الصورة البعدية الزرقاء والخضراء للعين الحمراء المرهقة ، وللأضواء الصفراء في الحجرة . فلأن الصور البعدية للونين الأحمر والأصفر سوف تظهر على الملابس والحوائط (لو كانت بيضاء) في لونين : أزرق وأخضر ، فإنه لتحييد هذه الصور تكون الملابس والحوائط خضراء - زرقاء[2] .

٢ - المزج البصري للألوان Optical Colour mixing . لما كان نظام الإبصار البشري غير قادر على نقل الومضات السريعة للإضاءة والإظلام من العين إلى العقل ، فإن إضاءة مصباح كهربائي وإطفاءه بسرعة تبدو في شكل إضاءة مستمرة بالنسبة للمشاهد العادي[3] ؛ ذلك لأن الاستجابة البصرية لومضة ضوئية تميل إلى أن تستمر إلى فترة ما بعد إطفاء الضوء . وتعرف هذه الظاهرة باسم استمرار الرؤية Persistence of Vision .

ومثل هذا يقال عن الألوان . فإذا عرض أمام مشاهد لونان يتحركان بسرعة فإن اللونين يتداخلان لعدم وجود الوقت الكافي لأي منها للاختفاء ، ولذا يتداخل اللونان ، ويكون الانطباع إدراك لون واحد مزيج من اللونين . ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي :

* إذا طلي قرص بألوان مختلفة وأدير بسرعة ، فإن الذي سيشاهد لون واحد هو مزيج من الألوان كلها .

* إذا أدير بسرعة قرص مكون من خانات بيضاء وأخرى سوداء فإن المزج

---

(١) قبل السابق والصفحة .
(٢) Theory and practice ص ١٤٧ .
(٣) Lights and Pigments ص ١١٤ .

البصري سيجعله يبدو رماديا في مظهره . وتختلف درجة رماديته على حسب نسب الأبيض والأسود .

* إذا قسم قرص إلى أقسام بعضها أحمر برتقالي وبعضها بنفسجي مشوب بزرقة فحين يدار القرص بسرعة ينتج إحساسا باللون الأحمر الأرجواني . وحين يكون اللونان أخضر وبنفسجيا مشوبا بزرقة ينتج إحساس باللون السماوي . وحين يكون اللونان أحمر برتقاليا وأخضر ينتج إحساس باللون الأصفر ، وهكذا[1] .

٣ ـ العَشَى dim- sightedness . ويتحقق حين يشاهد المرء الألوان في الظلام ، أو في ضوء خافت . وقد ثبت أن الرؤية تحت إضاءة منخفضة لا تكون ملونة . وقد يبدو الأحمر ـ تحت الضوء الخافت ـ قاتما أكثر من الواقع والأزرق فاتحا أكثر من الواقع[2] .

وأفضل رؤية للألوان ما كانت تحت ضوء أبيض خالص ، أو أبيض مشوب بصفرة لأنه أقرب إلى اللون الطبيعي . ويجب تجنب ضوء الشمس مباشرة ، ومواجهة الشمال بدلا من ذلك . كما يجب أن تواجه الإضاءة الجسم المفحوص من زاوية ٤٥ درجة[3] .

تمييز الألوان عند الحيوان

لا تقتصر أهمية اللون على الإنسان وحده . فاللون في كثير من عالم الحيوان أساس لحفظ النوع . وكثير من الحيوانات والطيور تأخذ الشكل الملائم للبيئة المحيطة بها . كما يشكل اللون جزءا من الحياة الجنسية للطيور والحشرات[4] .

---

(١) المرجع ص ١١٦ . وانظر الرسم التوضيحي مقابل ص ١٠٢ .
(٢) Color Psychology ص ٢٢٥ .
(٣) السابق والصفحة ؛ Colour, its principles ص ٣٤ ؛ Methuen Handbook ص ٨ .
(٤) المرجع قبل السابق ص ١ .

ورغم أن الإنسان يملك جهازا للرؤ ية يفوق أي جهاز يملكه أي مخلوق آخر فإنه لا يدرك من الألوان إلا ما يقع في مدى الأطوال الموجية التي تتروح بين ٣٨٠ و ٧٦٠ n m [١] ، وأقصرها البنفسجي وأطولها الأحمر . وتعجز العين البشرية عن إبصار الألوان التي تقع خارج هذا المجال (الألوان تحت الحمراء وفوق البنفسجية) [٢] .

وقد ثبت أن من الكائنات الحية الاخرى ما يبصر وراء هذا المجال . فمنطقة الحساسية عند النحل مثلا تتروح بين حوالي ٥٥٠ ملليمكرون millimicron (أصفر ـ أخضر) مرورا بمناطق الأخضر والأزرق والبنفسجي ، ووصولاً الى موجات قصيرة تبلغ ٢٥٠ ملليمكرون (فوق البنفسجي ultra-violet) [٣] ، وهو ما لا يمكن أن تميزه عين الإنسان . وهذه القدرة تفسر لنا لماذا تجذب بعض الورود الحمراء النحل على الرغم من أن الحشرات عمياء نحو اللون الأحمر ، لأن هذه الزهور تحمل انعكاسا قويا للون فوق البنفسجي [٤] .

كما ثبت أن من الكائنات الحية ما يرى خلال الظلام ، مثل القطة والبومة ، وهو ما تعجز عنه عين الإنسان . ومنها ما يرى في مواجهة ضوء الشمس مثل كلب المروج (حيوان امريكي من القوارض) ، والصقر ، وهو ما تعجز عنه كذلك عين الإنسان [٥] . ومع ذلك تظل الرؤ ية عند الإنسان أكمل منها عند الحيوان ، لأن الأخير تنقص رؤ يته العلاقة المعرفية المخية الموجودة عند الإنسان .

وتختلف الحيوانات في تمييزها للألوان :

---

(١) أو بين ٤٠٠ و ٧٠٠ ملليمكرون (Color psychology ص ٩٢ ، ٩٣) .

(٢) Lights and pigments ص ٢١ .

(٣) Color psychology ص ٩٢ ، ٩٣ .

(٤) Colour and life ص ٧٠ . وانظر ص ٩٢ .

(٥) Color psychology ص ٢٠٨ .

أ ـ فبعضها مصاب بعمى كامل للألوان مثل الكلب والثور ومعظم الحيوانات التي تسير على أربع[1] .

ب ـ وبعضها يملك نظام رؤ ية كاملا للألوان مثل القرد والغوريللا[2] .

د ـ وبعضها مثل النحل يدرك فقط الأصفر والأخضر المزرق والأزرق[3] ، بالإضافة إلى ادراكه اللون فوق البنفسجي كما سبق .

جـ ـ وبعضها يمكنه تمييز اللون الأخضر مثل آكلات أوراق الشجر ، وبعض انواع من الخنفساء[4] .

هـ ـ والمخلوقات النهارية تكون اكثر حساسية للإشعاع ذي الموجة الطويلة(الأحمر) . ، أما المخلوقات الليلية فتكون أكثر حساسية للإشعاع ذي الموجة القصيرة (الأزرق)[*] .

و ـ تستجيب عين الحشرة لمنطقة الأصفر وتكون حساسة للأخضر والأزرق والبنفسجي[6] .

ز ـ معظم الطيور عمياء للون الأزرق ، ولكنها ترى الأحمر بوضوح[6] .

وقد أخذت معظم الأدلة على إدراك الحيوانات للألوان من تجارب علماء الطبيعة وبعضها كان نتيجة تجارب مباشرة لاختبار مدى حساسية الحيوانات للألوان . ومن أشهر التجارب ما تم على النحل والغوريللا .

فبالنسبة للنحل أثبتت تجارب Lubbock (١٨٨١) إمكانية تدريب

---

(١) Colours ص ٢٤ ؛ The Art of Color ص ٣٢١ ؛ Color Psychology ص ٢٠٧ .

(٢) الأخير ص ١٠٦ .

(٣) قبل الأخير ص ٣٢١ ؛ Colour and Life ص ٧٠ .

(٤) الأخير ص ٧١ .

(*) Color Psychology ص ٢٠٧ .

(٦) السابق ص ٩٢ ، ١٠٣ .

النحل على البحث عن الطعام على لون معين بين ألوان متعددة[١] . وقدمت جهود Von Frisch (١٩١٥) الدليل على حساسية النحل للألوان . فقد عرض عليها طعاما على مربعات زرقاء أو صفراء موضوعة ضمن مربعات أخرى ذات ظلال رمادية تبلغ في عددها ١٥ مربعا . وغطى كل المربعات بزجاج حتى يمكن إبعاد عنصر الرائحة . وبعد فترة مرن النحل على زيارة المربع الأزرق رغم انه كان هناك ما يشبهه في اللون والبريق وهو الرمادي[٢] . وفعل Manning (١٩٥٦) شيئا مشابها إذ عرض قرصا مغطى بورق أزرق فحام النحل أو حط حول أطرافه . وحين وضعت وسط القرص رقع صفراء أو ذات خطوط صفراء حام عدد أكبر من النحل أو حط في منطقة الوسط[٣] .

وبالنسبة للقرود والغوريللا أثبتت التجارب تمييزها للألوان بل وتفضيلها لألوان معينة ، وقدرتها على تشكيل نماذج متناسقة منها ، مثل رصّ بعض المكعبات المختلفة الألوان في امتداد من اللون المتناسق ، ومثل استخدام القلم والورقة أو الطباشير الملون في إحداث نماذج مرسومة فيها قدر من الزخرفة وبُعد عن العشوائية[٤] .

كما أثبتت البحوث أن العلاقات بين الحيوانات خلال مطارحة الغرام وأثناء القتال وبين الأبوين وأطفالهما تقوم على أساس من العلاقات المتبادلة . فالفراش مثلا يستجيب للون الضوء المرسل ، وتنجذب ذكوره وإناثه . والببغاء الأسترالي يختلف ذكره عن أنثاه في لون الجزء المنتفخ فوق المنقار . فهو أزرق في الذكر ، وبني في الأنثى . وقد أثبتت التجارب أن هذا الطائر يعتمد على هذا الملمح في تمييز الجنس[٥] . وفي بعض الطيور يتميز الذكر عن الأنثى في اكتسائه ريشا ملونا[٦] .

---

(١) Colour and Life ص ٧٠ .
(٢) المرجع والصفحة .
(٣) Colour and Life ص ٩١ .
(٤) المرجع ص ٩٧ .
(٥) المرجع ص ٨٠ ، ٨٢ .
(٦) Colours ص ٢٥ .

وهناك أمثلة كثيرة تدل على أن بعض الحيوانات تملك أسس التذوق الجمالي : فطائر البطريق مثلا يهتم بالحجارة الحمراء ، وأثناء مطارحة الغرام يقدم الذكر لأنثاه قطع الحجارة لبناءالعش ، وتكون ذات ألوان مختلفة ، وتأخذ الحمراء منها اهتماما خاصا بالنسبة للأخريات . وهناك من الطيور ما يستخدم الأشياء الملونة لبناء أعشاشه (ألوان من الريش والأصداف والزهور مرتبة بطريقة معينة) مما قد يحولها أحيانا الى شبه صالة للفنون art-gallery . ولا يخلو هذا التلوين من غرضه الجنسي إذ يقوم بجذب الشريك إلى العش بتأثير شكله الزخرفي[1] .

أثر السن في تمييز الألوان

للون إغراء عند الاطفال . فهو يثير انتباههم في سن مبكرة جدا لا تتجاوز سن الرضاعة كما أن الاهتمام به يصاحب نموهم وتقدمهم في السن .

وللإجابة عن السؤال : متى يبدأ الطفل في التمييز بين الألوان ، وكيف يكتسب الالفاظ الدالة عليها يجب أن نفرق بين حالات ثلاث :

١ ـ مجرد التنبه إلى اللمعان والبريق الذي يميز بعض الألوان .

٢ ـ إدراك الفرق بين لون وآخر مع القدرة على تجميع الافراد المتشابهة في كل لون .

٣ ـ تمييز اللون مع ذكر اسمه والتفكير فيه عقليا .

أما بالنسبة للحالة الأولى فقد ثبت أن الطفل الرضيع يبدأ بتمييز التضاد ويتنبه إلى اشراق اللون ولمعانه قبل أن يتنبه إلى اللون نفسه . كما ثبت أن بصر الرضيع الذي تبلغ سنه خمسة عشر يوما فقط ينجذب نحو الألوان اللامعة . وقد أجرى بعض العلماء تجربة حرك فيها نقط ضوء ملونة (حمراء أو صفراء مثلا) على خلفية من لون آخر (أخضر مثلا) ، فلاحظ ان الرضع

---

(١) قبل السابق ص ٩٥ ، ٩٧ .

الذين لم تجاوز أعمارهم خمسة عشر يوما قد تابعوا النقطة المتحركة بأعينهم ، مما يدل على أن اللونين قد ميزا[١] .

وفي تجربة أخرى نظر الرضع من سنّ ثلاثة أشهر إلى قطعة من الورق ذات اللون اللامع أطول من نظرهم إلى ورقة اخرى ذات لون رمادي أو لون باهت[٢] .

وعرض C.W.Valentine حزما ملونة ، اثنتين اثنتين أمام رضع تبلغ أعمارهم ثلاثة أشهر ، وقاس طول الوقت الذي أعطى لكل حزمة ، وقد وجد أن الاطفال أداموا النظر إلى الأصفر اكثر من الأبيض . ويليهما الوردي ثم الأحمر . كما وجد أن اهتماما أقل قد وجه الى الأسود والأخضر والأزرق والبنفسجي[٣] .

وفي تجربة أخرى اجريت على أطفال رضع يبلغ عمرهم أربعة أشهر ، ثبت أنهم ينظرون للأحمر والأزرق أطول من نظرهم للرمادي[٤] .

واستمرت التجارب من سن ستة أشهر حتى أربعة عشر شهرا فأثبتت أن الاطفال يظهرون ميولا قوية نحو الوصول الى جسم ملون أكثر من الوصول الى جسم رمادي[٤] .

وقد ثبت من تجارب متعددة على بعض الشعوب المتخلفة أن مجموعات الألوان القائمة على أساس الإشراق واللمعان كانت اسهل في التعلم من مجموعات الألوان القائمة على أساس اختلاف اللون[٥] ، مما يقوي الفكـرة القائلة بسيطرة عنصر اللمعان على الطفل في أشهره الأولى .

---

(١) The lüscher ص ١٨ ؛ The psychology of perception ص ٩٢ .

(٢) الأخير والصفحة ؛ Color Psychology ص ١٧٥ .

(٣) الأخير والصفحة .

(٤) The Psychology of perception ص ٩٢ .

(٥) On the internal structure ص ١٢٢ .

وأما الحالة الثانية فتظهر عند الطفل حوالي الثالثة من عمره . وقد أجريت تجارب مختلفة لمعرفة ما اذا كان الطفل في أعماره المتتالية يعطي أهمية اكبر للشكل أو للون .

ففي إحدى هذه التجارب عرض على الأطفال قطعتان من الخشب من شكلين مختلفين ولونين مختلفين ، ثم وضع أمامهم قطعة ثالثة تماثل إحدى القطعتين في الشكل ، والأخرى في اللون ، وطلب من الأطفال أن يحددوا أي أفراد القطعتين الأوليين متشابه للقطعة الثالثة . وقد جاءت معظم إجابات الأطفال (من سنّ سنتين إلى سنتين ونصف) رابطة القطعة الثالثة بالقطعة المتفقة معها شكلا . وكررت التجربة على أطفال من أعمار متزايدة فتضاعف العدد الذي ربط على أساس اللون بزيادة السن حتى بلغ العدد ثلاثة أرباع الأطفال عند سنّ الرابعة والنصف[1] .

وكتب David Katz تقريرا عن تجربة أجريت على الأطفال من سنّ ٣ الى ٥ سنوات . وقد أعطى الأطفال عددا من المثلثات الحمراء والأقراص الخضراء وطلب منهم أن يختاروا ماذا يكون مثل « قرص أحمر » . ولم يتردد الأطفال في وضع المثلثات الحمراء مع القرص الأحمر، واعتبار التماثل أمرا متصلا باللون لا بالشكل[2] .

وقد لوحظ انه بعد هذا العمر قل تدريجيا الربط على أساس اللون ، إلى أن اختفى تماما عند سنّ البلوغ حين ربط الجميع على أساس الشكل[3] .

وفي تجربة أخرى عرض على الأطفال من ذوي السنتين عدد من المثلثات بألوان متعددة (أحمر ـ أزرق ـ أصفر ـ أخضر) وطلب من كل منهم شيئان :

---

(١) The psychology of Perception ص ٩٣ .

(٢) Color psychology ص ١٧٦ .

(٣)المرجع قبل السابق والصفحة .

أ ـ أن يجمع الأفراد المتشابهة من كل لون على حدة .

ب ـ أن يسمى لون كل مجموعة .

وقد جاءت إجابات السؤال الأول صحيحة بنسبة ٥٠٪ في حين جاءت إجابات السؤال الثاني صحيحة بنسبة ٢٥٪ ، مما يدل على أن تسمية الألوان تتأخر عن تمييزها[١] .

أما الحالة الثالثة التي تتعلق بإدراك الألوان والتمييز الدقيق بينها فلا تتم إلا بعد أن يقدر الطفل على تسمية اللون ، وتنتقل تصرفاته من مجرد ردود أفعال وحركات تلقائية إلى عمليات ذهنية . بل إن بعضهم يرى أن « تسمية الألوان تتطور في وقت متأخر عن تسمية الأشياء المألوفة في البيئة »[٢] .

وقد ذكر بعضهم أن الأحمر هو أسبق الألوان التي يمكن أن يسميها الطفل بدقة وأن الأزرق من الأسماء التي يتعلمها في وقت مبكر مع الأصفر والأخضر . وأن كثيرا من أسماء الألوان يتم اكتسابها نتيجة ارتباطها بأشياء معينة ، كارتباط اللون الأصفر بمحّ البيضة ، وارتباط الزرقة بالسماء ، والخضرة بالنبات[٣] .

وقد رتب بعضهم تدرج الالوان في عمر الطفولة على النحو التالي ملاحظا أن الميل يتجه الى البدء بالأحمر ذي الموجة الطويلة :

أحمر ـ أزرق ـ أخضر ـ بنفسجي ـ برتقالي ـ أصفر[٤] .

وربط هذا الترتيب بالترتيب الذي استنتجه T.R. Garth بالنسبة للشعوب المتخلفة . فقد وجد أن الهنود الأمريكيين يفضلون :

---

(١) ، (٢) ، (٣) المرجع السابق والصفحة .

(٤) Color Psychology ص ١٧٦ . ولكن مع البلوغ يأتي التفضيل لألوان ذات موجات قصيرة . ويصبح الترتيب كالآتي :
أزرق ـ أحمر ـ أخضر ـ بنفسجي ـ برتقالي ـ أصفر (المرجع نفسه والصفحة) .

الأحمر ـ الازرق ـ البنفسجي ـ الأخضر ـ البرتقالي ـ الأصفر .

وأن الفليبينيين يفضلون :

الأحمر ـ الأخضر ـ الأزرق ـ البنفسجي ـ البرتقالي ـ الأصفر .

وأن الزنوج يفضلون :

الأزرق ـ الأحمر ـ الأخضر ـ البنفسجي ـ البرتقالي ـ الأصفر[١] .

ولكن يبدو أن هذا الترتيب يرتبط أكثر ما يرتبط بتفضيل الألوان ، وليس باكتساب أسمائها . وهو أمر لم يقم الدليل على وجود ترتيب عالمي معين له .

وتعد الدراسة التي قدمتها Elsa Jaffe Baetlett في بحثها المعنون : The Acquisition of Meaning of Colour Terms واحدة من أفضل الدراسات التي قدمت في هذا المجال .

وفي هذه الدراسة انتهت ـ بعد التجريب والملاحظة ـ الى النتائج الآتية ؛

١ ـ أن الأطفال لا يكتسبون ألفاظ الألوان بترتيب يطابق ألفاظ الألوان الأولية سواء على القائمة التي اقترحها Berlin و Kayمن أحد عشر لفظا : أحمر ـ أخضر ـ أزرق ـ أصفر ـ برتقالي ـ أرجواني ـ وردي ـ بني ـ أسود ـ أبيض ـ رمادي .

أو على حسب القائمة التي اقترحها علماء الدراسات التاريخية الأنثروبولوجية من ستة ألفاظ وهي :

أسود ـ أبيض ـ أحمر ـ أخضر ـ أصفر ـ أزرق .

وقد أثبتت التجارب بطلان دعوى Miller و Johnson- Lairdو Mc Daniel عن أهمية الالوان الستة السابقة في عملية الاكتساب عند

---

(١) المرجع السابق والصفحة .

الأطفال ، أو عن مطابقة عملية الاكتساب عند الاطفال لعملية التطور التاريخي لنمو ألفاظ الألوان .

٢ ـ أن الأطفال في اكتسابهم للألفاظ يدخلون في قائمتهم بعضا من ألفاظ الألوان الثانوية مع الأولية بالنسبة للألفاظ الستة الأولى .

٣ ـ أن ترتيب الألفاظ الأولية عند الأطفال جاء على النحو التالي :

أزرق ـ أخضر ـ أحمر ـ اصفر ـ وردي ـ أسود ـ أبيض ـ برتقالي ـ أرجواني ـ بني ـ رمادي .

وبهذا يتبين أنه باستثناء الوردي تأتي الالفاظ الستة الأولى في هذه القائمة مطابقة للالفاظ الستة الأولية عند الأنثروبولوجيين دون اعتبار للترتيب الداخلي فيما بينها . ولكنها من ناحية اخرى تتعارض مع دراسات الانثروبولوجيين القائلة بأن أول الالفاظ التي تدخل اللغة تاريخيا هي تلك التي تشير الى بُعد اللمعان (ألفاظ تترادف تقريبا مع الظلام والضوء) . فكان مقتضى هذا أن يبدأ الأطفال بتعلم الابيض والأسود وهو ما لا يحدث .

٤ ـ لا دليل على أن الأطفال جميعا يكتسبون ألفاظ الألوان بطريقة موحدة ، ولكن الترتيبات مجرد أمور فردية .

٥ ـ إذا كان من المفترض أن يثير اللمعان انتباه الطفل الصغير فإن الطفل حينما يصل اكتسابه الى عدد أربعة أو خمسة الفاظ فإن تصوره يقوم على أساس من قرب اللون ودرجة التشبع saturation .

٦ ـ هناك شواهد على أن الأطفال ـ مند بدئهم اكتساب الفاظ الألوان ـ ربما كانوا قادرين على القيام بتمييزات دقيقة تحتاج الى استخدام الفاظ للدلالة على فكرة التقارب أو اللمعان أو التشبع التي يعبر عنها الكبار في اللغة الانجليزية على الوجه الآتي :

أ ـ استعمال اللاحقة ish للدلالة على التقارب أو درجة ظلال الألوان في

الألوان الأخرى مثل bluish green .

ب ـ الدلالة على درجة اللمعان بألفاظ مثل light أو dark .

جـ ـ الدلالة على درجة التشبع بكلمات مثل : dull أو vivid [1] .

وفي ملاحظات سجلها داود عبده على اكتساب ابنه مروان لأسماء الألوان في سنّ الثانية وثمانية أشهر وجد انه أتقن استعمال الكلمات :

أحمر ـ أبيض ـ أسود ـ أصفر ـ أخضر ـ أزرق .

وهي قائمة تطابق كذلك قائمة الانثروبولوجيين ، وإن خالفتها في الترتيب الداخلي .

* * *

ولعلنا ننتهي من هذا الموضوع الآن بعد ان نثير الانتباه الى الحقائق الآتية :

١ ـ أن الفاظ الألوان الستة السابق ذكرها تضم مجموعة الألوان الأولية وهي الأحمر والأخضر والأزرق والألوان المحايدة (أبيض ـ أسود) ، ولونا مركبا واحدا وهو الأصفر الذي هو نتاج الأحمر والأخضر .

٢ ـ أن هذه المجموعة تحوي معظم ألوان الطيف .

٣ ـ أن هذه المجموعة متوازنة حيث تضم ثلاثة ألفاظ ذات درجة عالية في اللمعان ، وهي الأبيض والأحمر والأصفر ، وثلاثة ذات درجة واطئة وهي الأسود والأخضر والأزرق .

٤ ـ أن أهمية هذه الالفاظ الستة تبدو في وجودها أو وجود معظمها في أي قائمة من قوائم الالفاظ التي حددها العلماء ، سواء على أساس تاريخي ،

---

(١) ص ٨٩ ـ ١٠٣ .

أو على أساس من درساة لغات الشعوب البدائية . وتقع هذه الالفاظ الستة في أول قائمة Berlin و Kay وتتطابق مع المرحلة السادسة والأخيرة من قائمة L. Geiger ، ومع المرحلة الرابعة والأخيرة من قائمة Rivers .

٥ ـ هذه الألفاظ الستة تبدو موافقة لنتائج النظريات العلمية التي تتعلق بفسيولوجية النظام البصري الإنساني سواء في ذلك نظرية المقابلات ، أو نظرية الأبصار الثلاثي للون ، أو نظرية الأعصاب البصرية . ومعنى هذا أن هذه الألوان تحتل مكانا بارزا بين جميع الألوان . ولذا يحس بها الأطفال خاطفة للبصر أكثر ، وأسهل في التذكر[١] .

٦ ـ هذه الألوان الستة تضم قائمة الألوان الأولية السيكولوجية الأربعة Psycholgical primary colours مع الأبيض والأسود[٢] .

٧ ـ هذا بالاضافة الى أن هذه الألوان من اكثر الألوان الطبيعية في حياة الانسان[٣] وهي اكثرها ترددأ في أي إحصاءات للألوان[٤] .

---

(١) Psychology and Language ص ٥٢٧ .
(٢) Colours ص ١٩ ؛ Lights and Pigmennts ص ١٠٠ .
(٣) An Introduction to color ص ٩٠ ـ ٩٢ .
(٤) السابق ص ٢٣١ .

الفصل الثاني

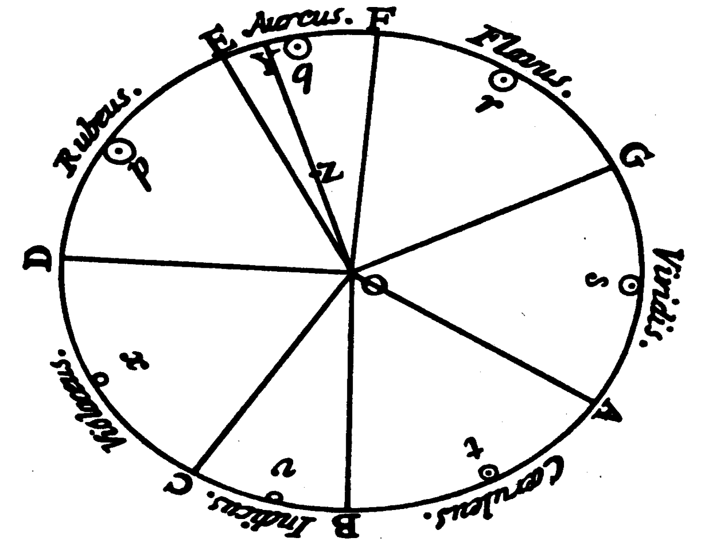
المعايير القياسية للألوان

نظرة تاريخية

لفتت ظاهرة اللون أنظار القدماء ، فتحدث عنها أمثال فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم . وقد كتب أرسطو مثلا يقول : « الألوان البسيطة هي ألوان عناصر الوجود أعني النار والهواء والماء والتراب »[1] . وبعد حوالي ثمانية عشر قرنا كتب ليونارد دي فنشي معبرا عن نفس الفكرة تقريبا حين قال : « أول الألوان البسيطة الأبيض . . . الأبيض يمثل الضوء الذي بدونه ما كان يمكن رؤية لون ، والأصفر التربة ، والأخضر الماء ، والأزرق الفضاء ، والأحمر النار ، والأسود الظلام الكامل »[2] . إلا أنه لم تقدم محاولة علمية دقيقة لتنظيم الألوان حتى جاء إسحاق نيوتن وكشف عام ١٦٦٠ عن الطبيعة الحقيقية للألوان ، وقدم أول الدوائر اللونية ، وهي الموجودة في الشكل الآتي[3] :

(١) ، (٢) Principles of color ص ٩ .

(٣) السابق ص ١٠ .



وتبعا لما قاله نيوتن : كل الألوان متضمنة في الضوء الأبيض . فهو مكون من حزمة من الأشعة يمكن أن تحلل بواسطة منشور . واختار نيوتن سبعة ألوان ربطها بالأجرام السماوية أو الكواكب السبعة ، وبالنغمات السبعة للمدرج الدياتوني في الموسيقى : الأحمر (نغمة C) والبرتقالي (نغمة D) والأصفر (نغمة E) والأخضر (نغمة F) والأزرق (نغمة G) والنيلي (نغمة A) والبنفسجي (نغمة B) . وعلى الرغم من أن مجموعة الطيف تمتد في شكل شريط من الأحمر إلى البنفسجي ، فإن نيوتن قدمها في شكل عبقري حين لواها وقدمها في شكل دائرة[1] .

ولم يكن حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر حين وضعت أول لمسة علمية في قصة تعبير الألوان على يد عالم التعدين الألماني

---

(١) السابق والصفحة .

A. G. Werner الذي عاش بين عامي ١٧٥٠ و١٨١٧ . وقد أعد لنفسه قائمة بالألوان - يصف بها المعادن - وأرفق بكل لون نموذجا معدنيا[١].

وتبعه كثيرون وكثيرون منهم من ربط دراسته بالمعادن ، ومنهم من ربطها بالنسيج ، ومنهم من ربطها بأنواع الطلاء والأدهنة ، ومنهم من ربطها بألوان الطيور أو الزهور ، وتكونت هيئات ومراكز أبحاث ، وعقدت مؤتمرات وندوات لا حصر لها .

ولعل من أهم الأسماء والجهود التي تستحق الذكر ما يأتي :

١ - في عام ١٨٨٦ ثم في عام ١٩١٢ نشر Robert Ridgway كتابه المسمى : Color Standards and Color Nomenclature الذي احتوى على ١١١٣ اسما للألوان[٢] ، واهتم بألوان ريش الطيور[٣] .

٢ - في عام ١٨٩٢ قدم William Hallock من جامعة كولومبيا قائمة بالألوان الموجودة في معجم Standard Dictionary ، وقد احتوت القائمة على نحو من ٣٨٨ اسما معظمها خاص بالنسيج ، أو أسماء مزيج من الدهان المستعمل في الفترة نفسها .

٣ - في عام ١٩٠٥ ظهر عمل فرنسي يسمى Repertoire de Couleurs احتوى على ٣٦٥ لوحة ، كل واحدة تحوي أربع درجات من اللون المسمى ، ما عدا اللوحة الأولى الخاصة باللون الأبيض ، وما عدا خمسا وعشرين لوحة أخرى أعدت بدرجة واحدة من اللون . وقد احتوى على ١٣٥٦ لونا مختلفا . وأعطى المؤلف أسماء الألوان بلغات عدة منها الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية[٤] .

---

(١) A Dictionary of Color ص ١٣٧ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) The measurment of colour ص ١٨٠ .
(٤) قبل السابق والصفحة .

٤ - في نفس العام وضع Albert H. Munsell نظاما للون قائما على ثلاث خصائص لونية[١] . وسوف نتحدث عن هذا العمل بالتفصيل فيما بعد .

٥ - في عام ١٩١٥ نشرت الجمعية المسماة : Textile Color Card Association بالولايات المتحدة الأمريكية كتابها : Standard Color Card of America[٢] .

٦ - في عام ١٩٣١ طبع The British Colour Council معجما لمستويات الألوان باسم Dictionary of Colour Standards ضم أكثر من مائتي لون بالأسماء والأرقام والنماذج الإيضاحية . وطبع عام ١٩٤٩ معجما آخر باسم Dictionary of Colours for Interior Dicoration[٣] .

٧ - وفي عام ١٩٣٨ أخرج Robert Wilson جداول للألوان ضمت مائتي نموذج ملون . وضم الكتاب - مع النماذج - تعريفات بالمصطلحات المستخدمة في الألوان[٤] . وقد وضع الكتاب أساسا لوصف الزهور[٥] .

٨ - وفي عام ١٩٣٩ وضعت هيئة Inter-Society Color Council نظاما يحوي سلسلة ألوان هي : الأحمر - الأصفر - الأخضر - الأزرق - الأرجواني - الزيتوني - البني - الوردي . وقرنت كل لون بعدد من الصفات المعدِّلة مثل : very- dark- light - strong - weak . وعبرت الهيئة عن الألوان المتوسطة بكلمات مركبة مثل reddish purple . وبلغ عدد ألفاظ الألوان في الكتاب ٣١٩ لفظا[٦] .

---

(١) Colours ص ٣٠ .
(٢) A Dictionary of Color ص ١٣٨ .
(٣) Colours and Life ص ١٢٥ ؛ The Measurment ص ١٨٠ .
(٤) المرجع قبل الأخير ص ١٢٦ .
(٥) The Measurment ص ١٨٠ .
(٦) An Introduction to Color ص ٢٣٢ .

٩ ـ ومن الهيئات النشطة الجمعية العالمية للألوان : Association Internationale de la couleur التي تضم أعضاء من النمسا وبلجيكا وكندا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا والمجر وإيطاليا واليابان وهولندا والنرويج وأسبانيا والسويد وسويسرا وأمريكا . وقد بدأت جمعية دراسة الألوان الفرنسية عام ١٩٥٧ تعقد اجتماعات عالمية . وفي عام ١٩٦٣ عقدت اجتماعا في فينا وآخر في ستراسبورج ، وفي عام ١٩٦٥ عقدت اجتماعا في لوسرن وفي ١٩٦٧ عقدته في واشنطون . وعقدت حتى عام ١٩٧٧ ثلاث ندوات عالمية موسعة ، عقدت أولاها في ستوكهلم ١٩٦٩ ، وثانيتها في يورك ١٩٧٣ ، وثالثتها في نيويورك ١٩٧٧ . وحرصت الهيئة على نشر أبحاث الندوات ونشر آخرها تحت عنوان : A. I.C. Color 77 في برستول ١٩٧٨ .

١٠ ـ كذلك تعد من أنشط الهيئات في هذا المجال : The Munsell Color Company وقد نشرت : The Munsell Book of Color كما تبنت كثيرا من الأبحاث والدراسات حول الألوان[١] .

١١ ـ ولا نريد أن نختم هذا الاستعراض التاريخي السريع دون الإشارة إلى عمل هام ألفه A. Moerz و M. R. Paul . وقد ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٣٠ والثانية عام ١٩٥٠ وهو باسم A Dictionary of Color . وميزة هذا المعجم أنه يحوي أكبر عدد من ألفاظ الألوان ، مع قائمة بكل المستعمل من تلك الأسماء حتى وقت الطبع . واستخدم الكتاب كلمات معدلة للألوان تبلغ حوالي الثلاثين مع تحديد مدلولاتها . كما حرص على تحديد مجالات استخدام كل لون (صباغة ـ طلاء ـ نسيج . .) وبين مكانة كل لفظ في اللغة (مستعمل في الحياة اليومية بصفة عامة ـ ميت أو مهمل ـ تاريخ دخول الكلمة في اللغة الإنجليزية لأول مرة) . وتبلغ كلمات المعجم نحوا من أربعة آلاف كلمة ، تمثل ٣٦ منها كلمات مفردة لها معان لونية مباشرة ،

---

(١) The Measurment ص ١٨١ .

و ٣٠٠ كلمات مركبة تشمل اسم لون بالإضافة إلى وصف معدّل، و٩٠ أسماء لمواد ملونة كثيرة الاستعمال[١] .

قياس الألوان

كانت الحاجة إلى الدقة في مواءمة الألوان هي الحافز إلى البحث عن نظام دقيق لقياس ألوان المواد الصبغية . وتمت أول محاولة عملية من هذا النوع بجهود عالم الحشرات Moses Harris الذي نشر بحثا بعنوان : Natural System of Colours في لندن عام ١٧٧٦ انبثق من الرغبة في وضع منهج لتصنيف الحشرات[٢] .

وفي عام ١٨٢٤ حاول Michel-Eugéne Chevreul تجميع آلاف الألوان المستعملة في الصباغة . وعن طريق وضع نظام لقياس الألوان التي كونت من خلط ١٢ لونا أساسيا نجح Chevreul في تخفيض عدد الصبغات المستعملة إلى ١٥٠٠[٣] .

ورغم تعدد المحاولات التي قدمت لقياس الألوان وتحديد مواصفاتها بدقة فإن واحدة منها قد كتبت لها الغلبة من بين جميع المحاولات ، وهي طريقة Munsell التي هدفت إلى وضع نظام لتسمية الألوان يتصف بالمنطقية ويشبه نظام النوتة الموسيقية[٤] . وواضع هذا النظام هو العالم الأمريكي Albert H. Munsell (١٨٥٨ - ١٩١٨) ، وقد أعلنه لأول مرة عام ١٩٠٥[٥] .

---

(١) An Introduction to Color ص ٢٣٠ .

(٢) Lights and Pigments ص ٩٦ . وهناك نظام آخر وضعه عالم الطيور Robert Ridgway ونشره أولا عام ١٨٨٦ وثانيا عام ١٩١٢ (A Dictionnary of Color ص ١٣٧ ؛ Lights and Pigments ص ٩٦) .

(٣) الأخير ص ٩٦ .

(٤) Color and the Structural Sense ص ٧ .

(٥) التصوير الملون ص ١٠٢ ، Colours ص ٣٠ . وقد ورد في The Art of color انه وضع عام ١٩١٢ (ص ٣٢٤) .

ونظام Munsell عبارة عن مدرج لوني يحدد بدقة خصائص الألوان وأبعادها . وقد وجد Munsell أنه لا يكفي لتحديد اللون أن نقول : أحمر غامق أو أخضر فاتح . فمثل هذا الكلام ـ على حد تعبير Munsell نفسه ـ يشبه رسم خريطة لسويسرا بدون جبال . وهو مثل وصف صندوق بأنه ٢×٩ دون الإشارة إلى البعد الثالث . ومثل الصندوق فإن للون أبعادا ثلاثة[١] . هذه الأبعاد الثلاثة أطلق عليها Munsell أسماء :

١ ـ hue (أصل اللون)[٢] .

٢ ـ value (قيمة اللون) = brightness (نصاعة) .

٣ ـ chroma (الكروما) = {strength / intensity} (الشدة)[٣] .

أما **أصول الألوان** فقد قسمت إلى خمسة أصول رئيسية هي : الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والأرجواني . وبين كل لونين يوجد لون متوسط ينتج عن مزج لونين رئيسيين (أحمر ـ أصفر) ، (أصفر ـ أخضر) ، (أخضر ـ أزرق) ، (أزرق ـ أرجواني) ، (أرجواني ـ أحمر) . وحينما يراد تحديد أدق يحدد اللون عن طريق عشرة ألوان أخرى فرعية[٤] .

---

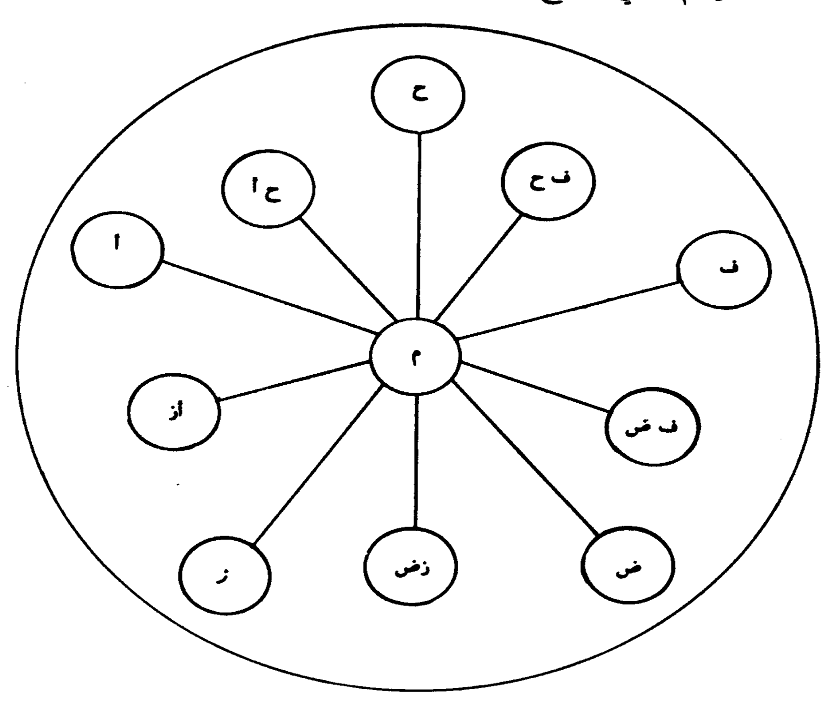
(١) الأخير ص ٣٢٥ .

(٢) استعمل الكتّاب كلمتي hue و colorبالتبادل دون تمييز بينهما . ومعظم الكتابات عن اللون، والمعاجم لا تميز بينهما بوضوح (Color and the Structural ص ٩) .

(٣) الأخير س ٨ ؛ The Art of color ص ٣٢٩ .

(٤) الأخير ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ . ومن الممكن تقسيم كل قسم إلى أقسام فرعية لا نهائية دون تحديد لأن اللون قد لا يقع بالدقة في واحد منها وإنما بين اثنين (A Basic treatise ص ٢٠) .

والرسم الآتي يوضح ذلك[1] :



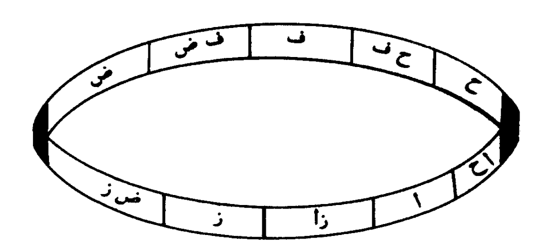
ح = أحمر ض = أخضر
أ = أرجواني ف = أصفر
ز = أزرق م = محايد

وقد عرَّف Munsell أصل اللون بأنه الخاصة التي بها نميز لونا عن

(۱) بتصرف عن The Art of Color ص ٣٢٦ .

آخر ، كالأحمر من الأصفر ، والأخضر من الأزرق[1] . وهي التي تحدد موقع اللون على أي مخطط لوني . ومن الممكن بدلا من عرض أصول الألوان في شكل دائري كما سبق أن تعرض في شكل شريط . فإذا لففنا هذا الشريط في طوق دائري حتى يتلاقى الأحمران سنملك مدرجا كاملا للألوان في شكل دائري . وحين نشير إلى البعد الأول فإننا نشير إلى موقعه في دائرة الألوان . والشكلان الآتيان يوضحان ذلك[2] .

١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
ح	أح	أ	ز أ	ز	ض ز	ض	ف ض	ف	ح ف	ح



وأما **قيمة اللون** فتمثل البعد الثاني ، وهي درجة إشراق اللون أو نصاعته . وعرفها Munsell بأنها « الكيفية التي بها نميز اللون القاتم dark من الفاتح light »[3] .

لقد دلنا البعد الأول على أن اللون أحمر وليس أخضر مثلا ، ولكنه لم يدلنا على أن اللون قاتم أو فاتح ، ودرجة ذلك . وهذه هي وظيفة البعد الثاني .

---

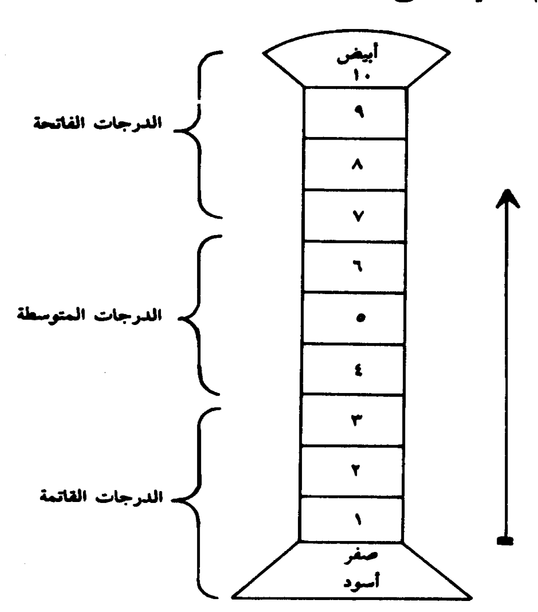
(١) A Basic Treatise ص ١٨ .

(٢) السابق ص ١٩ .

(٣) السابق ص ٢٠ ، ٢١ .

وقد رسم Munsell مدرجا لقياس القيمة في شكل عمود مقسم من ١ - ٩ . وأعطى صفرا للأسود الكامل (غير موجود في الواقع) ، ورقم ١٠ للأبيض الصافي (وهو غير موجود في الواقع كذلك) . وبهذا نملك ٩ درجات أوسطها رقم ٥ الذي يشير إلى القيمة الوسطى[١] .

والرسم الآتي يوضح ذلك[٢] :



فالأرقام من ١ - ٩ تمثل ثلاث درجات للإشراق (الدرجة القاتمة - الدرجة المتوسطة - الدرجة الفاتحة) . وتبدأ برقم ١ للأسود العادي وتنتهي برقم ٩ للأبيض العادي[٣] . وقد اكتفى Munsell بهذه الدرجات التسع رغم

(١) السابق ص ٢١ ؛ The Art of Color ص ٣٢٧ .
(٢) الأخير ص ٣٢٨ .
(٣) الأخير ص ٣٢٨ .

إمكانية العين المدربة التمييز بين ١٥٠ درجة من القيمة[١] .

وخير مثال لتوضيح اختلاف قيمة اللون رغم ثبات أصله أن نأتي بسطح أحمر ، ونضع نصفه في الظل ونضع نصفه الآخر في الضوء . فرغم اتفاق النصفين في أصل اللون hue ، وفي درجة التشبع saturation فإن هناك اختلافا في القيمة value أو في درجة نصاعة اللون brightness[٢] .

وأما الكروما فهي الصفة التي تدل على مدى نقاء اللون أو درجة تشبعه ، وبالتالي تدلنا على مدى اختلاطه بالألوان المحايدة (أبيض ـ أسود ـ رمادي) .

فحينما نقول إن اللون أزرق أو أصفر أو أخضر ونقول إنه قاتم أو فاتح (ساطع) نكون قد حددنا بعدين للون . ولكننا لم نصفه تماما . فقد توجد عدة ألوان توصف بأنها خضراء أو بأنها فاتحة (ساطعة) إذا وضعناها جنبا إلى جنب ، وسيكون الفرق هو في القوة أو في الشدة أو في صفاء اللون ، وهو ما يحدده مدرج الكروما المقسم إلى درجات .

والدرجة في الكروما هي الوحدة لقياس التغير في اللون بين الرمادي المحايد والشدة القصوى للون . هذه الدرجات مرقمة في اتجاه الخارج من منطقة الرمادي المحايد إلى أقوى كروما يمكن أن يحصل عليها من أي لون عند أي مستوى قيمة معين ؛ كما يوضح الرسم التالي[٣] :

---

(١) Color and the Structure Sense ص ١٣ .

(٢) التصوير الملون ص ١٠٤ .

(٣) بتصرف عن The Art of Color ص ٣٣٠ .

١٠
٩/
٨/ /١ /٢ /٣ /٤ /٥ /٦ /٧ /٨ /٩ /١٠
٧/
٦/
٥/
٤/
٣/
٢/
١/
صفر

ويلاحظ أنه كلما قرب اللون من المحور دل ذلك على نقص التشبع أي على اختلاطه بلون محايد . وكلما بعد اللون عن المحور دل ذلك على زيادة تشبعه[١] .

وتحدد كروما أي لون برقم يوضع تحت رقم قيمة اللون . فمثلا : أحمر في منتصف الطريق بين الأسود والأبيض في القيمة وثماني درجات خارج الكروما يكتب هكذا :

ح $\frac{٥}{٨}$

وأخضر مشوب بالرمادي مثلا يمكن أن يُكتب هكذا[٢] :

ض $\frac{٨}{١}$

---

(١) التصوير الملون ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

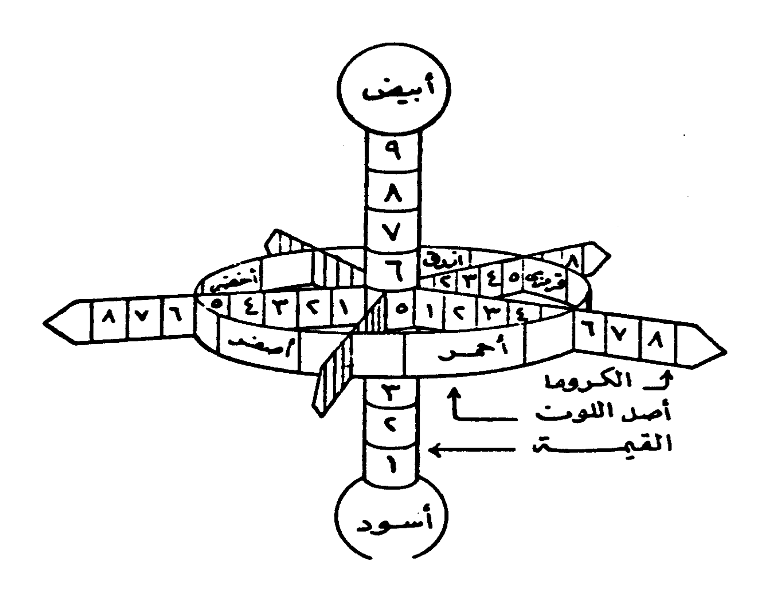
(٢) هذا يعني أن أصل اللون أخضر وقيمته ٨ والكروما ١ ، اي يختلط بقدر كبير من الرمادي الفاتح .

وعلى هذا فإن أي لون يمكن أن يوصف وأن تحدد علاقته بالألوان الأخرى :

$$\text{أصل اللون}\ \frac{\text{القيمة}}{\text{الكروما}}$$

وإذا وضعنا الرمزين ض $\frac{٨}{١}$ و ض $\frac{٥}{١}$ فهما يعنيان أن اللونين يتفقان في الأصل ، وفي الكروما ، ولكنهما يختلفان في القيمة . والرمزان ف $\frac{٣}{٢}$ و ض $\frac{٣}{٢}$ يعنيان أن اللونين يختلفان في الأصل ، ويتفقان في القيمة والكروما[١] .

والشكل التالي يجمع كل مواصفات الألوان وفقا لطريقة Munsell[٢] :



(١) التصوير الملون ص ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ The Arts Of Color ص ٣٣١ .
(٢) عن التصوير الملون ص ١٠٢ .

ويتميز نظام Munsell بما يأتي :

١ - أنه سهل التطبيق وعملي .

٢ - أنه قادر على تحديد أدق الفروق اللونية في كل الاتجاهات .

٣ - أنه قد لاقى قبولا من عدد كبير من الهيئات والفنانين ، واعترف به منذ الثلاثينات من هذا القرن كثير من المؤسسات العالمية القياسية في كثير من دول العالم بما فيها أمريكا واليابان وبريطانيا .

٤ - أن ألوانه العشرة يمكن أن تزاد إلى ٢٠ عن طريق إضافة ألوان أخرى فرعية ومن الممكن أن يعاد تقسيم كل قسم بدوره إلى أقسام فرعية أخرى بقصد إضفاء مزيد من الدقة[١] .

مخططات الألوان

استخدم العلماء رسوما تخطيطية متنوعة[٢] لتحديد ملامح الألوان وبيان علاقاتها . وقد ظهر أول رسم تخطيطي كامل بالألوان حوالي عام ١٧٦٦ حين نشر العالم الإنجليزي Morris Harris تخطيطا دائريا في كتابه :

The Natural System of Colours

تحدث فيه عن الألوان الأولية : أحمر - أصفر - أزرق ، والمتوسطة : برتقالي - أخضر - قرمزي ، والمركبة : زيتوني (برتقالي + أخضر) - اردوازي (أخضر + قرمزي) - بني أو خمري (قرمزي + برتقالي)[٣] .

وتتابعت المخططات بعد هذا وتنوعت . فمنها ما أخذ شكل دائرة ،

---

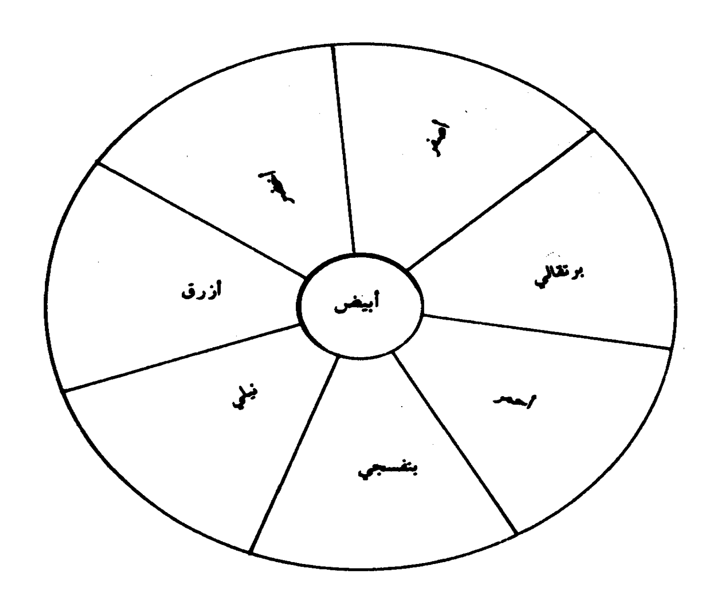
(١) The Art of Color ص ٣٢٥ ؛ Color and the Structural ص ٢٢ ؛ Lights and Pigment ص ١٠٥ ، ١٠٦ . وانظر جدولا يبين أقصى درجات الكروما بالنسبة لأصول الألوان وقيمتها : التصوير الملون ص ١٠٨ .

(٢) فضلت الدائرة ، أو الرسوم الدائرية في تخطيطات الألوان ، وذلك بقصد تصوير التتابع الطبيعي المغلق للألوان ، حيث تعود الألوان بعد تدرجها الى نقطة بدايتها (Methuen Handbook ص ١٩٥) .

(٣) انظر هذه الدائرة اللونية في Principles of Color ص ١٢ شكل ٣ .

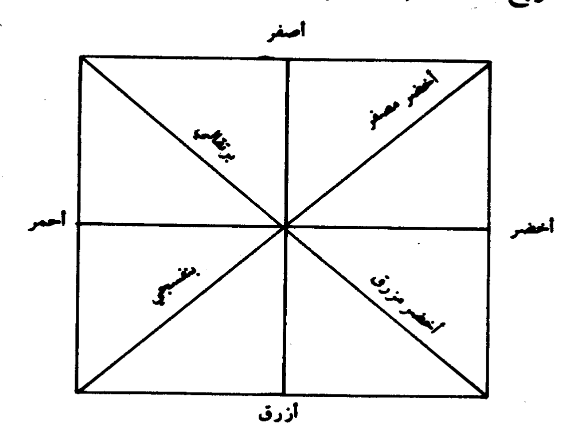
ومنها ما أخذ شكل نجمة ، ومنها ما أخذ شكل مثلث أو مربع ، وذلك على النحو التالي :

١ - دائرة نيوتن Newton (١٦٦٠ أو ١٦٦٦)[١] .



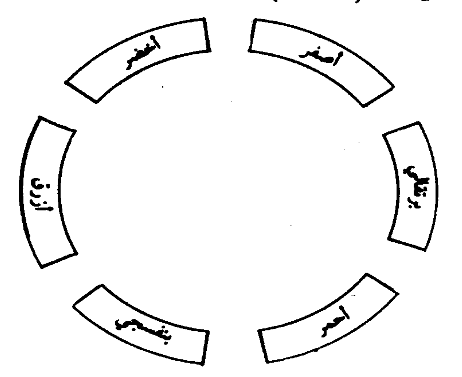
(١) Theory and Practice of Color ص ٢١ وانظر Principles of Color ص ١٠ .

٢ - مربع Waller (١٦٨٦) :



ويعد تخطيط Waller أصلا مبكرا لنظرية Hering على الرغم من أن تضاد الأبيض والأسود غير ممثل فيه[١] .

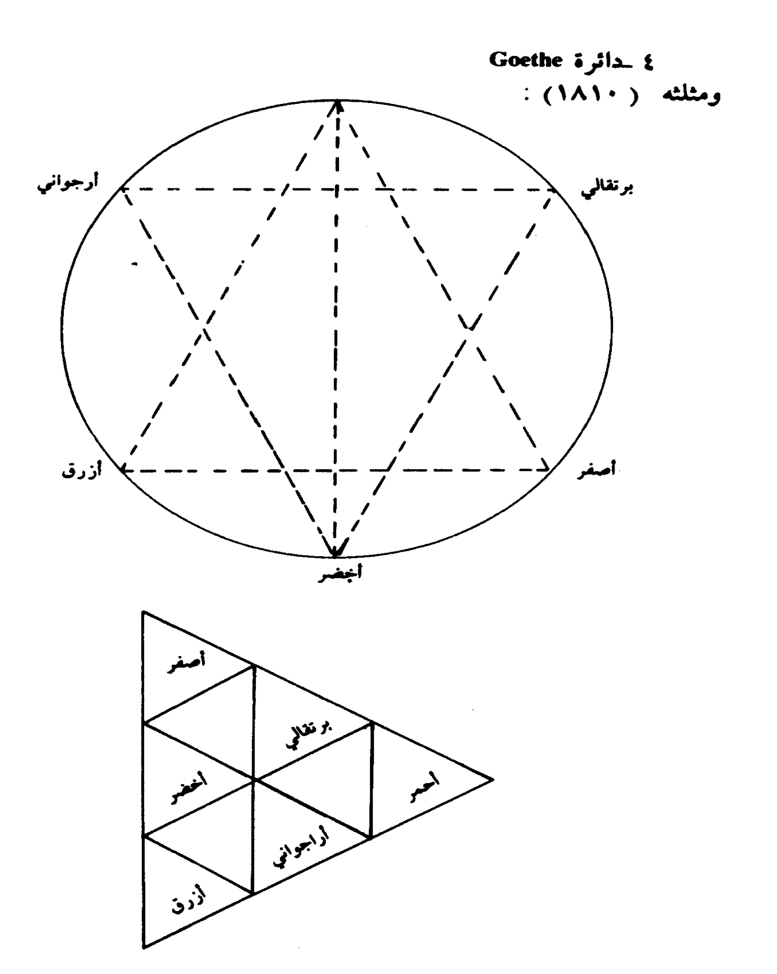
٣ ـ دائرة Runge (١٨١٠)[٢] :



(١) Theory and Practice of Color ص ١٩ ، ٢١ .

(٢) Lights and Pigments مقابل ص ٧٠ .

٤ ـ دائرة Goethe
ومثلثه (١٨١٠) :

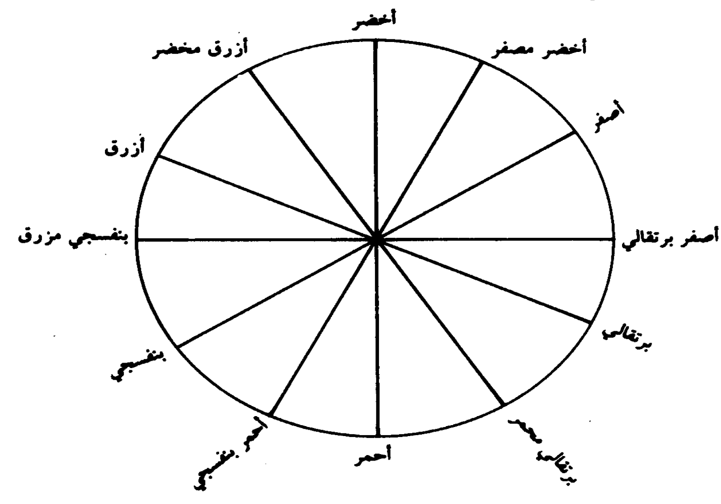


يلاحظ وضع الأصفر والأزرق والأحمر عند زوايا المثلث[١] .

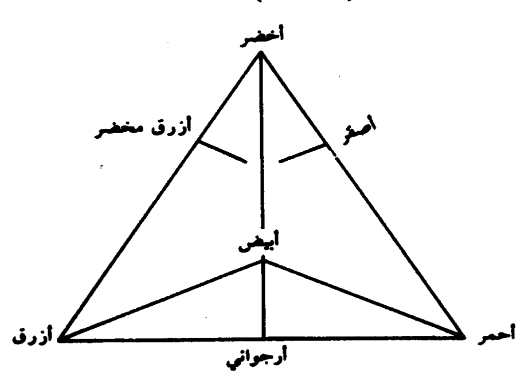
---

(١) Principles of Colors ص ١٤ .

٥ - دائرة Chevreul[1] (١٨٣٩) :



٦ - مثلث Maxwell[2] (١٨٧٢) :

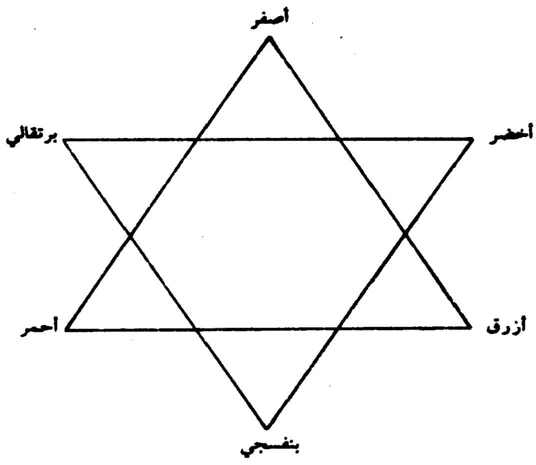


---

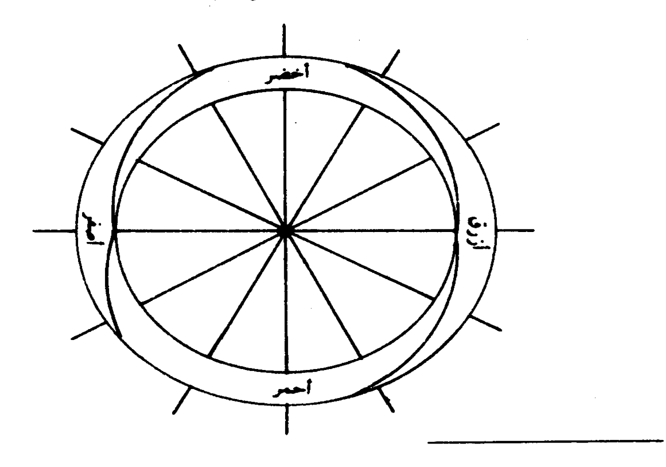
(١) Principles Of Color ص ١٥ .

(٢) Theory and Practice of Color ص ٢١ .

٧ ـ نجمة Blanc[١] (١٨٧٣) :



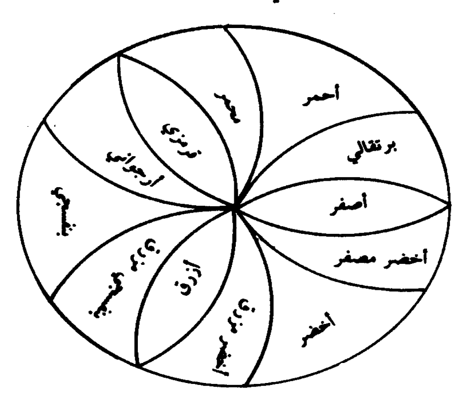
٨ ـ دائرة Hering[٢] (١٨٧٨ تقريبا) :



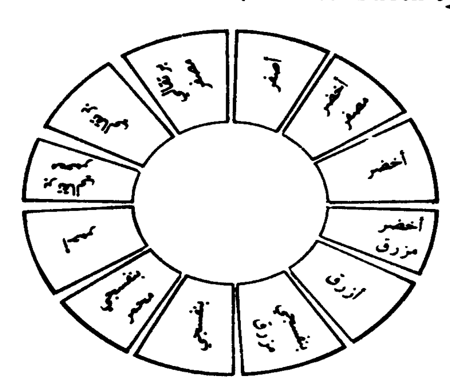
(١) Principles of Color ص ١٥ .
(٢) السابق ص ٢٠ .

٩ ـ دائرة Jacobs (١٩٢٣) :

وهي تبين نظريته للألوان وأسس انسجامها ، وقد أقامها على العناصر الثلاثة : أحمر ـ أخضر ـ بنفسجي[١] :



١٠ ـ دائرة Faber Birren[٢] :



(١) السابق ص ١٩ .

(٢) السابق ص ٢٧ ، و ٨٢ . وانظر دوائر اخرى لـ Munsell : السابق ص ١٩ ؛ Lights and Pigments مقابل ص ٧٠ ، ولـ Ostwald : قبل السابق ص ٢١ .

الفصل الثالث

الألوان والجمال

تفضيل لون على لون

بدأت التجارب على تفضيلات الألوان منذ وقت بعيد . فقد نشر J. Cohn مقالة عام ١٨٩٤ تناولت الموضوع . وبعد هذا قام عشرات الباحثين بتجارب على الموضوع ، وكانت أوجه الاتفاق بينهم قليلة ، وبخاصة بالنسبة للنقاط الآتية :

أ ـ وجود ترتيب عام في تفضيل الألوان .
ب ـ الشيوع النسبي للألوان المشرقة وغير المشرقة .
جـ ـ الاختلافات في تفضيل الألوان بين الجنسين .

وقد أنكر Cohn وجود أي نظام عالمي لتفضيل الألوان ، وردّ الأمر إلى الذوق الفردي . ووافقه على هذه النتيجة Dorcus لدرجة أنه تشكك في وجود ما يسمى بتفضيل اللون . وأكد Von Allesch هذه النتيجة قائلا : إنه يمكن القول بأن أي لون قد يكون مبهجا أو غير مبهج بوجه عام .

ولكن في الاتجاه الآخر نجد الباحثين الثلاثة W. E. Walton و R. B. Guilford و J. P. Guilford[1] يقررون « وجود أساس مشترك للشعور نحو الألوان المختلفة » ، كما يوجد قدر كاف من الاتفاق على تفضيلات الألوان .

---

(١) في بحث لهم بعنوان Color Preferences of 1279 University Students نشر عام ١٩٣٣ .

كذلك دافع عن هذه النظرة كل من M. V. George[1] و T. R. Garth وغيرهما[2] .

ومنذ ذلك الحين والتجارب تجري والاستبيانات تتتابع بغرض ترجيح أحد الاتجاهين على الآخر دون حسم .

ففي بحث نشره H. J. Eysenck عام ١٩٤١ وأقامه على اختبارات وتجارب متنوعة انتهى إلى القول « بوجود قدر معين من الاتفاق بين الناس في تفضيلات الألوان »[3] . وقد بنى حكمه على الإحصاءات التالية :

الإحصاء الأول :

اللون	الرجال	النساء
الأزرق	١,٣١	١,٠٩
الأحمر	١,٤٨	١,٤٣
الأخضر	٤,٠١	٣,٧٢
البنفسجي	٤,٣٧	٤,٥٦
البرتقالي	٤,٦٢	٥,٢٢
الأصفر	٥,٢١	٤,٩٨

(١) في بحثه المعنون Color Preferences of College Students الذي نشر عام ١٩٣٨ .
(٢) A Critical and Experimental Study of Colour Preferences ص ٣٨٥ .
(٣) السابق ص ٣٩٤ .

الإحصاء الثاني :

اللون	المسؤولون من السود	المسؤولون من البيض
الأزرق	١,٨٣	١,١٢
الأحمر	٢,٠٣	٢,٣٢
الأخضر	٢,٩٨	٣,٣٢
البنفسجي	٤,٢٨	٣,٦٦
البرتقالي	٤,٧٦	٥,٣٠
الأصفر	٥,١٢	٥,٢٨

وقد أثبتت هذه الإحصاءات وجود اتفاق بدرجة عالية بين الجنسين فيما عدا اختلافا بسيطا يتمثل في تفضيل البرتقالي والأصفر[١] .

وفي عام ١٩٥٠ نشر Faber Birren بحثا أثبت فيه وجود ميل عام نحو تفضيل عدد من الألوان ، بغض النظر عن الجنس أو العقيدة أو الجنسية ، وذكر أن هذه الألوان المفضلة كما تدل البحوث والإحصاءات هي :

الأزرق والأحمر والأخضر والبنفسجي والبرتقالي والأصفر .

وقد اختبرت هذه القائمة على انماط مختلفة من الناس فجاءت القائمة هي هي ، وإن حدث اختلاف يسير أحيانا بتقديم لون على آخر . فالهنود الأمريكيون الحمر مثلا وضعوا الأحمر في المركز الأول ، والأزرق في المركز الثاني ، وقدموا البنفسجي على الأخضر . والفليبينيون بدأوا بـالأحمر والأخضر ، ووضعوا الأزرق في المركز الثالث . وحتى بين المجانين وجد S. E. Katz النتيجة هي هي تقريبا ، فيما عدا عكس الترتيب بين الأحمر والأخضر بالنسبة للرجال[٢] .

---

(١) السابق ص ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ .
(٢) Colour Psychology ص ١٧٦ .

وعلى الجانب الآخر نجد علماء النفس يميلون إلى ترجيح جانب الذاتية في تفضيل الألوان ، بل ويتخذون من اختبارات التفضيل مجالا واسعا للتحليل النفسي ووصف الشخصية ، مع دلالات على القدرات ، وأوجه الضعف ، والحالة العاطفية والذهنية وغيرها[1] .

ولكن هذه الألوان يختلف الحكم عليها إذا وضع الشخص في اعتباره موصوفا معينا كسيارة أو حُلّة أو رداء أو نحو ذلك . فاللون الأزرق رغم أنه يلقى قبولا في الضوء فلا يلقى تفضيلا بالنسبة لمعظم الأطعمة . ونفس الشيء يصدق على البنفسجي والأرجواني - وقد قام أحد المخابز بتوزيع الخبز في أغلفة خضراء أو زرقاء فلم يلق اللون قبولا[2] .

ويعد اللون الأحمر أكثر الألوان تفضيلا في الطعام . إنه لون التفاح ، والكرز ، واللحم حين يقطع . ويظل الإغراء عاليا في اتجاه البرتقالي . وعند الأصفر يهبط الإغراء بشكل ملحوظ ، ثم يرتفع الإغراء مرة ثانية عند الأخضر ؛ لأنه لون الطزاجة والنضرة الطبيعية[3] .

ويربط بعضهم بين المهنة أو الشخصية واللون المفضل . فالرياضيون - في رأيهم - يفضلون اللون الأحمر ، والمثقفون الأزرق ، والمغرورون الأنانيون الأصفر ، والمرحون البرتقالي ، والفنانون الأرجواني ، ورجال المال الأخضر المزرقّ وأوساط الناس الألوان البسيطة[4] .

كما يربط بعض آخر بين البيئة واللون . فحينما يكون ضوء الشمس قويا يميل الناس إلى تفضيل الالوان الزاهية الدافئة . وحينما يكون ضوء الشمس ضعيفا يكون التفضيل للألوان الباردة الخامدة[5] . ولهذا يفضل الإيطاليون

---

(1) Lights and Pigments ص ٣٠ . وانظر اختبارات Max Luscher .

(2) Colour Psychology ص ١٦٧ .

(3) السابق والصفحة .

(4) السابق ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(5) السابق ص ١٨٠ .

والأسبانيون والفرنسيون الألوان الدافئة عادة من أسرة الأحمر والأصفر ، في حين يفضل أبناء السويد والنرويج والدانمرك الألوان الباردة من أسرة الأزرق[1] . وأصحاب هذا الرأي لا ينكرون وجود تفضيل عالمي للالوان ، ولكنهم يضمون إلى الأساس العالمي أساسين آخرين أحدهما اجتماعي والآخر ذاتي[1] .

وهناك أحكام واستنتاجات أخرى عامة تتعلق بتفضيل الألوان مثل :

١ - تفضل العين عادة النموذج الدقيق للون، وتكره أي شيء في مناطق الحدود . ولذلك فهي تفضل الأحمر إذا كان صافيا . لكن إذا خلط بقليل من البياض بدا اللون باهتا أو أجرب . فإذا خلط بكثير من البياض تولد اللون « الزهري » أو « الوردي » ، فيعود إليه الجمال . وكذلك البرتقالي. إذا خلط بقليل من السواد يظهر لونا غير صاف في حين أن زيادة السواد تحوله إلى بنّي غنيّ[2] .

٢ - يفضل الأطفال في رسومهم تجمع الأحمر مع الأصفر ، أو الأحمر مع الأزرق ، كما يفضلون الأصفر في مصاحبة الأحمر أو البنفسجي أو الأزرق[3] .

٣ - بالنسبة للأضواء الملونة المسلطة على شاشة وجد William Walton و Beulah Morrison أن تجمعا من الأحمر والأزرق كان في قمة التفضيل ، يليه الأزرق والأخضر ، فالأحمر والأخضر ، وأقل من ذلك الكهرمان (الأصفر المحمرّ) والأزرق ، والكهرمان والأخضر ، والكهرمان والأحمر[4] .

(١) Colours ص ١٤ ، ١٥ .
(٢) Principles of Color ص ٥٣ .
(٣) Color Psychology ص ١٧٧ .
(٤) المرجع والصفحة .

انسجام الألوان

يقول أرسطو : « إن الألـوان ، ربما تتواءم كما تتواءم الأنغام بسبب تنسيقها المبهج »[1] . وهذا التنسيق المبهج هو الذي يعنيه المحدثون بانسجام الألوان أو ائتلافها .

وعلى الرغم مما قد قيل من أن الإحساس بحب لون وكراهية آخر قد يكون حكما ذاتيا وأمرا شخصيا ، فإن مثل هذا الحكم - في مجموعه - يطابق حكم الكثيرين كما تبين من تحليل آلاف الآراء . ومعنى هذا أن أحكام الجمال تتبع قوانين عالمية ، أو أن من الممكن مناقشة الجانب الفني للون ، وانسجام الألوان على أسس علمية[2] .

وقد أسس Chevreul (١٧٨٦ - ١٨٨٩) فن انسجام الألوان حين خصص له كتابه « أسس الانسجام والتضاد في الألوان » الذي نشر بالفرنسية أولا ثم ترجم إلى الانجليزية [3] .

وقد أكدت كثير من الدراسات في مجال علم النفس الملاحظة التي أبداها Chevreul وهي أن انسجام الألوان يتحقق بوجه خاص في حالتين :

١ - إذا كانت الألوان متشابهة أو متجانسة .

٢ - إذا كانت متكاملة أو في تضاد قوي[4] .

ومثل هذا ما أعلنه J. P. Guilford من أن « هناك بعض الدليل على أن الاختلافات القليلة جدا أو الكبيرة جدا في اللون تعطي نتائج أكثر إرضاء مما تفعله الاختلافات المتوسطة »[5] .

---

(١) The Art of Light ص ١١ . (٢) قبل السابق ص ١٧٤ .

(٣) Principles of Color ص ٣٤ .

(٤) السابق ص ٣٥ . وانظر Colour - Music ص ٢٦ ففيه إشارة الى جهود العلماء في النمسا وألمانيا حول هذا الموضوع .

(٥) Color Psychology ص ١٧٧ .

أما التشابه أو التجانس فيتحقق في صور أهمها :

أ ـ أن تكون الألوان متلاصقة في دائرة الألوان . وبخاصة حين يكون اللون المفتاحي بسيطا (سواء كان أوليا أو ثانويا)[1] ، وقرن بما يجاوره من الألوان على الجانبين . ومثال ذلك :

* الأحمر	مع	بنفسجي محمر ،	وبرتقالي محمر .
* البرتقالي	مع	برتقالي محمر ،	وبرتقالي مصفر .
* الأصفر	مع	برتقالي مصفر ،	وأخضر مصفر .
* الأخضر	مع	أخضر مصفر ،	وأخضر مزرق .
* الأزرق	مع	أخضر مزرق ،	وبنفسجي مزرق .
* البنفسجي	مع	بنفسجي محمر ،	وبنفسجي مزرق[2] .

ومثل هذا النوع من الألوان موجود في الطبيعة بكثرة : في مدرج ألوان قوس قزح : من أحمر إلى برتقالي إلى أصفر فأخضر فأزرق فبنفسجي ، وفي مدرج ألوان غروب الشمس : من الأحمر إلى البرتقالي فالأصفر فالأزرق ، وفي مدرج ألوان الخريف : من الأحمر إلى البرتقالي والأصفر والذهبي والبني والأرجواني[3] .

ب ـ أن تكون الألوان درجات مختلفة لنفس اللون hue ؛ كأن تكون كلها من مجموعة الأزرق ، أو من مجموعة البرتقالي[4] ، أو من مجموعة الأحمر ، وتتنوع درجات اللون سواء من ناحية القيمة أو الكروما (التشبع) . وهذه الحالة تعرف باسم monochromatic harmony [5]

---

(١) الألوان الأولية : أحمر ـ أصفر ـ أزرق ، والثانوية : برتقالي ـ أخضر ـ بنفسجي .

(٢) Principles of Color ص ٣٧ .

(٣) السابق ص ٣٦ . ولتوضيح ذلك انظر دوائر الألوان في فصل « المعايير القياسية للألوان » وبخاصة دائرة Chevreul .

(٤) Principles of Color ص ٣٤ ، ٣٧ .

(٥) The Art Of Color ص ٤٠٢ ، والتصوير الملون ص ٤١٢ .

جـ ـ أن تكون الألوان مختلفة ولكنها تتقارب أو تتحد في الدرجة tone[1] .

د ـ أن تكون الألوان المجتمعة كلها ذات أصل محايد ، (وهو ما يعرف باسم achromatic harmony) مع تنوع في قيمتها بين الأبيض ، والرمادي الفاتح أو القاتم ، والأسود[2] .

٣ ـ أما التضاد أو التقابل contrast فيتحقق بين الألوان المتكاملة complementary . ومبعث الانسجام أن التضاد يؤدي إلى التوازن ، حيث يستميل كل من المتضادين الآخر حين يوضع إلى جانبه[3] . كما أن اللونين المتضادين يقوى كل منهما الآخر عن طريق إبراز التباين[4] .

وفي الطبيعة تنظيمات من الألوان المتضادة :

* فالزهور البنفسجية غالبا ما يكون لها قلب أصفر .
* والأزرق في بعض الطيور والفراش غالبا ما يكون مقترنا بنقط من البرتقالي .
* والتضاد بين غروب الشمس البرتقالي والسماء الزرقاء الصافية يعد واحدا من أفضل تجمعات الألوان وأكثرها إسعادا .

وعلى دائرة الألوان تبرز التضادات الآتية :

* أحمر	←	أخضر
* برتقالي محمر	←	أخضر مزرق
* برتقالي	←	أزرق .
* برتقالي مصفر	←	بنفسجي مزرق .
* أصفر	←	بنفسجي .
* أخضر مصفر	←	بنفسجي محمرّ[5] .

---

(١) Principles of Color ص ٣٤ .
(٢) التصوير الملون ص ٤١٢ .
(٣) A Basic Treatise ص ٣٥
(٤) التصوير الملون ص ٤١٥ .
(٥) Principles of Color ص ٣٩ ، The Elements of Color ص ٧٢ .

كما يعد من التضاد التقابل بين الأبيض والأسود[١] .

وهناك نوع آخر من انسجام المتضادات يعرف باسم انسجام المكملات المشطورة harmony of split- complements . وهنا يقترن اللون ليس بمضاده وإنما باللونين المجاورين له . ومثال ذلك :

تضاد الأحمر - ليس مع مقابله الأخضر - وإنما مع الأخضر المصفر أو الأخضر المزرق .

وتضاد البرتقالي مع الأخضر المزرق أو البنفسجي المزرق .

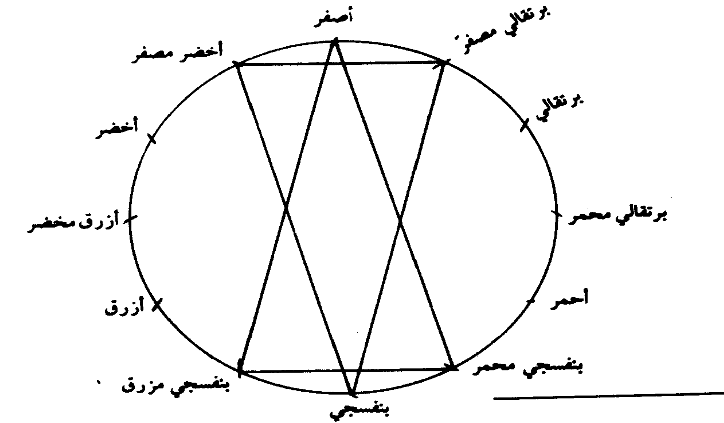
وتضاد الأصفر مع البنفسجي المزرق أو البنفسجي المحمر .

والأخضر مع البنفسجي المحمر أو البرتقالي المحمر .

والأزرق مع البرتقالي المحمر او البرتقالي المصفر[٢] ، وهكذا .

ويتحقق كذلك التضاد في داخل اللون الواحد ، وذلك إذا تضاربت القيمة أو الكروما ، بأن نقرن لونا ذا قيمة منخفضة بنفس اللون لكن مع قيمة مرتفعة ، أو لونا ذا كروما ضعيفة بنفس اللون مع كروما قوية[٣] .

والشكل الآتي يبين كيفية التوصل إلى المكملات المشطورة للون :

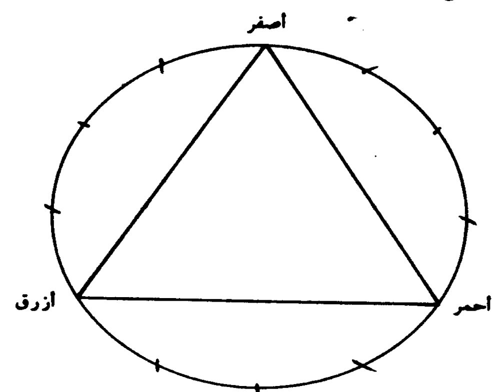


(١) الأخير ص٣٣ . (٢) Principles of Color ص ٤٠ . (٣) A Basic Treatise ص٣٥

ويمكن تحقيق قاعدتي التجانس والتضاد مع تجمعات تزيد على لونين على النحو التالي :

١ ـ بالنسبة لتجمع من ثلاثة ألوان من الممكن أن نختار قطاعا معينا محددا من الألوان مثل الأحمر إلى الأصفر مثلا ، ونختار داخل هذا القطاع درجات متناسقة في اللون والقيمة والكروما تحمل علاقة منظمة بعضها مع بعض[١] .

كما أن من الممكن أن نختار ثلاثة ألوان من دائرة الألوان بحيث تشكل خطوطها مثلثا ، مثل الأحمر والأصفر والأزرق كما يبين الشكل الآتي :

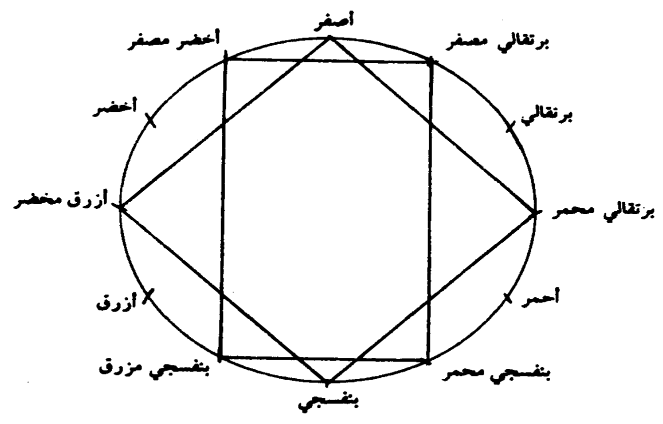


أو نطبق قاعدة انسجام المكملات المشطورة التي سبق أن شرحناها[٢] .

٢ ـ أما بالنسبة لتجمع من أربعة ألوان فالقاعدة أننا إذا اخترنا ثنائيين متكاملين في دائرة الألوان تترابط خطوطها عموديا في شكل مربع أو مستطيل

(١) السابق ص ٣٦ .
(٢) Principles of Color ص ٤٠ ؛ A Basic Treatise ص ٣٦ ، ٣٧ .

فإننا نحصل على شكل رباعي منسجم مثل : أصفر - برتقالي محمر - بنفسجي - أخضر مزرق . والشكل الآتي يوضح ذلك[1] :



وهناك إلى جانب ما سبق جملة من الأحكام الهامة المتعلقة بانسجام الألوان نذكر من بينها :

١ - أن هناك قدرا من الذاتية في الحكم على المخطط اللوني . ولا يوجد تجمع لوني يمكن أن يرضي كل الأشخاص . فبعضهم - مثلا - يكره كل مخطط يحوي برتقاليا قويا ، أو بنفسجيا ، وبعضهم يحب هذين اللونين . وبعضهم - من ناحية أخرى - يحب اللون منفردا ، فإذا اجتمع مع غيره يكرهه[2] .

٢ - أن المُخطط اللوني الجيد يشترط فيه - إلى جانب تحقيق الوحدة والانسجام - أن يكون ملائما لهدفه ، وأن يتصف بالتنوع والتشويق . فإذا كان المخطط لإعلان حائطي تكون الألوان المتقابلة أو المتكاملة القوية ذات الكرومات القوية والقيم العالية - أفضل . وإذا كان لغرفة نوم تخص بنتاً صغيرة

---

(١) The Elements of Color ص ٧٣ .

(٢) The Art of Color ص ٣٤٧ .

كان المطلوب العكس . . وهكذا[1] .

٣ ـ أن المواقف الحزينة أو الجادة أو الوقورة تتطلب ألوانا قاتمة منخفضة القيمة قليلة التشبع والعكس بالعكس[2] .

٤ ـ إذا كانت الألوان تشكل رسما أو صورة فيشترط إلى جانب الانسجام ما يأتي :

أ ـ أن تؤدي الغرض الذي أعدت من أجله ، وأن تتناسب ألوانها مع هذا الغرض .

ب ـ أن يكون هناك مركز لجذب الانتباه ، أي جعل جزء منها يتمتع بالسيادة على ما يجاوره . وليس من المستحب أن يتقاسم جزءان أو أكثر من أجزاء الصورة جذب انتباه الرائي ؛ ففي ذلك تشتيت لذهنه وإضعاف لقيمة الصورة الجمالية[3] .

٥ ـ إذا قدمت مجموعة من الألوان أو القيم ذات الخلاف القوي في مساحات محدودة في شكل نقط أو خطوط ، وعرضت أمام العين فإنها تميل إلى أن يلغي بعضها بعضا ، وينشأ عن ذلك بَهَت اللونين . ومثال ذلك الأحمر والأخضر ، فحين يوضعان متجاورين يكونان نابضين بالحياة ، ولكن حين ينشران جنبا إلى جنب سيكون الناتج لونا بنّيا طينيّاً[4] .

ولهذا ينصح بالنسبة للألوان المتضادة أن تعرض في المساحات الكبيرة ، وبصورة متجاورة ، وللألوان المتقاربة أو المتشابهة أن تعرض في المساحات الصغيرة وبصورة منتشرة[5] .

---

(١) السابق ص ٣٤٨ .

(٢) التصوير الملون ص ٤٠٤ .

(٣) السابق ص ٤٠٥ .

(٤) Principles of Color ص ٣٤ .

(٥) السابق والصفحة .

٦ - تفضل العين الترتيب والتدرج في الألوان إذاتعددت . ولذا فإن الانتقال من الأبيض إلى الرمادي إلى الأسود ، أو من الأسود إلى الرمادي إلى الأبيض أفضل من الانتقال من الرمادي إلى الأسود إلى الأبيض أو من الأسود إلى الأبيض إلى الرمادي ؛ لأن الأول يسير تبعا لنظام متتابع مستقيم بخلاف الثاني[١] .

٧ - يستلزم اعتبار نسب معينة لمساحات الألوان حين اجتماعها حتى تتوازن ولا يحقق أحدها طغيانا على الآخر . وذلك لأن الألوان تختلف فيما بينها في اللمعان أو القيمة الضوئية light value . وقد توصل Goetheإلى نسب رقمية تقريبية لهذه القيم وهي :

أصفر	برتقالي	أحمر	بنفسجي	أزرق	أخضر
٩	٨	٦	٣	٤	٦

فتكون النسب في الألوان المتقابلة هكذا :

أصفر/بنفسجي = ٩ : ٣ =٣ : ١ = ٣/٤ : ١/٤ .
برتقالي/أزرق = ٨ : ٤ = ٢ : ١ = ٢/٣ : ١/٣ .
أحمر/أخضر = ٦ : ٦ = ١ : ١ = ١/٢ : ١/٢ .

وبتطبيق هذه النسب على المساحات المتلائمة يجب إذا اجتمع الأصفر والبنفسجي أن يشغل الأصفر ثلث ما يشغله اللون البنفسجي . وفي اجتماع البرتقالي مع الأزرق يجب أن يشغل البرتقالي نصف ما يشغله الأزرق . . وهكذا[٢] .

---

(١) السابق ص ٥٥ .
(٢) The Elements of Color ص ٥٩ ، ٦٠ .

والأشكال الآتية توضح ذلك :

أصفر	بنفسجي

برتقالي	أزرق

أخضر	أحمر

٨ ـ لاحظ I. H. Godlove أنه في تجمعات الألوان حينما يكون التنوع بين لونين مختلفين أحدهما قاتم والآخر فاتح يكون المظهر أفضل حينما يكون اللون الفاتح مأخوذا من لون هو في أصله فاتح ، ويكون اللون القاتم مأخوذا من لون هو في اصله قاتم . وعلى هذا فالأخضر الفاتح مع الأزرق القاتم أفضل من الأخضر القاتم مع الأزرق الفاتح . والأصفر الفاتح يبدو أفضل مع بني أو أزرق أو بنفسجي منه مع أخضر فاتح[١] .

٩ ـ هناك مجموعة من الألوان الصعبة ليس من السهل أن توائمها مع غيرها إلا حينما تواءم مع ألوان مقاربة أو مضادة ، أو مع ألوان خاصة ؛ مثل اللون المحايد achromatic colour أو الأخضر المشرق vivid green[٢] .

استخدام اللون في التجميل

استخدم الإنسان الألوان كوسيلة من وسائل تجميل الجسد من أقدم العصور ، واتخذ أنواعا من الصبغات والأدهنة التي استخلص معظمها من

(١) Color Psychology ص ١٧٩ .
(٢) A. I. C. Color 77 ص ٢٠٠ .

مواد موجودة في الطبيعة . وقد عرف المصريون القدماء صباغة الشعر بألوان مختلفة منها اللون الوردي أو لون مائل إلى الاخضرار[1] . وتعد ظلال العيون المعروفة بالكحل واحدة من أوائل مستحضرات التجميل ، وكانت إما خضراء وإما سوداء[2] . وقد استعمل الكحل في مصر القديمة منذ عصر ما قبل الأسرات .

وكان اللون الأحمر من أشهر الألوان المستخدمة في التجميل وبخاصة في الوجنات والشفاه[3] . وقد كان هذا شائعا في مصر القديمة واليونان وعند البيزنطيين . وفي مصر القديمة استخدم مسحوق أبيض أو عجائن لبنية لتبييض الوجه أو ترطيب البشرة[4] . وتعد هذه من وسائل التجميل المؤقتة .

وقد استخدم الإنسان كذلك وسائل تجميل دائمة مثل الوشم ، وشق الجلد . وكان الوشم يتضمن ثقب الجلد وحشوه بمواد ملونة[5] .

وقد كانت معظم الأصبغة المستخدمة نباتية . فالحناء ـ وقد استخدمها المصريون القدماء والرومان[6] ـ كانت تستخدم في غرب آسيا من أحد النباتات ، وهي الآن واسعة الاستعمال في صباغة الشعر والأيدي والأظافر . ومساحيق الوجه والشفاه الحمراء كانت تؤخذ من أكسيد الحديد الأحمر ، وكان يوجد في الطبيعة ، وهي المغرة الحمراء[7] .

وكان الهنود البرازيليون يستعملون عصير الفواكه الملونة لطلاء

---

(١) التجميل عند قدماء المصريين ص ٢٤ .

(٢) منه المأخوذ من الملخيت malachite (وهو خام أخضر من خامات النحاس) ومنه المأخوذ من الجالينا galina (وهو خام أشهب قاتم من خامات الرصاص) ومنه المأخوذ من السناج (أسود الدخان) وذلك بإحراق نوع رخيص من الكتان أو قشر اللوز (التجميل ص ٩) .

(٣) السابق ص ١٠ ، ١٨ .

(٤) السابق ص ١٠ .

(٥) Colour and Life ص ١٣٥ ، ١٣٧ ؛ Methuen Handbook ص ١٣٥ .

(٦) التجميل ص ١٢ .

(٧) السابق ص ١٠ .

الوجه فيحصلون على اللون البنفسجي من نبات الـ Lana ، واللون البرتقالي من نبات الـ annatto . ومن أشهر النباتات التي استخلصت منها الصبغات : الورد والعنب وجذور الشنجار الذي يعطي لونا مائلا للبنفسجي . وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كانت الصباغة بالأشنة شائعة في التجميل[1] .

واتخذت بعض الصبغات من الحيوان كذلك . ومن بين الصبغات الحيوانية استخدم صبغ قرمزي من البق ، وأرجواني من المحار والحلزون[2] .

واستجلب الرومان مستحضرات تجميلهم من الشرق ، ثم انتشرت بسرعة في أوربا الغربية . وقد أعطى De Bligny (١٦٩٨) طريقة لتحضير أحمر الشفاه Lip rouge مستعملا عصير العنب وبودرة الشنجار .

ومنذ القرن الثامن عشر برز التلوين في مستحضرات التجميل ، واستخدمت فيها مواد طبيعية مثل زيت الزيتون والشمع الأبيض . ولم يكن حتى نهاية القرن التاسع عشر حين استعملت الدهون المعدنية والزيوت التي لا تفسد رائحتها كدهن الفزلين والبارافين . وقد استخدمت بإضافة بعض الألوان إليها .

وخلال القرن الحالي أجريت مزيد من التجارب على مستحضرات التجميل ككل وبخاصة أحمر الشفاه والبودرة ، وتعددت ألوانهما. ويعد طلاء الأظافر تطورا حديثا . نعم كانت الأظافر تطلى بالحناء في الشرق القديم ، ولكن وضع طبقة عليها يعد شيئا جديدا[3] .

---

(١) Colour and Life ص ١٣٧ .

(٢) السابق والصفحة .

(٣) السابق صفحة ١٣٧ ، ١٣٨ .

الفصل الرابع

الألوان والمنفعة

لا تقتصر استخدامات الألوان في حياة الإنسان على النواحي الجمالية ، وعلى استثارة الإحساس بالبهجة والانشراح ، وإنما تستخدم كذلك - وربما في المحل الأول - لأغراض وظيفية وأهداف عملية يعد عنصر الجمال أو المظهر فيها أمرا ثانويا .

واستخدامات الألوان لأغراض وظيفية تملأ علينا حياتنا حتى قال بعضهم بحق « من المستحيل أن نتصور عالمنا بدون ألوان »[1] . نعم . . من المستحيل أن نتصوره كذلك . فالمرور تنظمه الألوان ، ولوحات أجهزة الطيران ومدارج الهبوط ، وتقاطعات الطرق ، وأنابيب المياه ، وأسلاك الكهرباء ، وغيرها . . تنظم بأشكال من الألوان والأضواء والإشارات الملونة .

وحتى الأطباء طوعوا الألوان لأغراض علاجية ، وعلماء النفس يستخدمون اختبارات الألوان لتحليل الشخصية ، ويقومون بعلاج بعض الاضطرابات النفسية من خلال الألوان[1] . وهناك تعبير يستعمله علماء الألوان هو « الألوان الصحيحة » ويعنون به الألوان ذات الشكل الخاص والقيمة الخاصة من أجل الغرض الخاص . وأطلق بعضهم على « الألوان الصحيحة » اسم « الموسيقى الصامتة »[2] .

ولما كانت استخدامات الألوان لغايات منفعية كثيرة ومتعددة فسوف نقصر كلامنا على النماذج التالية منها :

---

(١) Theory and Practice ص ٩ .   (٢) Colours ص ٨٧ .

١ ـ زيادة الإنتاج

من الحقائق التي أثبتتها الملاحظة والتجربة أن للألوان دخلا في زيادة الإنتاج أو نقصه ، وأنها تؤثر على نفسية الشخص إيجابا أو سلبا حتى لو لم يتنبه مطلقا إلى وجود اللون . ولهذا ينصح العلماء بمراعاة طبائع الألوان في المكاتب والفصول الدراسية والمصانع ومراكز الإنتاج بعامة .

وهناك فرع من العلم الآن يسمى تكييف اللون color conditioning يتناول شروط الرؤ ية في المصانع والمكاتب والمدارس وغيرها . وقد بدأ هذا العلم التطبيقي في منتصف العشرينات من هذا القرن ، وهدفه زيادة الإنتاج ، وتحسين الأداء ، وتقليل العيوب والأخطاء ، والحد من الإصابات ، ورفع الروح المعنوية[١] .

وقد ظهر بالتجربة أن اللون الأزرق يشيع البرودة في المكان ، بعكس الأحمر[٢] الذي يثير الدفء[٣] .ففي تجربة لأحد المصانع جهز المسؤولون

---

(١) Colour Psychology ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٢) قسم العلماء الألوان إلى باردة ، وهي الأزرق ومشتقاته ، ودافئة وهي الأحمر ومشتقاته والأصفر . وقد اختلفوا في تفسير هذين المصطلحين ؛ فمنهم من قال إنهما لا يشيران إلى إحساس بالحرارة ، وإنما هو إحساس بصري (Colours ص ١٣) . ومنهم من قال إنه إحساس حقيقي بالحرارة والبرودة . وأثبتوا ذلك عن طريق وضع ترمومتر حساس جدا thermopile على أجزاء مختلفة من مجموعة الطيف فظهر الطرف الأحمر أدفأ ، والأزرق أبرد . (The Art of Color ص ٣٢٠) . وفي تجربة أخرى لإثبات أن الإحساس بالحرارة إحساس حقيقي طليت إحدى الحجرات بلون أخضر مزرق ، والأخرى بلون برتقالي محمرّ . ففي الأولى شعر الأشخاص بالبرودة حين بلغت درجة حرارة الحجرة ٥٩°فهرنهيت في حين لم يشعر بها في اللون الثاني إلا حين بلغت الدرجة ٥٢ ـ ٥٤ .
ونفس النتائج حصل عليها في تجارب أجريت على الحيوانات . فقد قسم اسطبل إلى قسمين أحدهما طلي باللون الأزرق ، والآخر باللون البرتقالي المحمرّ . في القسم الأزرق هدأت الخيل في الحال بعد إجراء السباق . وفي القسم الثاني ظلت الخيل هائجة وغير مستقرة ، ولم يوجد ذباب في القسم الأزرق ووجد ذباب كثير في القسم الأحمر . (The Elements of Color ص ٤٥) .

(٣) Colours ص ١٣ .

حجرة لاستراحة العمال ودهنوا جدرانها باللون الأزرق والرمادي . الأول في المساحات العليا والثاني في المساحات السفلى . وعلى الرغم من تكييف الحجرة لم يكفّ العمال عن الشكوى من رطوبتها وبرودتها . وحينما أعيد دهنها باللون البني والبرتقالي شعر العمال بالدفء ، وامتنعت الشكوى منها رغم أن ظروف التكييف لهذه الغرفة لم تتغيّر[1] . وقد لوحظ في مصنع آخر أن العمال يسأمون ويتعبون ، ويصيبهم الملل في الساعات الأخيرة من اليوم مع كثرة ما يكسرون من أدوات . ولما نفذت إدارة المصنع نصيحة خبراء الألوان فغيروا لون الجدران والمناضد من اللون البني إلى اللون الأزرق السماوي قلت حوادث الكسر ، وارتفعت أرقام الإنتاج .

وهناك قواعد ينصح باتباعها خبراء الألوان ويجب مراعاتها عند تجهيز المعامل والورش والمكاتب والفصول الدراسية والمستشفيات وغيرهما . فالموظف إذا واجه لونا رماديا كالحا في الحائط يقل إنتاجه ، وإذا واجه لونا أبيض مشعا تحدث حساسية في عينه ، مما يقلل من جودة العمل[2] .

ولهذا ينصح بأن تكون درجة البريق النموذجية على الوجه الآتي :

١ ـ السقوف تطلى باللون الأبيض .

٢ ـ الأجزاء العليا من الحوائط لا بد أن تحقق انعكاسا بين ٥٠ و ٦٠٪ من الضوء (إذا كانت الأرضية أو التجهيزات داكنة) أو بين ٦٠ و ٧٠ ٪ (إذا كان اللون الغالب على جو الغرفة هو اللون الخفيف) .

٣ ـ الأجزاء السفلى يجب أن تعكس ما بين ٢٥٪ و ٤٠٪ من الضوء .

٤ ـ الأرضيات يجب أن تعكس على الأقل ٢٥٪ .

٥ ـ بقية التجهيزات والمعدات يجب أن تعكس ما بين ٢٥ و ٤٠ ٪ .

---

(١) الحركة التوافقية ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٢) قبل السابق ص ٩٣ .

وتكون أفتح إذا كانت الأرضية فاتحة وأقتم إذا كانت قاتمة[١] .

٢ ـ العلاج

هناك اعتقاد بين العلماء في إمكانية تحقيق العلاج أو الشفاء عن طريق الألوان . بل منهم من يرى أنه بالنسبة لكل جهاز رئيسي في الجسد يوجد ضوء اللون المعين القادر على إثارة أو كبح أدائه . وقد استخدم فيثاغورس منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة الضوء الملون في العلاج . كما كان هناك اعتقاد عند الإغريق أن الجلباب الأبيض إذا لبسه المحزون هنىء بأحلام سعيدة . كذلك استخدمت الغرف والقاعات الملونة في العلاج في كل من مصر القديمة والصين والهند . وخلال العصور انتقل الطب من روما إلى المسلمين، ووجد قمته عند ابن سينا الذي أعطى للون اهتماما خاصا في كتابه « القانون في الطب »[٢] . وقد كان ابن سينا يلبس مرضاه ويغطيهم باللون الأحمر[٣] .

ويعد الرائد في علاج الألوان في العصر الحديث العالم الدانمركي Niels Finsen الذي درس (١٨٧٧) إمكانية المساعدة على التئام الجروح بالضوء المرئي . وبعد هذا استخدم الضوء الأحمر لكبح تكون ندوب الجدري . وفي عام ١٨٩٦ أسس معهد الضوء Light Institute لعلاج مرضى السل

وبعد هذا أصبح Fernand Léger و Rudolph Steiner و Charles Edward Iredell متحمسين لفكرة العلاج من خلال اللون . وقد جهز Léger غرفا زرقاء وخضراء لعلاج المصابين بالغثيان أو الاهتياج العصبي ،وأخرى صفراء وحمراء لاستمالة المصابين بالكآبة ، وفاقدي الحيوية . وحاضر Steiner المتخصصين في العلاج عن قيمة وسلامة العلاج بالألوان لتقوية أوجه

---

(١) Color Psychology ص ٢٤٨ .

(٢) السابق ص ٢١ ، ٢٢ .

(٣) السابق ص ٣٥ .

الدفاع الطبيعية في الجسد . وقام Iredell بعلاج حالات كثيرة باستخدام الضوء الملون .

وفي السبعينات اعترف بهذا المنهج كعامل مساعد في العلاج وفي العمليات الجراحية ، وأمكن استخدامه لإزالة الأورام الضامرة بإحراق المادة الموبوءة أثناء غلق الشرايين الدموية . كذلك استخدمت الأشعة الضوئية في إبراء النسيج الجلدي المدمّر . واستخدام نوع من الحزم الضوئية في العلاج بدلا من الإبر الفضية والذهبية[١] .

وقد حدد العلماء التأثيرات الآتية للألوان :

١ - اللون الأحمر وصف كثيرا لعلاج التهابات الجلد ، والأرتكريا ، والأكزيما ، والحمى القرمزية ، واللمباجو ، والروماتويد ، وغيرها . ومنهم من استخدمه لزيادة الطاقة الجنسية ، ولرفع ضغط الدم والنبض . وفي بعض الأحيان كان الأطباء يقاومون المرض بجعل كل شيء يتعامل معه المريض أحمر ، حتى الدواء والطعام[٢] .

٢ - اللون الأزرق يضاعف إنتاج ثاني أكسيد الكربون بالنسبة لبعض المخلوقات باردة الدم Cold- blooded . وقد وصف لعلاج الصداع وارتفاع ضغط الدم وعرق النسا وغير ذلك .

٣ - اللون الأصفر يرفع ضغط الدم المنخفض المرتبط بالأنيميا والإنهاك العصبي والوهن العام .

٤ - اللون الأخضر والأخضر المزرقّ يخفف توتر الأعصاب والعضلات ، ويساعد على تركيز التفكير .

٥ - كما زيد من نشاط الهرمونات بالأحمر ودمر بفوق البنفسجي[٣] .

---

(١) Lights and Pigments ص ٣٢ ، ٣٣ .
(٢) Color Psychology ص ٣٥ .
(٣) السابق ص ١٠٩ ، ١١٠ .

وكما استخدم اللون للعلاج استخدم لتشخيص الأمراض ، والاستهداء بلون العضو لمعرفة الداء . وقد صرح Dr. John Benson في مقال نشره (١٩٠٧) . صرح بأن اللسان الأبيض يكشف عن نقص القلويات والأحمر اللامع عن نقص الأحماض . وقال إن اللون الأحمر القاتم في اللسان علامة وجود عدوى ، واللون البني علامة التيفود[١] .

ومن المعروف أن لون البشرة يمكن كذلك أن يدل على المرض . فصفرة الوجه تشير إلى مرض في الكبد . واخضرار الجلد مع شحوب الشفتين يعني الأنيميا أو التسمم أو اضطراب الصفراء . ومع السرطان المتقدم يكون لون الجلد مصفرا ، ثم بنيا مصفرا أو بنيا مخضرا . ومع نقص الأكسوجين يزرق لون الوجه .

كذلك لون الدم (كرات بيضاء وكرات حمراء) ولون البول ولون إفرازات الأنف ولون البراز كلها مهمة في تشخيص المرض[٢] .

وكما استخدم الأطباء اللون في العلاج وتشخيص الأمراض استخدمه العامة في بعض عاداتهم العلاجية ومعتقداتهم الطبية . ففي التعاويذ تستخدم ألوان معينة هي الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والأبيض . ويعتقد كثير من العامة في قدرة الحجر الأحمر على علاج بعض الأمراض . والحجر الأزرق أو البنفسجي - عند الكثيرين - رمز الطهر والإيمان ، وإذا علق في رقبة الصبي جعله مطيعا لوالديه . والحجر الأصفر - عند بعضهم - يجلب السعادة والغنى . أما الحجر الأبيض فيحمي من الحسد . والحصاة البنية منهم من يعتقد في أنها تطرد الحمى ، وتوقف ارتشاح العين بالدموع وتقلل من دم الحيض . وبعض الأحجار الكريمة الخضراء تتغلب على أمراض العين ، والصفراء تفيد في اليرقان وأمراض الكبد[٣] .

---

(١) السابق ١١٠ .

(٢) السابق ص ١١٠ - ١١٣ .

(٣) Color Psychology ص ٣١ ، ٣٢ .

٣ - الدعاية والتأثير

من أهم الدراسات التي ظهرت في هذا المجال دراسة بعنوان : Effects of Color on the Meanings of Advertised Products وهي تعالج استخدام الإعلان مع إبراز دور الألوان فيه(١)

وبجانب ملاءمات الألوان لإنتاج معين يراد الإعلان عنه ثبت أن للألوان تأثيرات ذات معان عاطفية مختلفة ، مما قد يؤدي إلى تغيير الحكم على إنتاج معين ارتبط بها(٢) . وقد قام العلماء بدراسات وتجارب كثيرة أثبتت أن اللون قد يؤثر على معدل الشراء . وقد ذكر H. Kecham أن نسبة البيع للقهوة قد زادت حينما عبئت في عبوات صفراء وبرتقالية ذات كرومات ضعيفة ، في حين أن المجوهرات تكون أكثر جاذبية حين تعرض في ألوان صفراء أو أرجوانية ذات كرومات قوية(٣) . وذكر صاحب محل جزارة أنه بعد أن أعاد طلاء محله ، وتوقع زيادة المبيعات حدث العكس . وقد اكتشف فيما بعد أن نظام الألوان هو السبب . لقد دهن الحوائط أصفر فاقعا يولّد الأزرق في المخيلة . هذا الأزرق ينعكس على اللحم الأحمر فيظهره في شكل أرجواني . ولذا يظن المشتري أن اللحم غير طازج أو متعفن. وغير الجزار اللون إلى أخضر مزرقّ ، وهو اللون المكمل للون اللحم الطازج فأخذ اللحم منظر الطزاجة وصار أكثر حمرة من قبل فازدادت مبيعاته(٤) .

وفي تجربة مقصودة دعا باحث عددا من الأصدقاء على مائدته . وبعد أن صف الأطباق على المائدة وقد امتلأت بأشهى المأكولات وأطيبها ، وجلس كل واحد على كرسيه أخذ يغير لون الإضاءة من الأبيض إلى أضواء ملونة . وقد أدى هذا إلى تغير لون الطعام . فاللحم « الاستيك » صار لونه رماديا

---

(١) The Measurement of Meaning ص ٢٩٩ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) The Art of Color ص ٤٠٢ .
(٤) Colours ص ٤٣ .

مصفرا . والكرفس بلون الزهر . والسلاطة تحولت إلى لون بنفسجي طيني . والبازلاء الخضراء أخذت لونا أسود . واللبن تحول إلى لون الدم . والبيض صار أزرق . والقهوة صفراء مقبضة . ونتيجة لهذا فقد معظم المدعوين شهيتهم للطعام . ومن قاوم شعوره واستمر في الأكل أحس بالمرض . لقد فشلت الوليمة ولكن التجربة نجحت . إنها أثبتت أننا نأكل بأعيننا كما نأكل بحاستي الذوق والشم[١] .

وقد أثبتت الدراسات النفسية التأثيرات الآتية للألوان :

١ ـ الأزرق المرتبط بظلام الليل يسبب الخمول والهمود ويرتبط بالطاعة والولاء والتضرع والابتهال .

٢ ـ الأصفر المرتبط بالبياض وضوء النهار يثير التحفز والتهيؤ للنشاط . وهو أقل من الأحمر إغراء في الطعام .

٣ ـ الأحمر يثير روح الهجوم والغزو والافتتان والشجاعة والثأر . ويخلق في الإنسان نوعا من التوتر العضلي ، ويرفع من حرارة الجسم . وهو يبدو أكثر الألوان إغراء في الطعام .

٤ ـ الأخضر يرتبط بروح الدفاع والمحافظة على النفس . ويبعث في النفس الاسترخاء ويقلل من ضربات القلب ودرجة الحرارة . وحين يكون أخضر خالصا يكون ذا إغراء قوى في الطعام لأنه لون الطزاجة الطبيعية[٢] .

وقد قام G. Brighouse بقياس لرد الفعل البشري تحت الأضواء الملونة فقاس الاستجابات العضلية على عدة مئات من الناس . وقد وجد أن رد الفعل كان أسرع من المعدل الطبيعي بمقدار ١٢٪ تحت اللون الأحمر ، وأن اللون الأخضر أخر رد الفعل[٣] .

---

(١) Colours ص ٤٤ .

(٢) Color Psychology ص ١٦٧ ؛ Lights and Pigments ص ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) قبل السابق ص ١٤٤ .

وقد أجريت تجارب للتحقق من التأثيرات العاطفية للألوان استخدمت فيها أنواع من المنتجات المحلية (قميص ـ آيس كريم ـ سجاد ـ سيارات ـ فطائر . . .) مع ألوان مختلفة (أحمر ـ أصفر ـ أخضر ـ أزرق ـ بنفسجي ـ أسود ـ أبيض) وكانت النتائج الرئيسية كما يلي :

١ ـ اختلاف اللون أعطى إحساسا مختلفا . فالأحمر مثلا أظهر الشيء المُنْتَج أكثر دفئا ، والأزرق والأخضر أظهره باردا .

٢ ـ ارتباط اللون بالشيء نفسه . فاللون البنفسجي قد يفضل في سيارة مثلا ، ولكنه يكره في الفطائر . واللون الأزرق قد يجعل السيارة جذابة . ولكن اللون الأصفر قد يكون أكثر جاذبية مع القميص .

٣ ـ وجد ميل نحو تفضيل اللون الأصفر .

٤ ـ وجد أن الألوان من مجموعة الأحمر تبعث النشاط والإيجابية في نفس الرائي في حين أن الألوان من أسرة الأزرق تزيد من السلبية .

٥ ـ كلما كان اللون اكثر تشبعا saturation (= شدة intensity) بدا الشيء المعروض اكثر فاعلية[١] .

ولا يقتصر تأثير الألوان على الإنسان ، فلها تأثيرها كذلك على النبات والحيوان . فالأحمر يملك طاقة ذات تأثير قوى على نمو النبات كما يعجّل بنمو بعض الحيوانات الدنيا[٢] . أما الأزرق فيملك طاقة عكسية إذ يعوق نمو النبات[٣] .

ومن العلماء من استخدم تتابع الضوءين الأحمر والأزرق مع بعض النباتات لزيادة نموها . ووجد بالبحث أن اللونين الأصفر والأخضر محايدان[٤] .

---

(١) The Measurement of Meaning ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ .

(٢) Color Psychology ص ٢٥٨ .

(٣) السابق ص ٢٦٠ .

(٤) The Art of Light and Color ص ٩٤ .

وهذه ملاحظات وتجارب أخرى أثبتها بعض العلماء عن أثر اللون أو الضوء على النبات :

١ ـ زرع C. Flammarion (١٨٩٥) نباتا في مستنبت زجاجي تحت تأثير زجاج صاف ، وأزرق ، وأخضر ، وأحمر :

أنتج الأحمر نباتا أطول لكن الأوراق كانت أدق .

وأنتج الأزرق نباتا ضعيفا غيرتام النضج .

٢ ـ في سنة ١٩٠٢ لاحظ L.C. Corbett تأثير الضوء الأحمر الإيجابي على نمو الخسّ .

٣ ـ كتب Earl S. Johnston تقريرا عن اللون ونمو النبات عام ١٩٣٦ أثبت فيه ما يلي :

أ ـ تحت تأثير الضوء تتحد بعض العناصر في النبات لتكون سكريات . هذه السكريات تتطور إلى نشا وبروتينات ودهون وغيرها . هذه المركبات تغذي النبات وتغذي الحيوانات التي تتغذى بها .

ب ـ يتأثر نمو النبات بطول النهار وقوة الضوء واللون ، وبدرجة الحرارة .

جـ ـ هناك من الزهور ما يعد من مجموعة اليوم القصير ، وما يعد من مجموعة اليوم الطويل .

٤ ـ لاحظ Dr. R. B. Withrow أن النبات ينمو بصورة أطول تحت الضوء الأحمر البرتقالي ، ويليه في الأفضلية الأحمر . أما تحت الضوء الأخضر والأصفر والأزرق فإن النبات لم ينم بنفس الطول ولم يزهر . وقد ذكر Withrow أن من الممكن لأغراض تجارية وعن طريق ضوء أو لون إضافي إحداث إنبات مبكر ، ومضاعفة التزهير في بعض النباتات .

٥ ـ في هولندا استخدم ضوء النيون الأحمر تجاريا مع الزهور والفراولة[١] .

---

(١) Color Psychology ص ٨٢ ـ ٨٨ .

وأجرى بعض العلماء بعض التجارب على الحيوانات كان من نتائجها :

١ ـ أثبت بعضهم تـأثيرات اللون على تـوالد الفئـران والمِنْـك والشنشيلة .

٢ ـ بين John Ott أن الضوء الأزرق يؤدي إلى ارتفاع معدل الإخصاب عند الأنثى . وأن الضوء الوردي يؤدي إلى ارتفاع المعدل عند الذكر . ويستعمل مربو الشنشيلة عادة ضوءا صناعيا أزرق من أجل إنتاج أكبر من الإناث .

٣ ـ بالتجارب على الفئران تبين أن نشاطها كان أعظم في الظلام . ويلي ذلك اللون الأحمر . أما مع الضوء الأصفر فكان النشاط أكثر بالنسبة لضوء النهار وللضوء الأخضر والأزرق ، وبشكل واضح أقل من الأحمر ومن الظلام [1] .

٤ ـ وضوح الرؤية والأمان

وضع « كود » للألوان بموافقة مركز المعايير القياسية الأمريكية لتحقيق الأمان ، على النحو التالي :

١ ـ اعتبر اللون الأسود مع الأصفر أحسن الألوان حين يكون المراد لفت الانتباه السريع ، وحينما يكون النظر إلى الشيء من بعد (علامات الطرق السريعة مثلا) . ولذا تطلى بهما الحواجز والكتل المنخفضة وأطراف الأشياء وأحرف الأرصفةللتحذير من التعثر أو التنبيه إلى خطر .

٢ ـ أما اللون الأحمر فيحمل معنى الخطر والإثارة . ولذا يستعمل للإشارة إلى معدات مقاومة الحريق وللوقاية من النار .

---

(١) The Art of Light ص ٩٥ . وانظر في تأثير الألوان على الأميبا والحشرات والسمك والطيور : Color Psycology ص ٩١ ـ ١٠٣ .

٣ ـ اللون البرتقالي لأنه مزيج من الأحمر والأصفر يحمل بعضا من القابلية العالية للرؤ ية من بعد (أخذا من الأصفر) وبعضا من الرمز إلى الخطر والإثارة (أخذا من الأحمر) . ولذا يكثر استخدامه في الأجزاء المتحركة الخطرة ليعطى إحساسا دائما بالإنذار . كما يستخدم بوجه خاص في أعمال الإنقاذ البحرية والجوية وفي الإصلاحات التي تتم في الطرق وعلى قضبان السكك الحديدية[١] .

ولمنع كثير من الحوادث تستخدم الألوان اللامعة الدافئة في الأجزاء الخطرة من الآلة .

٤ ـ أما اللون الأخضر فقد وقع الاختيار عليه للإشارة إلى وسائل الإسعاف الأولية وخزائن الأدوية ونحوها[٢] .

وقد ثبت أن العين ترى بصورة أفضل مع الضوء الأبيض المصفر أو الأخضر المصفر ، وترى أسوأ مع الضوء الأزرق . ولذا ينصح باتخاذ نظارات شمسية تتجه إلى الأصفر أو الأخضر المصفر . فهذه الألوان لا تزيد الرؤية فقط ، ولكنها تقلل كذلك الضوء الزائد من أشعة الشمس . ومع اليوم المشمس تحسّن العدسات الصفراء الرؤ ية وتجعل المرء قادرا على الرؤ ية لمسافة أبعد[٣] .

ومع القراءة حين يتعلق الأمر بتسهيل الرؤ ية ، وليس فقط وضوح الرؤ ية ـ يجب أن تراعى العوامل الأخرى . لأن اللون المشرق مثل الأصفر قد يتعب العين بعد تركيز طويل . وقد كان يظن أن اللون الأخضر الخفيف أسهل عل العين ولكن ثبت العكس . وقد كتب Ferree وRand : « أي اتجاه بالورقة ناحية الأخضر غير مفضل ؛ لأنه يزيد إجهاد العين وتعبها » . ومع مصادر الضوء فالورق والخلفيات•تكون أفضل حينما تكون بيضاء أو ذات ألوان

(١) Principles of Color ص ٧٧ .

(٢) Color Psychology ص ٢٥٣ ؛ Colours ص ٨٨ ، ٩٢ .

(٣) قبل السابق ص ٢٤٣ .

فاتحة . وإذا كانت حروف الطباعة أو الكتابة سوداء فإن أفضل لون للورق هو الأبيض ، ويأتي بعده العاجي الباهت ، أو الكريمي ، ثم الأخضر المصفر الباهت[1] .

٥ ـ استخدامات عملية

هناك جوانب تطبيقية كثيرة لاستخدامات الألوان تنبه إليها الإنسان القديم والحديث ، ومنها ما تتكفل به الطبيعة لحفظ الحياة، ومن ذلك :

١ ـ ما دام اللون والتسخين يحدثان عن ضوء الشمس فإن العلاقة بين اللون والحرارة واضحة ؛ لأن الأبيض يعكس الضوء فهو ايضاً يعكس الحرارة . ولأن الأسود يمتص الضوء فهو أيضاً يمتص الحرارة . وقد استخدمت هذه النظرية في تطبيقات كثيرة في الحياة اليومية :

أ ـ فالرحالة في القطب احتفظوا بماء شربهم غير مُجَمَّد عن طريق طلاء لأوعية باللون الأسود . فخلال النهار تمتص هذه الأوعية حرارة معقولة من الشمس فترفع درجة حرارتها الى ٦٠ فهرنهيت في حين يكون الهواء الخارجي ٢٠ تحت الصفر .

ب ـ وينصح في الشتاء بارتداء ملابس سوداء أو قاتمة لأنها تمتص أشعة الشمس . وفي الصيف بارتداء ملابس بيضاء أو فاتحة لأنها تعكس أشعة الشمس[2] .

٢ ـ كان الإنسان في القديم يدهن جسمه عند الحرب أو الصيد ليبدو أكثر ضراوة من حقيقته . وهو في الحديث يستخدم الألوان لإخفاء أدوات القتال والأجهزة الحربية والجنود . وتلوّن الملابس للتلاءم مع العمليات الحربية الكبيرة أو الصغيرة ، وفي المواجهة أو في الغابة . وتدهن الدبابات في فصل الصيف باللون الزيتوني وفي فصل الشتاء باللون الأبيض[3] .

---

(١) نفسه ص ٢٤٤ .

(٢) Colurs ص ٢١ ، ٢٢

(٣) نفسه ص ٢٤ .

٣ ـ بعض الحيوانات يغير لونه بتغير الفصول . وكذلك كثير من الأسماك تبعا للظروف الطارئة . وكثير من الكائنات يأخذ لون البيئة التي يعيش فيها . فالدب في القطبين أبيض كلون الثلج . والضفدعة خضراء لأنها تعيش في الماء . والفراشة تبدو في شكل الزهرة .ولون النمر يشبه لون الغابة [١] .

٤ ـ شكا أحد الأزواج من كآبة زوجته وعدم تجاوبها معه . وقد تبين أن السبب هو طلاء الغرفة . واقترح متخصص في الألوان تغيير اللون الأزرق للحوائط إلى لون دافىء مع إزالة كل الأشياء السوداء وإضافة صور وزهريات وقطع زينة حمراء أو برتقالية . وبعد فترة قصيرة تغير الوضع وعادت المرأة إلى حالتها الطبيعية ، وصارت زوجة سعيدة[٢] .

٥ ـ اللون القاتم على الحوائط وفي الأثاث يمتص ضوءا كثيرا ويحتاج إلى إضاءة اكثر ، ويؤدي إلى استهلاك أكثر للطاقة . ولذا ينصح باستخدام اللون الفاتح الذي يسمح بتقديم ضوء مناسب بأقل تكلفة[٣]

٦ ـ حينما يسافر ضوء الشمس مباشرة تجاه الأرض فإنه لا بد أن يمر خلال كثافات من الهواء ، كما هو الحال عند شروق الشمس أو غروبها ، أو خلال هواء محمل بذرات دقيقة كما هو الحال في الجو الرطب أو المدخّن . فحينئذ تفقد الأشعة القصيرة عن طريق تبددها ، ولا تخترق الفضاء إلى الأرض سوى الأشعة الصفراء أو البرتقالية أو الحمراء .

وحيث إن الأشعة الحمراء الطويلة وما يقرب منها أقل تبددا فإن هذا يوضح سر اختيار اللون البرتقالي أو الأصفر للمبات الضباب في السيارات ، واستخدام النيون الأحمر في المطارات[٤] .

---

(١) المرجع والصفحة .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦ .
(٣) المرجع ص ٩٢ .
(٤) Colour, its Principles and their App. ص ٤٧ .

الفصل الخامس

الألوان والمعتقدات

ربط الإنسان الأول الألوان بالعالم المرئي من حوله ، كما رمز بها الى قوى خفية يشعر بها ولا يراها أو يعرف كنهها . كذلك غزت الألوان عادات الشعوب وتقاليدها حتى صارت جزءا من تراثها ، واستخدمها الإنسان القديم والحديث في طقوسه الدينية وفي عبادته . ولا تخلو حتى الاديان السماوية من هذه الطقوس .

وسنعرض الآن صورا من كل نوع :

اللون والخرافة

تناولنا في الفصل السابق صورا من الاستخدامات الاسطورية للالوان في علاج بعض الامراض والاوبئة ، والخاصة الشفائية لبعض المواد الملونة . وهناك صور أخرى ارتبطت بالإنسان الأول ، ومنها ما انحدر الى انسان العصر الحديث ، أو ظل سائدا بين الشعوب البدائية . ومن ذلك :

١ ـ اعتقد الهنود في وجود ارتباط بين الطبقة الاجتماعية واللون . وكما تقول اسطورتهم :

أ ـ من فم الخالق جاء البراهمة الذين لونهم أبيض . وهؤلاء هم رجال الدين .

ب ـ ومن ذراعيه جاءت طبقة الجنود الذين لونهم أحمر .

جـ ـ ومن فخذه جاءت طبقة التجار ، وهؤلاء لونهم أصفر .

د ـ ومن قدمه جاءت طبقة الخدم ، وهؤلاء لونهم أسود .

٢ ـ في إحدى قصص ألف ليلة وليلة حولت زوجة الأمير الشريرة سكان المدينة ذوي الأجناس الأربعة الى سمك . وقد أخذ المسلمون اللون الابيض والمجوس اللون الاحمر والمسيحيون اللون الازرق واليهود اللون الاصفر[١] .

٣ ـ بعض الشعوب استخدم احجارا معينة لكشف الكذب ، اذ كان يعتقد في تحولها في يد الشاهد الكاذب الى اللون الاسود[٢] .

٤ ـ استخدمت الالوان في السحر . فالساحر كان يكتب سحره بأحبار ملونة . وعادة ما كان يغلب عليها اللون الأحمر[٣] .

٥ ـ لأن الأمراض والأوبئة تأتي بصورة غير طبيعية وبطريقة مجهولة فإن الألوان المستخدمة لازالتها يجب ان تكون كذلكُ غير طبيعية . الحصاة البنية تطرد الحمى وتوقف ارتشاح العين بالدموع وتقلل دم الحيض . وبعض الاحجار الكريمة الخضراء تتغلب على أمراض العين . وبعض الأحجار الكريمة الصفراء مفيدة لليرقان وأمراض الكبد[٤] .

٦ ـ الالوان المفضلة في التعاويذ هي الأحمر ـ الأزرق ـ الأصفر ـ الأخضر ـ الأبيض . ولارتباط اللونين الأزرق والبنفسجي بالطهارة والإيمان كانت تعلق في رقبة الصبي حجارة زرقاء وبنفسجية ليس فقط لتأكيد ارتباطه بهاتين الصفتين ، ولكن كذلك لتجعل الصبي مطيعا لوالديه .

٧ ـ وجد اعتقاد ان الحجر الاصفر يجلب السعادة والغنى ، وان الحجر

---

(١) Color Psychology ص ٧ ، وقد وردت القصة في الليلة الثامنة ٢٩/١ .

(٢) Color Psychology ص ٣٤ .

(٣) Color Psychology ص ٣٠ . (٤) السابق ص ٣١ ، ٣٢ .

الاخضر يجلب الخصب والنماء ، وأن الحجر الابيض يحمي من عين الحسود [1] .

٨ ـ استخدم اليابانيون اللون الاحمر لطرد الكابوس . وكانت هناك خواتم حمراء يرتديها الجنود في مصر القديمة حين يقابلون اعداءهم حتى لا يجرحوا . واذا جرحوا حتى لا ينزفوا[2] .

٩ ـ في أمريكا منذ مدة طويلة كان اللون الازرق رمزا للجنوب (وقد أحدث الفجر) . والأبيض للشرق (وقد أحدث النهار) . والأصفر للغرب (وقد أحدث الشفق) . والأسود للشمال (وقد أحدث الظلام وغطى به العالم) ورمز الهنود الامريكيون للعالم السفلي باللون الاسود ، وللعالم العلوي بألوان كثيرة[3] .

اللون والدين

أعطت كثير من الديانات للألوان قيمة خاصة ، واتخذت لها دلالات رمزية[4] . ومنها ما ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة :

١ ـ **فالأصفر** لون مقدس ليس فقط في الصين والهند ، ولكن كذلك في المسيحية الاوربية . واستخدمت الكنيسة اللون الاصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية[5] . ولارتباط اللون الاصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزا لإله الشمس رع[6] .

٢ ـ **الأبيض** : في العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدسا ومكرسا

---

(١) السابق ص ٣١ . (٢) السابق ص ٣٦ .
(٣) السابق ص ٨ .
(٤) The Art of Color ص ٣٩٩ .
(٥) Color Psychology ص ٥ ؛ The Art of color ص ٤٠٣ .
(٦) التصوير الملون ص ٤٠٧ .

لإله الرومان Jupiter ، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء . ولأن اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاوة فإن المسيح عادة ما يمثل في ثوب أبيض [1] . ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباسا أثناء الحج والعمرة ، وكفنا للميت . واستخدم القرآن الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا وذلك في قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » ، وقوله : « وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله » .

٣ ـ الأخضر : في العقيدة يمثل الأخضر الإخلاص والخلود والتأمل الروحي . ويسمى لون الكاثوليك المفضل . ويستعمل في عيد الفصح ليرمز الى البعث . واللون الاخضر الحائل هو لون التعميد babtism [2] .

ولارتباطه بالحقول والحدائق والاشجار ارتبط بالنعيم والجنة في الآخرة . ويعد اللون الأخضر لون الألوان بالنسبة للمسلمين [3] . وقد ورد في القرآن الكريم وصف ملابس المسلمين في الجنة بالخضرة في آيتين هما : ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ ، و﴿ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق﴾ . كما ورد اللون الأخضر وصفا لبعض مقاعد الجلوس في الجنة ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ .

٤ ـ الأحمر : يرمز الأحمر في الديانات الغربية الى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين [4] . وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات حيث توصف جهنم بأنها حمراء .

٥ ـ الأزرق : يمثل اللون الازرق مكانة خاصة في العبرية . فهو لون الرب يهوه Lord Jehovah ، وهو أحد الالوان المقدسة عند اليهود [5] .

---

(١) Colours ص ٢٨ .

(٢) The Art of Color ص ٤٠٧ .

(٣) Color Psychology ص ٥ .

(٤) قبل السابق ص ٤٠٥ .

(٥) Color Psychology ص ٦ .

اللون والتقاليد

استخدم اللون منذ اقدم العصور شعارا أو رمزا لشيء معين ، وما يزال يستخدم بين إنسان العصر الحديث ، حتى صار تقليدا أو شبه تقليد استخدام اللون المناسب في الموقف المناسب . ومن الالوان ما أخذ صفة الرمزية بصورة اعتباطية لا يظهر فيها الربط بوضوح . والأمثلة على هذا وذاك كثيرة منها :

١ - في مصر القديمة كان فرعون يرتدي تاجا ابيض ليرمز الى سيطرته على مصر العليا ، وتاجا احمر ليرمز الى سيطرته على مصر السفلى [١] .

٢ - كانت سقوف المعابد في مصر عادة زرقاء وأرضيتها غالبا خضراء رمزا لمروج النيل الخضراء [٢] .

٣ - استخدم اللون الاصفر في الدلالات الآتية :

أ - الراية الصفراء ترفع على سفن الحجر الصحي وأحيانا على المستشفيات .

ب - في القرن العاشر في فرنسا كانت تطلى أبواب اللصوص والمجرمين باللون الأصفر [٣] .

جـ - استخدم الروس قبل ثورتهم الاجتماعية اللون الأصفر رمزا للدعارة [٤] .

٤ - استخدم اللون الأخضر فيما يأتي :

أ - في رايات بعض الدول رمزا للخضرة والخصب والنماء .

ب - استخدم اللون الزيتوني منه رمزا للسلام [٥] .

---

(١) السابق ص ٨ .

(٢) السابق والصفحة .

(٣) The Art of color ص ٤٠٣ .

(٤) Colours ص ٨ .

(٥) قبل السابق ص ٤٠٧ .

جـ - في إشارات المرور .

٥ - استخدم اللون الاحمر فيما يأتي :

أ - السجادة الحمراء تفرش عند استقبال رؤساء الدول استقبالا رسميا .

ب - يستخدم في الصين في احتفالات الزواج .

جـ كانت الراية الحربية عند الرومان حمراء .

د - تستخدم الراية الحمراء الآن على يد الثوار ومع العنف للإشارة الى المقاومة والصراع[١] .

هـ - كلمة « أحمر » عند الروس مرادفة لكلمة « جميل » والعلم الأحمر ، رمز لنظامهم الاجتماعي . وقد سبق حبهم للأحمر تفكيرهم في الشكل الحاضر لنظامهم الاجتماعي .

و - يرمز اللون الأحمر عند الهندوس والصينيين الى الحياة والبهجة[٢]

٦ - استخدم اللون الأبيض فيما يأتي :

أ - في معنى الحزن والموت عند الصينيين . وقد كان اللون الأبيض خلال القرن التاسع عشر يستخدم في الجنازات أحيانا في بريطانيا للإشارة الى طهارة أو نقاء المتوفي وبخاصة حين يكون في سنّ الطفولة .

ب - هو اللون التقليدي لملابس العرس عند سائر الشعوب[٣] .

جـ - الراية البيضاء علامة الاستسلام في الحروب .

٧ - يستخدم الصينيون اللون الأزرق رمزا للموت في حين ان غيرهم يستخدم اللون الاسود[٤] .

---

(١) The Art of Color ص ٤٠٥ .

(٢) Colours ص ٢٧ .

(٣) قبل السابق والصفحة .

(٤) Colours ص ٢٧ .

٨ - تستخدم الالوان لتمييز المستويات والدرجات في الميداليات والنياشين . فعادة ما تميز الجائزة الأولى بشريط أزرق ، والثانية بشريط أحمر ، والثالثة بشريط أصفر .

٩ - يستخدم الجيش لشهادات التقدير والكفاءة الألوان : أرجواني - ذهبي - فضي - برونزي . وغيرها[١] .

١٠ - تستخدم الألوان كدلالات على أيام معينة عند الاوربيين :

أ - فالأخضر يرمز لـ St. Patrick's day

ب - والأحمر يرمز لـ St. Valentine's day [٢] .

١١ - الراية السوداء هي راية القراصنة[٣] .

(١) السابق ص ٢٦ .
(٢) السابق والصفحة .
(٣) The Art of Color ص ٤٠٨ .

الفصل السادس

الألوان والأصوات

ربط العلماء بين الألوان والأصوات سواء الأصوات الإنسانية أو الأصوات الموسيقية ، ولاحظوا أن من الناس من يحس بالربط بين صوت معين أو نغمة معينة ولون معين . ورغم أن كثيرا من الملاحظات والآراء حول هذا الموضوع يدخل في باب التصورات أو التخيلات الفردية فإن كثيرا منها كذلك يدخل في باب الحقائق العلمية الموضوعية . وسنعرض تحت هذا العنوان ما يدخل تحت النوعين ، ونقسمه إلى عنوانين فرعيين : هما اللون والصوت الإنساني ، واللون والموسيقى على النحو التالي :

١ ـ اللون والصوت الإنساني

هناك شبه كبير لا يمكن تجاهله بين اللون والصوت . فكلاهما ظاهرة تنشأ عن تموج أو تذبذب[1] . ولعل هذا هو السر في ربط الكثيرين بينهما . ولكن هل هذا الربط مجرد إحساس عاطفي أو هو حقيقة علمية موجودة . معظم الآراء تتجه نحو الاحتمال الأول . وفي ذلك يقول T. D. Jones في كتابه : The Art of Light and Color (١٩٧٢) : « لا علاقة علمية أو حقيقية

---

(١) يقول Ganot في كتابه Hanbook of physics : « الربط بين ظاهرة الضوء وظاهرة الصوت قريب جدا . الضوء الأحمر يرجع الى تموجات طويلة نسبيا ، ويقابل الصوت العميق في حين ان الضوء البنفسجي يعود الى تموجات قصيرة ويقابل الصوت الحاد . (Colour - music ص ١٢٠) .

بين ذبذبة اللون وذبذبة الصوت أمكن إثباتها رغم المحاولات العديدة التي بذلت »[1] .

ومع هذا نجد من العلماء من يؤيد ـ وبالدليل العلمي ـ الاتجاه الثاني . ومن هؤلاء Berlin و Kayمؤلفا كتاب Basic Color Termsاللذان نظرا إلى المشكلة نظرة تاريخية ، واعتبرا المراحل الأولى لتطور المعجم اللوني تتوازى مع المراحل الأولى للتطور الفونولوجي (الصوتي) طبقا لنظرية ـ Halle ـ Jakobson (١٩٥٦) .

ويعرض المؤلفان فكرتهما قائلين :

إن المراحل الأولى لتطور المعجم اللوني تظهر توازيا ملازما مع نظرية Halle ـ Jakobson (١٩٥٦) للتطور الفونولوجي :

١ ـ الصوت واللون كلاهما ظاهرة موجية Wave Phenomeon . وعليه فإن كلا منهما يمكن وصفه باعتبار :

أ ـ الطاقة الكلية أو الاتساع .
ب ـ التردد أو عكسيا طول الموجة .
جـ ـ الصفاء . . وغير ذلك .

وبالتحديد فإن الطاقة الكلية تقابل في الصوت العلو loudness ، وفي اللون اللمعان brightness .

والتردد يقابل في الصوت درجته Pitch وفي اللون أصله hue .

والصفاء يقابل في الصوت موسيقيته musicality (أو compactness) وفي اللون التشبع saturation .

٢ ـ كما في حالة اللون بدأ الفونولوجي بنوعين أكثر منه بنوع

---

(١) ص ١٠ .

واحد . وقد سمى Jakobson و Halle هذه « بالمرحلة الشفوية » Labial Stage . أول نطق للرضيع ربما كان Pa التي تحوي التقابل الحاد بين (P) ذات الحد الأقصى من تخفيض الطاقة التي تقربها من الصمت و (a) المتسعة التي تمثل الحد الأقصى من الطاقة التي يمكن لجهاز النطق تقديمها .

هذا التقابل المبدئي إذن بين حد أدنى وحد أقصى يوجد كذلك في التقابل بين اللونين : أبيض (حد أقصى من اللمعان) = (حد أقصى من الطاقة) ، في مقابل أسود (حد أدنى من اللمعان) = (حد أدنى من الطاقة)(١) .

٣ - في المرحلة الثانية يقدم كل من اللون والصوت بعد « التردد » frequency dimention . فبعد ظهور التقابل س/ع(٢) (p / a) يبدأ استخدام الخاصية الأخرى الأساسية وهي الدرجة pitch . واول تقابل من هذا النوع يظهر في التقابل بين t / p . ففي الـ (p) تسيطر النهاية الواطئة lower end، وفي (t) تسيطر النهاية العالية upper end .

ووجود بعد التردد في الصوت يوازيه تقديم اللون الأحمر في الألوان .

الأحمر والأسود يضادان الأبيض من ناحية البريق brightness ويضاد الأحمر الأسود من ناحية أصل اللون hue .

٤ - بعد المرحلة الثانية يصبح التوازي بين تطور أصوات الكلام والألوان أقل وضوحا .

ومع هذافنحن نجد في كلا الجانبين تجزؤ ا على أساس من البعدين : الاتساع الأساس basic amplitude والتردد frequency ، أو أبعاد مأخوذة عنهما مثل الصفاء purity .

---

(١) التقابل في هذه المرحلة والمراحل التالية يوضحه الشكل الآتي : التماثل في التتابع التطوري للأنواع الفونولوجية واللونية .

(٢) س = ساكن ، وع = علة .

تقدم المرحلة الثالثة بعد الصفاء في الفونولوجي مع انبثاق العلة المنتشرة diffuse vowel . ولكن اللون لا يبدو أنه يقدم بعده الصفائي purity dimension (وهو التشبع saturation) كملمح تمييزي distinctive feature لأصناف أساسية . ولكنه يستمر في التمييز بالنظر إلى أصل اللون hue ، مع انبثاق اللون الأخضر الذي يشمل كل الألوان الباردة cool hues ، في مقابل الأحمر .

٥ ـ وينقسم صوت العلة المفرد إلى حاد acute ورزين graveفي حين تضاف نقطة جديدة في جانب اللون حيث يظهر الأصفر .

وبذلك تنتهي المرحلة الرابعة .

٦ ـ في المرحلة الخامسة يطبق بعد الصفاء purity أو compactness على السواكن مولدا (K) ، في حين ينشأ الأزرق في جانب الألوان ،

وبهذا يكون Jakobson و Halleقد تحدثا عن التشابه في المقابلات التمييزية بين الصوت واللون في وقت مبكر ، ودون إدراك لأعمال القرن التاسع عشر عن تطور الألوان[1] .

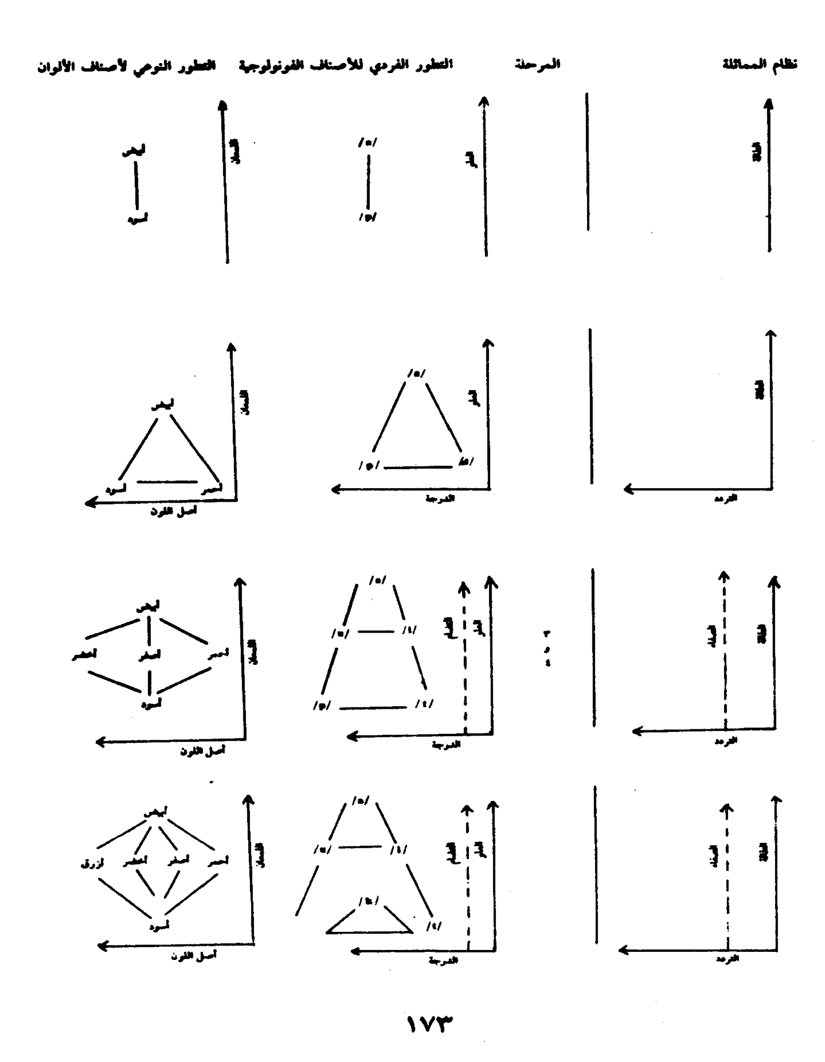
والأشكال الآتية تحذد التماثل في التتابع التطوري للأنواع الفونولوجية واللونية[2] :

---

(١) Basic Color Terms ص ١٠٤ ـ ١٠٧ .

(٢) السابق ص ١٠٦ .

التماثل في التتابع التطوري للأنواع الفونولوجية واللونية



وربما كانت هذه الدراسة التقابلية بين نمو اللون ورموز الصوت الإنساني هي الدراسة العلمية الوحيدة في هذا الموضوع . أما ما وراء ذلك فمجرد أوهام أو تصورات لا تنهض لتشكل نظرية أو حتى رأيا مقنعا .

١ ـ فمن ذلك تصنيف بعضهم أصوات الناس إلى مجموعات ، ووصف كل مجموعة بلون معين . وهكذا سمحوا لأنفسهم أن يصفوا صوتا بأنه أحمر ، وآخر بأنه أزرق ، وثالثا بأنه أسود أو بني[١] .

٢ ـ ومن ذلك ما كتبه مدرس للغة الإنجليزية رابطا الحروف الهجائية بالألوان : « العلل في الانجليزية تبدو لي حينما أنظر إليها وكأنما تملك ألوانا . وحين أفكر في السواكن وحدها أحس أنها سوداء أرجوانية . ولكن حينما أفكر في كلمة كاملة يميل لون السواكن إلى لون العلل . فمثلا في كلمة Tuesday حينما أفكر في كل حرف منفصلا أجد السواكن سوداء أرجوانية ، وأجد الـ (u) لونا خفيفا لطيفا ، والـ (e) نوعا من الأخضر ، والـ (a) نوعا من الأصفر . ولكن حين أفكر في كل الكلمة أجد الجزء الأول منها أخضر رماديا خفيفا، والأخير أصفر . . وأحيانا حينما لا أكون متأكدا من هجاء كلمة أفكر في اللون الذي توحي به وأكتبها عن هذا الطريق . وقد كان هذا عاملا كبيرا أعانني على الهجاء سواء في الإنجليزية ، أو في لغات أجنبية »[٢] .

٣ ـ وكذلك ما نقله Galton عن رجل كان يربط الأرقام بالألوان . فالواحد عنده يرتبط بالأسود ، والاثنان بالأصفر ، والثلاثة بالأحمر الطوبي الفاتح ، والأربعة بالبني ، والخمسة بالرمادي المسودّ ، والستة بالبني المحمرّ ، والسبعة بالأخضر ، . . . والثمانية . . وهكذا[٣] .

---

(١) The Art of Light ص ١٠١ .

(٢) Color Psychology ص ١٩٣ .

(٣) السابق ص ١٩٤ .

٢ ـ اللون والموسيقى

ربما كان الربط بين اللون واللحن أقرب الى التصور والتصديق لاحتواء كل منهما على عنصر جمالي من ناحية ، وللشبه الكبير بين تدرجات النغمات وتدرجات الالوان من ناحية اخرى .

ومع هذا تظل القضية غير مقنعة بالنسبة للكثيرين ، وان وجد من يتحمس لها أقصى درجات التحمس .

فمن الرافضين لفكرة الربط M. Graves (١٩٥١) الذي كتب يقول : « على الرغم من أن الصوت والضوء متشابهان في كثير من الأشياء ، فقد اتفق على أن المحاولات لتشكيل نظام لموسيقى اللون مؤسس على الدرجات الموسيقية كانت محاولات خاطئة فاشلة . إن هؤلاء الذين حاولوا وضع هذه النظم غفلوا عن محدودية التشابه ، وعن الاختلافات الأساسية بين الأذن والعين ، ومجموعة من العوامل الاخرى . . »[١] .

وكذلك T.D.Jones (١٩٧٢) الذي كتب يقول : « هذا الكتاب يتفق مع الرأي القائل إنه لا علاقة بين تردد ذبذبات الألوان وتردد ذبذبات الأصوات . تردد ذبذبات الألوان او تموجاته ظاهرة طبيعية يمكن قياسها موضوعيا . أما السلم الموسيقي فهو تصور اعتباطي وضعته الثقافة الغربية »[٢] .

أما التحمس لفكرة الربط فقد استمد تأييدا من عبارة وردت لأرسطو سبق لنا اقتباسها وهي قوله : «إن الألوان ربما تتواءم كما تتواءم الانغام بسبب تنسقيها المبهج » ، وكذلك مما يعرف باسم اتحاد الحواس unity of the senses ، أو إمكان قيام حاسة بوظيفة حاسة أخرى مثل شم اللون أو سماعه ورؤية الصوت ، وهكذا[٣] . ومن هنا نشأ المصطلح سماع اللون color

---

(١) The art of color ص ٤١١ .

(٢) The Art of light and Color ص ١٠٠ .

(٣) Color psychology ص ١٦٦ .

Hearing أو synethesia [1] .

وقد بدأت أولى المحاولات لدمج فني الرسم والموسيقى أو ما عرف بموسيقى اللون colour music منذ القرن السادس عشر . وكان احد الرواد فيه الرسام الايطالي Arcimboldo الذي وضع نظاما لانسجام الالوان قائما على سلم للألوان مشابه للسلم الموسيقى . ثم تتابعت المحاولات في القرنين السابع عشر والثامن عشر[2] ، واستمرت حتى القرن العشرين .

ومن المحاولات الجريئة في هذا المجال اختراع آلة يمكن ان تجمع بين اللون والموسيقى : أو ما يسمى color organ كمحاولة Castel القسيس اليسوعي والرياضي الذي صمم ما يعد اول شيء من نوعه . وهو آلة موسيقية وترية تجمع الى ذلك شرائط تسجيل ملونة متحركة واضحة[3] .

وهناك محاولات أخرى متعددة تمت لاختراع آلة لانتاج نماذج لونية متحركة على شاشة ، دون جمع الصوت واللون بخلاف الآلة السابقة . ومن أشهر هذه المحاولات تلك التي قام بها Thomas wilfred الذي سمى آلته clavilux[4] . وهناك محاولة اخرى قام بها A.W. Rimington وألف من أجلها كتابا كاملا أسماه :

. Colour- Music, The Art of mobile Colour

صدر في لندن عام ١٩١٢ . وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه : « إن اهتمامي هو تركيب آلة لموسيقى اللون . وقد شغل هذا مني تفكيرا طويلا ، وتجارب كثيرة . لقد أخذ التفكير في عمل آلة مثل البيانو عمرا طويلا بلغ قرونا ،فلا حاجة الى الاعتذار عن تأخر الإنجاز الخاص بآلة لموسيقى اللون » . وعلق Sir H. Herkomer على تلك المحاولة قائلا : « إن عمل

---

(١) قبل السابق ص ١٠٠ .

(٢) The art of color ص ٤١٠ .

(٣) ، (٤) The art of color ص ٤١٢ .

رمنجتون يعد عملا رائدا . وعلى الرغم من انه سمى الآلة الأساسية في اختراعه colour- organ فهو لم يهدف الى ان يثبت من خلالها ان موجات معينة من الضوء لها ما يقابلها تماما من موجات الصوت المعنية . لقد استخدم المفاتيح الموسيقية فقط كشيء ملائم . لقد قام باختراع آلة تحوي لوحة مفاتيح كلوحة المفاتيح الموسيقية ، وبواسطتها يسلط بعض الضوء على شاشة »[1] .

ويشير W: Brown انتباهنا الى أن الأهمية في اختراع رمنجتون تأتي من أنه أدخل العلاقات الزمنية لأول مرة في ميدان الألوان ، حيث جعل الالوان تتحرك في زمن ممتد ، كما يحدث بالنسبة للحن الموسيقي[2] .

ويشرح رمنجتون الهدف من عمله قائلا : « لا يوجد فن خالص للون ، بمعنى : لا يوجد فن يعالج اللون من أجل اللون ، كما تعالج الموسيقى الصوت . لقد حل اللون محلا ثانيا في كل الفنون التي دخلها او استخدم مضموما لوسائل اخرى لدراسة الحواس او العواطف . وان موسيقى اللّون أو فن اللون المتحرك mobile colour art هو الفن الذي يملأ الفجوة بين اللون وفن اللون ، كتلك الفجوة التي سدها فن الموسيقى بالنسبة للصوت »[3] .

ويأخذ بعد هذا في استمالة القارىء نحو الربط بين اللون واللحن حين يقول : « اللون يمكن ان يمدنا ببهجة كما يمدنا الصوت . وهو يملك تأثيرا قويا على العاطفة »[4] .

ويستمر رمنجتون كاشفا أوجه الشبه بين الموسيقى واللون بعامة ، ثم بينها وبين اللون المتحرك بخاصة فيضع أمامنا الأفكار الآتية :

١ ـ أنه قد وجدت رغبة قوية عند بعض الرسامين في دراسة اللون من

---

(١) ، (٢) Colour - Music (مقدمة)

(٣) السابق ص ٢ .

(٤) السابق ص ٢ .

أجل اللون . وأن من الرسامين من أطلق على أعماله الفنية أسماء مستعارة من الموسيقى مثل harmonies و symphonies[1] .

٢ ـ ان كلا من الموسيقى واللون يخاطب العاطفة ويؤثر عليها ، مهما كان نوع هذه العاطفة والانفعال[٢] .

٣ ـ أن اللون ـ مثل الموسيقى ـ يجب الاهتمام به لنفسه ولتأثيره التربوي . انه يمكن أن يثير الخيال ، ويطور الملكات العقلية ، ويعطي الفرح ، ويجدد النفس[٣] .

٤ ـ تنتج الالوان بتنويع تردد ذبذبات الفراغ المؤثرة على شبكية العين . وكل الأصوات الموسيقية تنتج بتنويع تردد ذبذبات الهواء التي تؤثر على الأذن . كل من اللون والصوت اذن ناتج عن ذبذات تؤثر على نهاية العصب سواء بالنسبة للعين أو الأذن[٤] .

٥ ـ كذلك من أوجه الشبه أن الموسيقى مبنية على الاوكتيفات octaves أو على درجات السلم الموسيقى . وكما انه لا صوت بدون ذبذبة ، فانه لا نوتة موسيقية دون اختيار مستويات معينة من الذبذبات ترتبط الواحدة بالأخرى . ولا اختيار يتم من هذا النوع دون الإشارة الى الأوكتيف .

فاذا انتقلنا الى اللون نجده مكونا هو الآخر من خلائط متناسبة كما هو الحال في شرائط مجموعة الطيف ، أو قوس قزح ، فكلاهما يحتوي على الالوان الأولية . ويمكن تحليل حزمة الضوء للحصول على سلسلة من الألوان تتراوح بين الأحمر العميق والبنفسجي الرقيق . وتحت الأحمر ، ووراء البنفسجي شعاعات كثيرة أو ألوان أخرى لا يمكن للعين إدراكها .

---

(١) السابق ص ٣ .
(٢) نفسه ص ١٥ .
(٣) نفسه ص ١٦ .
(٤) نفسه ص ١٧ .

وإذا قسنا سرعة الذبذبة عند نهاية كل من الأحمر والبنفسجي في شريط الألوان سنجد ـ كما في حالة النوتة الأخيرة للاوكتيف الموسيقي ـ أن الأخير يملك مثل عدد الذبذات للأول . ومعنى هذا ان أوكتيف اللون في الحقيقة كامل . وهو مقابل للأوكتيف الموسيقي بالنظر الى مجالات الذبذبات التي يحدثها[١] .

ويقول Graves مؤيدا نفس الفكرة : الأحمر في نهاية مجموعة الطيف يملك أقل تردد (عدد الذبذبات في الثانية) وأطول موجة . والبنفسجي في الطرف الآخر يملك أعلى تردد وأقصر موجة . وما وراء النهايتين توجد الألوان غير المرئية ، وهما ما تحت الأحمر وفوق البنفسجي ، مثل موجات الصوت العالية التردد جدا أو المنخفضة التردد جدا التي لا تدركها آذاننا ، فكذلك ما تحت الأحمر وما فوق البنفسجي يخرجان عن إدراك الإحساس البصري للإنسان . . [٢] .

كما يقول Sir James Jeans : تماما كما ان الألوان المختلفة للضوء يتم إنتاجها عن طريق الموجات الضوئية ذات الأطوال المختلفة ، فكذلك الأصوات ذات النغمات المختلفة يتم إنتاجها بموجات صوتية ذات أطوال مختلفة . وعلى سبيل المثال (C) الوسطى في البيانو تملك طول موجة ذات أربعة أقدام في حين أن مضاعف (C) تملك طول موجة ذات قدمين . حينما يملك صوت نصف طول موجة آخر نقول انه اعلى في الدرجة pitch بمقدار أوكتيف octave . وبنفس الطريقة حينما يكون لون ما من الضوء يملك نصف طول موجة آخر يمكننا ان نقول قياسا على ما سبق انه اعلى في الدرجة pitch بمقدار اوكتيف . وعلى هذا فبما أن البنفسجي يملك نصف موجة الأحمر ، يمكننا ان نقول انه اعلى في الدرجة من الأحمر بمقدار اوكتيف .

وكل مجموعة الطيف المرئية تقع في نطاق اوكتيف واحد . وعلى هذا

---

(١) نفسه ص ١٧ ـ ٢٠ .

(٢) The Art of color ص ٣١٩ .

فان آذاننا يمكن ان تسمع ١١ أوكتيفا من الأصوات ، ولكن أعيننا لا يمكن ان ترى إلا أوكتيفا واحدا من الضوء[1] .

٦ ـ وهناك مشابهة أخرى بين الصوت واللون ؛ اذ يوجد مجال واسع من الذبذبة لا نشعر به تحت وفوق أول وأخر لون مرئي ، وأول وآخر نوتة مسموعة . ويمكن تصوير الشعاع غير المرئي وإثباته بوسائل اخرى . ومن الحيوانات والحشرات ما يدركه . ونفس الشيء يحدث بالنسبة لذبذات الهواء الكثيرة التي لا نسمعها ، وربما وجدت مخلوقات أخرى تحس بها . وفي كلتا الحالتين هناك مجال محدد من الذبذبات يمكن أن يؤثر على حواسنا[2] .

وينتقل المؤلف بعد هذا الى بيان أوجه الشبه بين الموسيقى واللون المتحرك بخاصة فيضع أمامنا النقاط الآتية التي يجب ان نأخذها في الاعتبار :

أ ـ التماثلات الموسيقية التي تظهر حينما تجعل اللون متحركا ، وتدخل عنصر الزمن في إنتاجه . وبكلمات أخرى ، حينما تجعل الالوان المعطاة وتجمعات الألوان تظهر تبعا لرغبتنا لمدة طويلة أو قصيرة .

ب ـ التماثلات في التركيبات الرتمية في الموسيقى واللون .

جـ ـ التأثيرات العاطفية للون المتحرك كشكل من الفن يقارن بما نجده في الموسيقى[3] .

وينتهي بشرح فكرته في إنتاج آلة للون المتحرك تقوم على سلم مشابه للسلم الموسيقي ، وبواسطتها يمكن إنتاج لون بنفس الطريقة التي ينتج بها الصوت لأغراض موسيقية ، ويرى ان هذه الآلة يجب ان تحقق ما يأتي :

أ ـ قدرتها على انتاج الالوان البسيطة والمركبة .

---

(١) السابق ص ٣٢٠ .

(٢) Colour - Music ص ٢٣ . وانظر : التصوير الملون ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) Colour - Music ص ٣٦ .

ب ـ قدرتها على وضع الالوان جنبا إلى جنب في مساحات صغيرة أو كبيرة .

جـ ـ قدرتها على استغلال نفوذ التقابل او الزيادة السريعة او المتدرجة لعرض الألوان[1] .

وقد قام رمنجتون فعلا بتصميم « أرجن » للألوان مع آلات اخرى لإنتاج اللون المتحرك تجد وصفا له في نفس الكتاب[2] . وهو صنيع ينطبق عليه قول T.D. Jones « بعض الموسيقيين حاول ربط فني الموسيقى واللون . ومنهم من حاول جعل اللون قسما حقيقا من الموسيقى بأن حاول ان يطبق عليه درجات الموسيقى ويعزفه كما يعزف على الأرجن »[3] .

ولا نحب أن ننهي هذا الفصل دون الإشارة الى بعض الارتباطات التي عقدها بعضهم بين آلات معينة وألوان معينة ، أو بين نغمات معينة وألوان معينة ، مما يدخل معظمه في باب التصورات او التهيؤات . ومن ذلك :

١ ـ ربط أنغام الآلات الموسيقية بالألوان . فصوت المزمار أو البوق أصفر خالص ، وصوت الترمبيتا قرمزي ، وصوت الصافرة رمادي عميق ، وهكذا[4] .

٢ ـ ربط الموسيقى البطيئة باللون الأزرق ، والسريعة بالأحمر ، والنوتة العالية بالألوان الخفيفة ، والنوتة العميقة بالالوان القاتمة[5] .

٣ ـ وفي تجربة قام بها theodore Karwoski و Henry Odbert على ٤٨ طالبا جامعيا تبين أن ٦٠٪ على الاقل منهم أحسوا بنوع من الاستجابة للون المعين حينما كانوا يسمعون لحنا معينا و ٣٩٪ منهم كانوا قادرين على رؤ ية

---

(١) السابق ص ٣٧ ـ ٣٩ .

(٢) نفسه ٤٧ ـ ٤٨ .

(٣) The Art of light ص ١١ .

(٤) السابق ص ١٠٠ ، The Art of color ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٥) The Art of light ص ١١٠ ، Color Psychology ص ١٦٤

اللون ، و ٥٣٪ منهم كانوا قادرين على ربط اللون[1] .

وأخيرا نثير الانتباه الى النقطتين التاليتين :

١ ـ أن فنيّ الموسيقى واللون قد تبادلا المصطلحات بينهما بحرّية . فالمصطلحات tone و pitch، وintensity، وvolume و color، وChromatic وغيرها تستعمل في اللون وفي الموسيقى[2] .

٢ ـ أن بعضهم عقد علاقة بين اللون والرائحة كذلك . ومن الألوان التي تثير رائحة جميلة اللافندر والأصفر الشاحب والأخضر[3] .

---

(١) السابق ص ١٦٣ . وانظر The Lüscher colour test ص ٧٩ .

(٢) Color psychology ص ١٦٣ .

(٣) السابق ص ١٦٦ .

الفصل السابع

الألوان والتحليل النفسيّ

كما أن للون القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان فإن لديه القدرة على الكشف عن شخصية الإنسان . ذلك لأن كل لون من الألوان يرتبط بمفهومات معينة ، ويملك دلالات خاصة . وعن طريق « اختبارات الألوان » يمكن تحليل الشخصية تحليلا يتضمن تقييم القدرات ، وبيان الحالات العاطفية والفكرية وغيرها .

ولنبدأ أولا ببيان دلالات كل لون من الألوان الشائعة ، ثم نتحدث عن اختبارات التحليل النفسي التي تمت بواسطة الألوان :

الأزرق :

القاتم منه لارتباطه بالظلام والليل يدل على الخمول والكسل والهدوء والراحة[١] . وهو في التراث مرتبط بالطاعة والولاء ، وبالتضرع والابتهال ، وبالتأمل والتفكير . والأزرق الفاتح يعكس الثقة والبراءة والشباب ، ويوحى بالبحر الهادىء والمزاج المعتدل . أما الأزرق العميق فيدل على التميز والشعور بالمسؤولية والإيمان برسالة ينبغي تأديتها[٢] .

---

(١) Lights and pigments ص ٣٠ ؛ The Lüscher colour ص ١٦ . ,

(٢) الأخير ص ٦٠ ؛ Lights and pigments ص ٣١ ؛ Colours ص ٢٥ ، ٢٦ ؛ The Art of color ص ٤٠٦ .

الأصفر :

لصلته بالبياض وضوء النهار ارتبط بالتحفز والتهيؤ للنشاط[1] . وأهم خصائصه اللمعان والإشعاع وإثارة الانشراح[2] . ولأنه اخف من الأحمر وأقل كثافة منه فهو أميل إلى الإيحاء منه الى إثارة الانفعال . والنشاط الذي يثيره اقل تأكدا ، ويفقد التماسك والتخطيط[3] .

والأصفر المخضر من أكثر الألوان كراهية ، وهو بدرجاته المتعددة يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والبذاءة والخيانة والغيرة[4] .

الرمادي :

خال من اي إثارة أو اتجاه نفسي ، فهو لون محايد . انه منطقة ليست آهلة ولكنها على الحدود ، أشبه بمنطقة منزوعة السلاح أو أرض خلاء لا صاحب لها[5] .

الأحمر :

يثير النظام الفيزيقي نحو الهجوم والغزو[6]. وهو في التراث مرتبط دائما بالمزاج القوي وبالشجاعة والثأر . وربما ارتبط كذلك بالافتتان والضغينة[7] . وكثيرا ما يرمز الى العاطفة والرغبة البدائية والنشاط الجنسي وكل انواع الشهوة[8] .

أما النوع اللامع منه فيشير عادة الى الانبساطية والنشاط والطموح

---

(١) Lights and pigments ص ٣٠ ؛ The Lüscher Colour ص ١٦ .
(٢) الأخير ص ٦٨ .
(٣) نفسه ص ٦٩ .
(٤) The Art of color ص ٤٠٣ .
(٥) The lüscher colour ص ٥٧ .
(٦) Lights and pigments ص ٣٠ .
(٧) السابق ص ٣١ .
(٨) The lüscher colour ص ٦٦ ؛ The Art of color ص ٤٠٥ .

والعملية[1] . أما اللون الفاتح منه (الزهري) فيدل عادة على التهور وعدم النضج[2] . كما يدل على حيوية الشباب وصحته[3] .

الأخضر :

يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس[4] ، فهو الى السلبية أقرب منه الى الإيجابية . كما انه يمثل التجدد والنمو والايام الحافلة للشبان الأغرار . انه لون الطبيعة الخصبة ، رغم انه نادرا ما يكون اللون المسيطر في الجو[5] .

واذا امتزج بالأصفر لم يعد مستساغا . وقد عدة بعضهم حينئذ أسوأ صورة يمكن أن يظهر فيها لون[6].

البنفسجي :

يرتبط بحدة الإدراك والحساسية النفسية ، وبالمثالية[7] . كما يوحي بالأسى والاستسلام . وهو كرمز ديني يوحي ببراءة القديسين[8] . ولكونه مزيجا من الأحمر والأزرق فهو يوحد آثار اللونين ، ويجمع بين الموضوعي والذاتي[9] .

الأبيض :

رمز الطهارة والنقاء والصدق[10] . وهو يمثل « نعم » في مقابل « لا »

---

(١) Lights and pigments ص ٣١ ؛ Colours ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) قبل الأخير ص ٣١ .
(٣) Colours ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) Lights and pigments ص ٣٠ .
(٥) السابق ص ٣١ ؛ The Art of color ص ٤٠٧ .
(٦) Lights and Pigments ص ٣١ ؛ The lüscher colour ص ٦٣ .
(٧) Lights and pigments ص ٣١ .
(٨) the art of color ص ٤٠٦ .
(٩) the Lüscher colour ص ٧١ .
(١٠) قبل السابق ص ٤٠٨ .

الموجودة في الأسود . انه الصفحة البيضاء التي ستكتب عليها القصة . إنه أحد الطرفين المتقابلين . إنه يمثل البداية في مقابل النهاية ، والألف في مقابل الياء[1] .

الأسود :

رمز الحزن والألم والموت . كما انه رمز الخوف من المجهول والميل الى التكتم[2] . ولكونه سلب اللون يدل على العدمية والفناء[3] .

البني :

يقل فيه النشاط الضاغط في الأحمر ، ويتجه الى ان يكون اكثر هدوءا . فهو إذن يفقد الدفع الخلاق الواسع ، والقوة الفعالة المؤثرة للأحمر . نشاطه ليس إيجابيا ولكن استجابيا متعلقا بالحواس[4] .

* * *

هذه نبذة سريعة عن إيحاءات الألوان ودلالاتها الرمزية . ولننتقل الأن الى النقطة الأخرى الخاصة باختبارات الألوان ، واستخدام هذه الاختبارات في التحليل النفسي ، وفي الكشف عن خبايا الشخصية وفعاليتها .

يقوم اختبار الالوان colour test على أساس المسلّمة أن الميل الشخصي نحو لون ما ورفض لون آخر يمكن تفسيره على أساس نفسي تحليلي . وأشهر هذه الاختبارات ذلك الذي قام به Max Lüsher وعرف باسمه ، وظهر في طبعته الألمانية أولا ، ثم ترجم الى اللغة الانجليزية . وظهرت ترجمته الإنجليزية في طبعتها الخامسة عام ١٩٧٨ .

ويقوم هذا الاختبار على تكليف المفحوص بعمل اختيار للألوان دون

---

(١) The Lüscher colour ص ٧٥ .
(٢) The art of color ص ٤٠٨ .
(٣) قبل السابق ص ٧٥ .
(٤) نفسه ص ٧٣ .

اي اعتبارات جمالية . على أن يقوم بترتيبها تنازليا حسب درجة تفضيله لها . واعد للاختبار ثماني بطاقات ملونة تحمل في ظهرها الارقام من صفر - ٧ للألوان الثمانية الاتية :

الازرق - (القاتم) - الأخضر (المزرقّ) - الأحمر (البرتقالي) - الأصفر (المشرق) - البنفسجي - البني - الأسود - الرمادي (المحايد) .

وتسير اجراءات الاختبار على النحو التالي :

١ - يضع الشخص بطاقات الألوان أمامه .

٢ - يقوم بالنظر اليها ، ويقرر أيها يفضل دون محاولة ربط اللون بشيء معين مثل قميص أو سيارة . . وانما يختار فقط اللون الذي يرتاح اليه اكثر .

٣ - يلتقط اللون المختار ويقلب البطاقة على ظهرها ويضعها على اليمين .

٤ - يفعل نفس الشيء مع بقية الألوان لونا لونا ، واضعا كل اختبار على يسار السابق حتى يكتمل وضع البطاقات الثمانية في صف .

٥ - يسجل الشخص الارقام حسب تسلسلها من اليمين الى اليسار في ورقة .

٦ - يقوم الشخص بتكرار المحاولة السابقة بجميع خطواتها دون محاولة تذكّر أو تجنّب ما فعله في المرة السابقة . وانما يختار الألوان كما لو كان يفعل ذلك لأول مرة .

٧ - يسجل الشخص أرقام المحاولة الثانية على نفس الورقة تحت الأرقام الأولى . ويكون الناتج سلسلتين من الأرقام ، الواحدة تحت الأخرى هكذا مثلا :

٥ ١ ٤ ٣ ٢ ٠ ٦ ٧
١ ٤ ٥ ٢ ٣ ٦ ٠ ٧

٨ ـ يقسم الشخص الأرقام الى اربع مجاميع ، كل صفين في مجموعة . مع اعطاء المجموعة الأولى علامة (+) والثانية (×) والثالثة (=) والرابعة (−) على النحو التالي :

+	×	=	−
+ ٥ + ١	× ٤ × ٣	= ٢ = ٠	− ٦ − ٧
+ ١ + ٤	× ٥ × ٢	= ٣ = ٦	− ٠ − ٧

وتزاد مجموعة خامسة تعطي علامة (+ −) وهي تتكون من أول صف وآخر صف على النحو التالي :

+ ٥ − ٧
+ ١ − ٧

٩ ـ ثم يستعين الشخص بجداول التفسير الواردة في الكتاب والتي تبين وظائف الرموز السابقة .

١٠ ـ وأخيرا يقوم باستخلاص النتائج ، وتحديد ملامح الشخصية وحالاتها العاطفية والتفكيرية وقت الاختبار[١] .

ويتوقع المؤلف بالنسبة للشخص الصحيح العادي أن تقع الألوان الأربعة الأساسية (الأساسيات السيكولوجية) وهي الأزرق والأخضر والأحمر والأصفر أول القائمة ، في أي اختبار يتم ، دون أن تتأخر عن المراكز الخمسة الأولى ، لأنها تمثل الحاجات النفسية الأساسية[٢] . فإذا لم يحدث ذلك دل على وجود خلل فسيولوجي أوسيكولوجي . ويزيد حجم الخلل بمقدار بعد هذه الألوان عن المقدمة[٣] .

---

(١) The Lüscher colour ص ١ ـ ٢ ، ١٠٤ ، ١١٦ ـ ١٧٤ .
(٢) نفسه ص ٣٢ .
(٣) نفسه ص ٣٨ .

وقد وضع Lüscher قواعد كثيرة بالنسبة لاختيارات الألوان نستخلص منها ما يأتي :

١ ـ الرمادي :

من يختار الرمادي في الموضع الأول يريد أن يغلف كل شيء ، ويبقى غير ملتزم وغير متورط بصورة تجعله قادرا على أن ينزع نفسه من أي تأثير خارجي . انه غير متحمس لتحمل دور ما ، ويعزل نفسه من أي مسؤولية مباشرة . وحتى لو أخذ دورا فهو يمارسه عن بعد . إنه يقف جانبا ويراقب نفسه يتحرك مع المجموعة ، ولكنه لا يسمح لنفسه أن يكون إيجابيا .

وعلى العكس من هذا من يختار الرمادي في الموضع الثامن . انه رجل إيجابي مشارك فعّال ، يتحمل دوما مسؤولية ما يحيط به لدرجة قد تجعل الآخرين يشعورن به كفضولي أو متطفل .

أما من يختار الرمادي في الموقع الثاني فهو يقسم عالمه قسمين ، واللون السابق للرمادي هو الذي يمثل الايجابية الوحيدة التي يمكن أن يمارسها . وفيما عدا هذا فهو قد أطفأ الضوء وسلّ نفسه من العالم المحيط به .

والرمادي في المحل الثالث يؤدي كذلك الى فقد التوازن بين الألوان المفضلة في المحلين الأولين والألوان الآتية بعده . ومع ذلك فقد توجد التوازن نوعية اللونين الأولين .

. والموقع المناسب للرمادي هو السادس ، في حين انه قد يتحرك الى الخامس أو السابع دون اثر يذكر[1] .

---

(١) نفسه ص ٥٧ ـ ٥٩

٢ ـ الأزرق :

حينما يختار الأزرق في الموقع الأول فانه توجد حاجة إما الى هدوء عاطفي وأمان وانسجام واستكفاء أو حاجة فسيولوجية للراحة والاسترخاء ، وفرصة للمعافاة .

ومن يختار الأزرق يحب الهدوء وينشد البيئة المرتبة الخالية من الاضطراب والإفساد ، تتحرك فيها الأمور بعفوية ونعومة في اتجاهاتها المعتادة ، وتظللها العلاقات الطيبة بالآخرين .

وحينما يختار الشخص الأزرق في المواقع ٦ أو ٧ أو ٨ فإن الحاجة الى الاتزان والى الثقة المتبادلة في علاقاته تظل غير كافية ، وتعطي بروزا للقلق الذي يتزايد بتأخر وضع الازرق في الترتيب . وهذا قد يضطره الى مغادرة وطنه ، أو تغيير وظيفته ، او الهروب الى بعض النشاط التعويضي . وعلى هذا فالأزرق القاتم المرفوض يعني تفكك العلاقات (أو على الاقل الرغبة في قطعها) ، ويسبب الانزعاج والقلق والسلوك غير المتوازن وقدرا من الاهتياج .

القدرة على التركيز ستتأثر . وفي الأطفال ربما أخذت صورة صعوبة التعليم . وفي الشبان اذا استمر التوتر الناشىء فربما قاد الى اضطراب في النظام العصبي .

وقد يعوِّض الأزرق باختيار الأخضر الذي يتضمن الرغبة الجامحة في الاستقلال الموجودة غالبا بين الصغار الذين يريدون أن يستقلوا عن أسرهم .

واذا كان اللون المفضل هو الأحمر لتعويض اللون الأزرق فهذا يتضمن رغبة في الإثارة . انه قد يأخذ شكل النشاط المغامر او القوي، مثل الاشتراك في سباق سيارات أو في مسابقات ضخمة .

وقد يختار الاصفر لتعويض الأزرق المرفوض . ان الاصفر يعني البحث عن طريق للخروج من المصاعب .

والأزرق اذا لم يحتل واحدا من الأماكن الأربعة الأولى يكون له مغزى خاص[1] .

٣ ـ الأخضر :

الشخص الذي يختار الأخضر في الموقع الأول يريد ان يزيد من ثقته في قيمته الذاتية ، ويبرز تعاليه على من يتعامل معهم ، أو من هم في مستواه . فمحتواه العاطفي الزهو .

الأخضر يقوم كحاجز خلفه تبنى إثارات المثيرات الخارجية دون تصريفها ، مضاعفا الإحساس بالزهو للتفوق الذاتي على الآخرين ، وبالقوة لقدرته على التحكم في الاحداث أو توجيهها على الأقل .

الذي يختار الأخضر يحب لأرائه أن تسود ، وان يعترف به كممثل لمبادىء أساسية ثابتة . ومن يختار الأخضر كأول يرغب في ترك اثر قوي على الغير . انه يريد ان يعترف به ، وان يوجه نفسه بنفسه ، ويجد طريقه الى الصمود في وجه المعارضة .

ومن يختار الأخضر في الموقع ٦ أو ٧ أو ٨ يريد نفس الأشياء ولكن يثبَّط بالمقاومة التي يلقاها ويشعر بالإحباط .

ورفض الأخضر يعني القلق والتلهف على تحرير النفس من التوتر المسبب عن عدم الاعتراف .

وعادة ما يعوِّض رفض الأخضر بوضع الأررق في المركز الأول أملا في تأدية ذلك الى الأمن والتحرر من التوتر .

وأحيانا يعوِّض رفض الأخضر بالأحمر في الموضع الأول . والأحمر يعني الرغبة في الاهتياج والتأثر .

---

(١) نفسه ص ٦١ ـ ٦٣ .

وأحيانا يعوّض رفض الأخضر بالأصفر في الموضع الأول كإشارة الى الخروج من الصعوبة . هذا الطيران نحو الحرية يكون هربا من الشعور بالانقباض والضغط . ويكون الأخضر ذا مغزى إذا لم يقع في المواقع ٢ أو ٣ أو ٤[١] .

٤ ـ الأحمر :

حينما يختار أحدهم الأحمر كأول فهو ينظر الى حيويته وإلى ما يجلبه من قوة وخبرة وامتلاء بالحياة . انه يرتبط بالريادة والتعاون والجهد الخلاق والتطور . وجنسيا يقف الأحمر وحده في الموقع الأول .

والأحمر المرفوض الى الموقع ٦ أو ٧ أو ٨ يعني أن شدته المثيرة تطلب كعامل مضاد : ان ذلك يعني البحث عن حماية من أي شيء قد يثير أو يجعل الشيء أسوأ . وهذه الرغبة في الحماية تكون أشد كلما كان اتجاه الأحمر الى الخلف (الموقع ٨) .

وعادة ما يختار الأزرق في الموقع الأول كتعويض عن الأحمر المرفوض . وهذا التجمع من الأحمر المرفوض والأزرق تشاهد عادة في هؤلاء الذين يعانون من الإحباط والتوتر في عالم الأعمال . الرؤساء ومساعدوهم مع هذا التجمع يحتاجون الى اجازة أو فحص طبي أو استعادة لنشاطهم .

والأحمر المرفوض مع تفضيل الأخضر قليل . وقد يحدث هذا في حالة محاولة الفرد أن يتغلب على الإرهاق العصبي والجسدي بقوة الإرادة فقط .

وكثيرا ما يوجد الأصفر في الموقع الأول كتعويض عن الأحمر المرفوض « وهو يعني البحث عن مخرج » .

ويكون الأحمر ذا مغزى اذا لم يكن في المواقع الثلاثة الأولى[٢] .

---

(١) نفسه ص ٦٣ ـ ٦٥ .   (٢) نفسه ص ٦٦ ـ ٦٨ .

٥ ـ الأصفر :

اذا اختير الأصفر في المركز الأول فهو يعكس الرغبة في البهجة والأمل في أو توقع السعادة . ويدل على قدر من الصراع المراد التخلص منه . ان الاصفر ينقل الى الامام حيث الجديد والحديث والتطور والتجديد .

وحينما يركُز على الأصفر فهذا لا يعني فقط رغبة قوية في الهرب من الصعوبات المثيرة ، ولكن التوصل الى طريق سوف يؤدي الى هذا التخلص .

ان الأخضر ثبات ، ولكن الأصفر تغير . ان الأخضر توتر ، ولكن الأصفر استرخاء .

وإذا أخر الأصفر الى الموقع ٦ أو ٧ أو ٨ فمعنى هذا أن الآمال تبخرت ، وأن الشخص يشعر بالعزلة والانفصال عن الآخرين . وتكون خيبة الأمل اكثر كلما تأخر الأصفر الى الوراء .

والتعويض يأخذ اشكالا متعددة . عادة يختار الأزرق في الموقع الأول للإشارة الى أن السلام والاندماج مطلوبان . الأصفر المرفوض والأزرق المفضًل يعكسان ميلا الى التماسك والتشبث بالمعتاد .

واذا وقع الأحمر في الموقع الأول فحينئذ ستكون ملاحقة المغامرة وخبرة التوتر ـ وبخاصة الجنسية منها ـ ستكون الواسطة المختارة للهروب من الإحساس بخيبة الأمل والانعزال .

ويكون الأصفر ذا مغزى اذا لم يحتلّ المواقع من ٢ ـ ٥[١] .

٦ ـ البنفسجي :

هو مزيج من الأزرق والأحمر على الرغم من أنه لون متميز مستقل .

---

(١) نفسه ص ٦٩ ـ ٧١ .

وهو قادر على الاحتفاظ بشيء من خصائص كل من اللونين على الرغم من فقده وضوح الأثر للونين .

والشخص المكتمل النضج سوف يختار واحدا من الألوان الأساسية بدلا من البنفسجي . ولكن غير الناضجين عقليا أو نفسيا ربما فضلوا هذا اللون . ان ٧٥٪ منهم يفضلون البنفسجي .

وقد أثبتت بعض الاختبارات أن النشاط الهرموني الجنسي خلال الحمل يؤدي الى الميل الى تفضيل البنفسجي .

وتفضيل البنفسجي فيما قبل المراهقة يظهر الحقيقة ان من يعيشون قبل هذه السنّ يعيشون في عالم من الأحلام والخيال . واصحاب الشذوذ الجنسي من الجنسين يفضلون هذا اللون كتعويض عن عدم استقرارهم العاطفي .

وحينما يأتي البنفجسي في المقام الأول فصاحبه إما شخص قبل المراهقة ينتقل من الطفولة الى مرحلة المراهقة . وهو في هذه السن غير واقعي ، أو شخص غير مستقر الانفعالات ، أو شخص يريد أن يعترف به كإنسان جذاب محبوب .

وحينما يقع البنفسجي في الموقع الثامن فهذا يعني ان الرغبة في الانسجام مع شخص آخر قد رفضت أو علقت .

ولا يكون البنفسجي ذا مغزى اذا وقع بين ٣ـ ٧ ، ولا إذا وقع في الموقع ١ و ٢ في حالة الحمل أو قبل المراهقة[١] .

٧ ـ البني :

البنيّ في الاختبار هو غامق الأحمر المصفرّ . النشاط الضاغط للأحمر يقل هنا ويتجه الى أن يكون اكثر أمنا .

---

(١) نفسه ص ٧٢ ـ ٧٣ .

واذا وقع البني في المنطقة الوسطى فإن الحالة الحسية والفيزيقية للبدن لا يصح أن تعطي وزنا غير ضروري . وحينما يوجد اضطراب فيزيقي أو صعوبة فإن البني يبدأ في التحرك نحو بداية الصف دالاّ على تأكيد يركّز على الصعوبة الفيزيقية والحاجة المتزايدة الى الظروف التي تسمح لعدم الراحة أن يتحسن .

والبني يدل على الأهمية الموضوعة على « الجذور » : على الأرض والوطن والشركة من النوع الخاص أو الأسري .

واذا وقع البني في النصف الأول وبخاصة في أحد المكانين الأولين فهذا يعني الحاجة المتزايدة للراحة الجسمانية ، والقناعة الحسية .

وحين يوضع في المركز الثامن فان الحاجة للراحة المسترخية تكون مرفوضة كلية . وهنا فإن الراحة الجسمية والحسية تترجمان كضعف تجب مقاومته .

ويكون البني ذا مغزى اذا لم يقع في المراكز من الخامس الى السابع[1] .

٨ـ الأسود :

الأسود أغمق الألوان ، وهو في الحقيقة سلب اللون نفسه . الأسود هو « لا » المضادة لـ « نعم » الأبيض .

أقرب الألوان للأبيض (في الاختبار) هو الأصفر المشرق . واذا وجد الأسود والأصفر في تجمع فان ذلك يشير الى سلوك متطرف من نوع او آخر .

والأسود نفسه كسلب يمثل تخلّيا . يمثل الاستسلام النهائي أو الإقلاع . وله تأثير قوي على أي لون يأتي معه في نفس المجموعة ، مؤكدا أو مقويا خصائص هذا اللون .

---

(١) نفسه ص ٧٣ ـ ٧٥ .

واذا جاء الأسود في نصف الاختيار الأول وبخاصة في الأماكن الثلاثة الاولى فانه ينتج سلوكا متعادلا لطبيعة متطرفة .

ومن يختار الأسود في المركز الأول يريد أن يتخلى عن كل شيء ناتج عن معارضة حَرونة ضد الحالة الحاضرة التي يشعر فيها بأنه لا شيء يجب أن يظل كما هو . إنه في ثورة ضد القدر أوضد حظه على الأقل . ولذا يتصرف بدون حكمة في ثورته .

ومن يختار الأسود في المحل الثاني يكون راغبا في التخلي عن كل شيء آخر مع الأخذ في الاعتبار انه يمكن ان يأخذ كل ما يمكن أن يمثله اللون الموجود في الموقع الأول . فاذا كان الأحمر في الموقع الأول والأسود في الثاني فإن الرضا بالرغبات المبالغ فيها سوف يعوض النواقص الأخرى .

واذا سبق الأزرق الأسود فانه يتوقع الهدوء المطلق لتثبيت الانسجام المضطرب وعدم الراحة العاطفية .

والأسود في المحل الثالث يتطلب التعويض الذي يقدمه اللونان السابقان . والأسود في الموقع الثامن هو في الموقع المتواتر حسابيا ، ممثلا الرغبة الاعتيادية في عدم وجوب التخلي عن أي شي ، وفي السيطرة على أفعال الشخص وقراراته[1] .

(١) نفسه ص ٧٥ ـ ٧٦ .

ملحق الكتاب

الدلالات الاجتماعية والنفسية
لألفاظ الألوان في اللغة العربية

الدلالات الاجتماعية والنفسية لألفاظ الألوان في اللغة العربية[1]

تنبه الإنسان - منذ نشأته - إلى الألوان الموجودة في بيئته، وعقد معها علاقات سيئة أو حسنة ، ووضع لها أو لبعضها ألفاظًا تدل عليها وتميزها عن غيرها . وبمرور الزمن ، تطور معجمه اللوني ونما نتيجة لتطور إدراكه من ناحية ولاختلاف مجتمعه الذي يعيش فيه عن غيره من المجتمعات من ناحية أخرى .

وقد اكتسبت الألوان وألفاظها - بمرور الزمن - إلى جانب دلالاتها الحقيقية - دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة ، أو ارتباطات بظواهر كونية ، أو أحداث مادية ، أو نتيجة لمايملكه اللون ذاته من قدرات تأثيرية ، وما يحمله من إيحاءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه .

وليس من الممكن - في هذا البحث الموجز - الإلمام بأطراف الموضوع ، أو الإحاطة بجوانبه ، ولهذا فسيقتصر حديثي على ثلاثة موضوعات هي :

١ - ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الشعبي .

٢ - ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الديني .

٣ - ألفاظ الألوان في شعر بعض الشعراء ، ودلالاتها النفسية .

---

(١) بحث ألقي ونوقش في الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات - تونس ١٩٨٦ .

١ – ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الشعبي

يعكس التراث الشعبي كثيرًا من الدلالات الاجتماعية للألوان ، ونظرة الشعوب إليها . وقد ظهر كثير من هذه الدلالات بتأثير الخرافات أو المعتقدات أو الموروثات الشعبية ، وهو أمر شائع في كل اللغات . ولهذا يقول يسبرسن : إن تأثير الخرافات والمعتقدات على استعمال ألفاظ اللغة ليس بالأمر العجيب ، فإن اللغة ما هي إلا تعبير خارجي عن المعاني النفسية ، ومن بينها مخاوف المرء ومعتقداته وشكوكه وأوهامه[1]

ولغزارة المادة الشعبية العربية وتنوعها بتنوع البلاد العربية رأينا الاقتصار على بعض كتب الأمثال من ناحية ، وعلى كتابين من كتب الأدب الشعبي من ناحية أخرى وهما ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة .

١ ، ٢ – اللونان الأسود والأبيض :

هناك شبه اطراد على ربط اللون الأسود بمقابله الأبيض ، واستخدام الأول في المناسبات الحزينة والمواقف غير المحبوبة ، واستخدام الثاني في عكس ذلك .

ويعتبر كثير من الشعوب كلمة « السواد » ومشتقاتها من الكلمات المحظورة « اللامساس » التي تتجنب نطقها تشاؤمًا من ذكرها ، لما هو مستقر في نفوس العامة من اعتقاد وجود علاقة بين اللفظ والمواقف المرتبطة به أقوى من مجرد الدلالة . فلفظ الموت عندهم مجلبة للموت ، ولذا يتجنبونه ولفظ الخراب مجلبة للخراب ولذا يهربون من نطقه ... وهكذا . وحين يضطرون إلى استعمالهما هما وأمثالهما يتبعونهما بكلمات بعدها مثل : « كفى الله الشر » ، « حد الله » ، « بعد الشر » لدفع الكارثة الكامنة وراءها . ولهذا نجد في

(١) أيوب : اللغة بين الفرد والمجتمع (أولى بدون تاريخ) ١٨٤ .

التعابير المصرية جُمَـلاً مثـل : « يـا خبر ابيض » ، كنـاية عن الخبـر السيِّىء ، « يا نهار ازرق » ، والمراد « أسود » . كما نجـد في التعابيـر المصرية جملاً مثل « يانهـار اسوح » ، « يـا نهار اسـوخ » بتحريف كلمـة « أسود » عن طـريق إبدال بعض حروفهـا تجنبًا للنطق بهـا . ويشيـع في القـرى المصـريـة العبــارة يانهــار « النِّيْـة» ، « يا نهـار النِّيحة » بـدلاً من « النِّيلة » تجنبًا لنطق الأخيرة . وهذه وأمثالها بقـايا من رواسب قديمة ترسخت في أذهـان الشعوب البدائية من أن اللغـة ليست مجـرد وسيلـة للتعبيـر عن الحقيقـة بل هي – إلى حـد كبيـر – الحقيقة ذاتها[١] .

ولـم يأت ارتباط التشـاؤم باللون الأسـود عبثًا ، وإنما نتيجة لاستخـدامه في بعض المناسبـات والمواقف الحزينـة أو غير البهيجة . فقد اعتـاد الناس لبس السواد عند الحزن ، فربطوا السواد بـالموت . وشاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول فـربطوا الخوف من المجهول بالسواد . كمـا أن اللون الأسود لم يـربط في الطبيعـة بأي شيء ذي بهجـة . ولهذا يقـول ابن قـاضي بعلبك في كتـابه « سـرور النفس ومفـرجهـا » : « إن الله تعالى لم يخلـق شيئًا من الأشجـار والثمـر والأنوار سـوداء لعلمه أنهـا رديَّـة في الأصل للنفس مكدرة لـلأرواح ... وانظر إلى حكمتـه كيف جعل الألوان : الأصفر والأحمـر والأبيض والأخضر في أعظم الأجساد وأشرفهـا وأبهجها وأعزها ذخرًا وأحسنها عـزًا ومنظرًا وهي الذهب الأصفر، واللؤلؤ الأبيض ، والزمرد الأخضر ، والياقوت الأحمر »[٢] .

بل على العكس من ذلك نجـد اللون الأسود مـرتبطًا في الطبيعـة بكثير من الأشـياء المقبــضة المنفّرة . فهـو مرتبط بـالغراب (حتى قيل : أسـود من حلك الغراب) ، والغراب مرتبط في أذهان العـامة بالفراق والموت (نعيب الغراب – غراب البين) . وهو مرتبط بالليل ، والليل مخيف مـوحش . وهو مرتبط بالزفت والسُّخام والهبـاب والرمـاد المتخلف عن الحريق ، وكلهـا أمور تثيـر الانقباض

---

(١) السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) ملحق جريدة السياسة الكويتية ١/ ١١/ ١٩٨٢ (بدون مؤلف) .

وتزيل البهجة . ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمق من هذه الانطباعات حين استخدمت اللون الأسود في كل ما هو منفر مكروه (انظر التراث الديني) .

وبتتّبعنا للفظ السواد ومشتقاته في « ألف ليلة وليلة » و « كليلة ودمنة » نجد غالب استعماله رمزًا لشيء مكروه ، وإن كان قد ورد – في أمثلة قليلة – في معناه الحقيقي ، كما ورد رمزًا للحسن في مجال المفاخرة بين جارتين سوداء وبيضاء .

١ – وأكثر ما ورد السواد رمزًا للخيانة الزوجية والغواية الجنسية والخطيئة بعامة :

* وجد زوجته راقدة في فراشه معانقة عبدًا أسود .
* فجاء عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها .
* وجدت زوجتي معها عبد أسود وهو نائم في فراشي .
* دخلتْ على عبد أسود .. فقال لها : كان عندنا السُّود وشربوا الشراب وسار كل واحد لعشيقته .

وحتى المرأة التي جاءت تزور حبيبها ليلاً جاءته في منتصف الليل « في ملاءة سوداء من الحرير » ، والشاب الذي تناول قطعة الحشيش وغفا ... رأى في حلمه البلاَّن يلفُّ « حول وسطه مئزرًا من الحرير الأسود »[1] .

٢ – وجاء كذلك رمزًا للشر والإجرام وإثارة الفزع :

* قتل ابنتك عبدٌ أسود .
* ترتجُّ الأرض من تحتهم ويخرج عليهم شخص أسود يختار أحدهم لشوائه وأكله ، وحين يهرب الرجال منه يرجمهم بالحجارة فيصيب أكثرهم .
* وإذا بشبح ثان قد أقبل عليهما معه كلبتان سلوقيتان من الكلاب السُّود .
* انشقّت الأرض وخرج منها عبد أسود كأنه ثور من الثيران .
* رأى كلبتين من الكلاب السود في رقبتهما جنازير[2] .

---

(١) ألف ليلة وليلة ص ٥ ، ٦ ، ١٣ ، ٢٧ ، ٣٨١ ، ٣٩١ وغيرها .

(٢) السابق ص ٩ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٢١٢ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ .

٣ - وجاء رمزًا للعنة أو لسوء الحظ والشؤم :

* وجد ابنه هو والمرأة .. قد صارا فحمًا أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا في جُبّ نار . فلما نظر ذلك بصق في وجهه ، وقال : تستحق يا خبيث ، فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الآخرة .

* هذا الأسود المشؤوم .

* اسودّت الدنيا في وجهه .

* وتجعل ليلته مثل صحيفتها (يعنى سوداء) .

* جَعَلَتْ ليلتك مثل بختك (يعنى أسود) .

* على صفة بئر أسود[1] .

٤ - وورد رمزًا للموت والفناء والحزن :

* وأمر كلّ من في القصر أن يلبسوا السواد .

* لبست السواد وأمرت الجواري أن يلبسن السواد وشاع الأمر في القصر أنّ قوت القلوب ماتت .

* نادى في جزائر خالدات أن يلبسوا السواد من الأحزان على ولده قمر الزمان .

* هو حزين على فقدي وهو الآن لابس السواد من أجلي[2] .

٥ - كما جاء في معرض السبّ والإهانة :

* يا أسود الوجه .

* يا أسود اللون والصحيفة .

* سوَّد الله وجهك يا وزير .

* قبَّحَ اللهُ السُّود لما فيهم من الخبث واللؤم[3].

---

(١) السابق ص ٤١ ، ٤٢ ، ١٩٦ ، ٣٩٣ ، ٩٠٨ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ .

(٢) السابق ١٧٤ ، ٥٠٨ ، ٥٥٧ .

(٣) السابق ١٠٧ ، ١٦٤ ، ٥١٨ ، ١١٩٨ .

وجاء « الأسود » ومشتقاته في كليلة ودمنـة رمزًا للشر والغدر ، كما في مثل الغراب ، و [الثعبان] الأسود وابن آوى « حيث كـان الثعبان يضمر الشر للغراب وذلك بأكله فـراخه ، كما جـاء رمزًا لسوء الفعـال كما في ضرب المثل بـالرجل الذي يلبس الثيـاب البيض ، ولا يزال عند الكير جـالسًا فيسوّدها بـالدخان) .

وجاء الأسود مقترنًا بالأبيض للإشـارة إلى أحداث الزمان وتعاقب الليل والنهار ، وذلك في مثل الـرجل والتنين ، في العبـارة « ورفع رأسـه إلى الغصنين فإذا في أصولهما جُرَذَان أبيض وأسود يقرضان الغصنين دائبين لا يفتران » .

وتعكس الأمثال السـائرة والعبارات الدارجة نفس الإيحـاءات فلا تستعمل « الأسود » إلا في واحد من الحالات السابق ذكرها .

فمن الأمثال الشائعة وبخاصة في مصر :

* القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود .
* السنة السـودة خمستاشر شهـر (يضرب لطول أيـام المحن السوداء في نظر الناس) .
* زي بيّـاع البـذنجـان مـا يهـادي صاحبـه إلا بـالسـودة (أي هـو كبـائع البـاذنجـان إذا أهـدى صاحبـه أهداه السـوداء ؛ لأنها تـامة النضج . يضرب لمن لا يجيء منه إلا القبيح) .
* ما ينوب الكذّاب إلا سواد وشّه .
* اللي يكذب نهار الوقفة يسودّ وشه نهار العيد .
* ابن آدم أسود الرأس (يضرب في ذم الإنسان . وسواد الرأس رمز للؤم) .
* أسود الرأس ما تآمن له – أسود الرأس مكّار .
* ازْرَعْ أسود الرأس يقلعك ، وازرع الزرع في غيطك ينفعك .
* أعمى قـال لأعمى : ليلـة سودة اللـى اتجمَّعْنَا (يضـرب للمنحـوسين الشقيين اجتمعا في ليلة نحس) .

* إيش على بال القرد من سواد وشه .

* الدّست قال للمغرفة يا سودة يا معجرفة ، قالت كلنا أولاد مطبخ .

ومن التعبيرات الدارجة :

* وصف الشخص بأن قلبه أسود « إذا كان حقودًا يكره الخير للناس » .

* رفع الراية السوداء : للتحذير من الخطر .

* سنة سوداء - نهاره أسود - حظه أسود .

* السوق السوداء ، للمعاملات التجارية غير القانونية ، أو التي تستغل حاجة الجماهير .

* القائمة السوداء ، للقائمة التي تشمل الممنوعين أو الخطرين .

* الكتاب الأسود ، لما ينشره الحزب المعارض مبينًا مساوىء الحكومة .

* اسودت الدنيا في عينيه ، إذا ضاقت عليه السبل وعجز عن حل مشكلته .

* راودته أفكار سوداء ، إذا غلبه التشاؤم والهمّ وأخذ يفكر في أساليب سيئة .

* الوباء الأسود للطاعون[1] .

أمّا اللون الأبيض فقد حمل في التراث الشعبي دلالات عكس ما حمله اللون الأسود ، ولذا استخدم رمزًا للطهر والبراءة وللتفاؤل ، والرضا ، ولجمال اللون وإشراقه ، وأخيرًا رمزًا للمهادنة والمسالمة :

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية (القاهرة ١٩٥٣) ٥٨ ، أحمد تيمور : الأمثال العامية (ثالثة ١٩٧٠) ١٥ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ١٦١ ، ٢١١ ، ٢٣٩ ، ٤٣٢ ، ٤٥١ ، فايقة حسين : حدائق الأمثال العامية (أولى ١٩٣٩) ٢٠٧ ، ٢٣٠ ، ٢٨٤ ، أحمد مختار عمر : اللغة واللون (الكويت ١٩٨٢) ٧٢ ، ٧٣ ، عمر الدقاق الألوان والناس (مجلة العربي - يناير ١٩٨٤) ١٥٩ ، ١٦٤ .

* بيّض الله عرضك .
* أقبلت عليَّ حيَّتان واحدة سمراء ، والأخرى بيضاء ، وهما تتقاتلان . فأخذْتُ حجرًا من الأرض وضربت به الحية السمراء فقتلتها لأنها باغية على البيضاء .
* فما أدري إلا ومنديل أبيض وقع عليَّ من فوق ، وكان أرقّ من النسيم ورؤيته ألطف من شفاه السقيم .
* كانت ليلة لونها أبيض من وجه النهار .
* وصار جسده نقيًا مثل الفضة البيضاء .
* جسدها أبيض كسبائك الفضة .
* ساعدان كأنهما طوقان من فضة .
* بياض معصمها كبياض اللجين.
* إذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم .. راكبًا على بغلة قطوف ... بردعتها من أبيض الحرير ...وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة .. عليه مدرعة من الصوف الأبيض حتى قرب من عسكر المسلمين وقال : إني رسول إليكم أجمعين .. فأعطوني الأمان والإقالة ، حتى أبلغكم الرسالة .
* أنت رسولي إلى موسى بن نصير ، ولك الراية البيضاء .

وقد وردفي ألف ليلة وليلة « المنديل الأبيض » إشارة إلى سلام المحبين على المحبوبين .

كما ورد اللون الأبيض رمزًا للمسلمين (في أسطورة الصياد الذي طرح شبكته فأخرجت أربع سمكات كل سمكة بلون) .

وورد اللونان الأبيض والأسود مقترنين للإشارة إلى أحداث الزمان وتعاقب الليل والنهار : « وعلى الدرج عبدان أحدهما أبيض والآخر أسود » بين يديهما لوحة فيها وعظ وتذكير بالموت وبمصير الجبابرة والملوك[1] .

(١) ألف ليلة وليلة ١٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٨ ، ٤٠٣ ، ٥٧١ ، ٦٤٠ ، ٨٣٩ ، ٩٢٧ ، ٩٨٩ ، ١٢١٠ .

وجاء اللون الأبيض في كليلة ودمنة رمزًا للخير والتفاؤل والخلق القويم . ففي مثل « أن الحلم ملاك نظام الملك » جاء ذكر اللون الأبيض وصفًا للفيل وعنى به الصفات الحميدة ومنها الحلم والتروي . وفي مكان آخر رمز « الجبل الأبيض » ، « الطير الأبيض » إلى الخير والعزة ورفعة الشأن . كما رمز الثوب الأبيض إلى الطهارة ونقاء السريرة .

وجاءت الأمثال والتعابير الدارجة لتعكس هي الأخرى نفس هذه الدلالات :

* نهارك أبيض (مملوء بالخير) ، ومثله : نهارك لبن / نهارك زي الفُلّ .
* قلبه أبيض (مخلص لا غش فيه) .
* صحيفته بيضاء (ذو سمعة طيبة ولا مغمز عليه) .
* يا فُلّ يا فُلّ ، يا غايظ الكل (في مغازلة المرأة رمزًا للصفاء في الحب) .
* يا ليلة بيضا : يا نهار سلطاني (من الشعر الشعبي الذي يقال عند الفرح والسرور) .
* القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود .
* كذبة بيضاء (للتي يقصد بها الخير أو لا تحدث ضررًا) .
* انقلاب أبيض (لم يستخدم فيه السلاح ولم يسقط فيه قتلى) .
* رفع الراية البيضاء (استسلم وأعلن الطاعة) .
* الكتاب الأبيض (تعبير سياسي يطلق على ما تنشره الحكومة دفاعًا عن موقف أو قرار تتخذه) .

ومن التعبيرات والأمثال القديمة :

* كلمته فما ردَّ عليَّ سوداء ولا بيضاء (أي كلمة قبيحة ولا حسنة) .
* ما كل سوداء تمرة ، ولا كل بيضاء شحمة .
* أُكلت يوم أكل الثور الأبيض[1] .

---

(١) أحمد أمين : قاموس العادات ٥٨ ، ٣١١ ، ٤٧٨ ، أحمد تيمور: الأمثال العامية ١٦١ ممدوح حقي : المثل المقارن (النجاح ببيروت) ٤٣ ، المنجد (قسم الأمثال) مادة بيض ، أحمد مختار: اللغة واللون ٧٠ .

وحتى ما ورد من « البياض » فى مجال الـذم والتنفير ، إنما ورد في سياق الذم لشيء لا يتوقع أن يذم لبياضه مثل :

* الأبيض فى الكلاب نجس / زي الكلاب الأبيض فيهم نجس .

* زي أبو قردان أبيض وعِفِش .

* زي طُرب (مقابر) اليهود ، بياض على قلة رحمة[1] .

ولم يأت ذم الأبيض ومدح الأسود إلا في إحدى حالتين :

١ – أن يكون البيـاض متعلقًا بشيء يحسن السـواد فيه ، أو يكـون السواد أجمل في هذا الشيء .

٢ – أو في مجـال المنافـرة بين شخصين أبيض وأسـود ، وعلى لسـان شخص أسـود . فمن الأول : ذم البياض في الشّعـر لأنه يـذكّر بالقبـر ، وينعي الشخص إلى نفسه[2] . وكـذلك الإعجاب بـالسـواد في العينين أو المقلتين ، ولذا كثر وصف العيـون بأنها دعجاء أو كحيلة أو كحلاء كمـا كثر وصف العيون بالحَوَر (وهو شدة بياض البياض مع شدة سواد السواد) .

٣ – ومن الثاني مـا جاء على لسـان أسود : « وحقٍّ فتوّة السـود .. إلاّ تكون مروءتنـا مروءة البيض » و « يـا منتنة يـا أخسّ البيض »[3] ، وما جـاء على لسان جارية سوداء تفخر بسوادها وتذم البياض .

فمن الفخر بالسواد :

* أنه ورد في القرآن : ﴿ والليل إذا يغشـى ، والنهار إذا تجلى ﴾ . ولولا أن الليل أجلّ لما أقسم الله به وقدّمه على النهار .

* السواد زينـة الشباب ، فإذا نـزل المشيب ذهبت اللذات ودنـت أوقات الممات .

---

(١) الأمثال العامية ٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ .
(٢) ألف ليلة ٩٤٤ .
(٣) السابق ٢٧ .

* هو لون حبة القلب ، لون العين .

* لا يحسن اجتماع الأحباب إلا في الليل .. وما ستر الأحباب عن الواشين واللوام مثل سواد الظلام ، ولا فضحهم مثل بياض الصبح .

* من السواد المداد الذي يكتب به كلام الله .

* لولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب يحمل للملوك ولا يذكر .

ومن ذم البياض :

* أنت يا بيضاء لونك لون البرص ، ووصالك من الغصص .

* ورد البرد والزمهرير في جهنم لعذاب أهل النكير .

* وقال الشاعر :

ألم تــــر أن المسك يعظم قــدره ... وأن بيــاض الجيــر حمـل بــدرهم

وأن بيـــاض العيـن يقبح بـــالفتى ... وأن ســـواد العين يــــرمى بـأسهم

ولتكملة الصورة ننقل رأى البيضاء في بياضها وفي سوادمنافستها :

قالت البيضاء : أنا النور الـلامع / البدر الطالع / لوني مثل النهار الهنى ، والزهر الجنى ..

وقد قـال الله تعالى لنبيه مـوسى : وأدخل يدك في جيبك تخـرج بيضاء من غير سوء ، وقال : وأما الذين ابيضت وجـوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون .. إن لوني آية ، وجمالي غاية ، وحسنى نهاية ، وعلى مثلى يحسن الملبوس . وفي البياض مسـائل كثيرة منهـا أن الثلج ينزل من السمـاء أبيض ، وروى أن أحسن الألوان الأبيض ، والمسلمون يفتخرون ببيض عمائمهم .

وقالت مخاطبة السوداء : يا سـوداء ، يا لون المداد ، وهباب الحدّاد ، ووجه الغراب المفرق بين الأحباب . ويقول المثل : كيف يوجد أسود عاقل ؟ (1) .

---

(1) السابق ٦٧٨ – ٦٨٤ .

٣ - اللون الأخضر :

يعد اللون الأخضر من أكثر الألـوان في التراث الشعبي استقرارًا في دلالاته وهو من الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض .

ويبدو أنه استمـد معانيه المحبويـة من ارتباطه بأشياء مبهجـة في الطبيعة كالنبـات وبعض الأحجار الكـريمة كالـزمرد والزبـرجد ، ثم جـاءت المعتقدات الدينيـة لتعمق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللـون الأخضر في الخصب والرزق وفي نعيم الآخرة (انظر : التراث الديني) .

وأكثر مـا جاء الأخضـر في الأدب الشعبي مرتبطًـا بالخصب الـذي يبعث على التفاؤل وبالجمال المستمد من جمال الطبيعـة ، وبالشباب الذي توحي به خضرة النبات الغض الرطب .

فمن الأول :

* ألبسونا خلعًا خضراء مذهبة وأكرمونا غاية الإكرام .
* لاحت لهم القبـة الخضراء والفسقيـة والقصر الأخضـر ، ولاح لهم جبل السـحاب من بعيـد ، فقـال الشيخ عبد القـدوس : يـا حسن ، أبشـر بالخير .

ومن الثاني :

* لبست كل واحدة ثيابهـا وحليها ، وأما الجارية الكبيـرة فإنها لبست حلة خضراء ففاقت بجمالها ملاح الآفاق .
* أتى بكوز من الذهب الأحمر ، مُغطًّى بمنديل من الحرير الأخضر .
* بنى القصر من طوبـة من فضة ، وطوبة من ذهب ، وطوبـة من ياقوت ، وطوبة من زمرد أخضر .
* من الحرير الراقي ، وشراريبها من قضبان الزمرد الأخضر .
* بدت في البستان بالحلل الخضر .

ومن الثالث :

* وصف الشارب بالخَضَار ، والعِذار بأنه أخضر .
* وصف شيخ متصاب بأنه « مثل الكرات شائب ، وقلبه أخضر » .
* وحين اخضر منه العذار ، كثرت فيه الأشعار[1] .

وورد في الأمثال والتعبيرات الدارجة ما ينحو هذا المنحى : فوصف العيش بأنه أخضر ، ووصف الشخص بأنه أخضر إذا كان كثير الخير[2] . وقالت العرب : هم خضر المناكب : أي في خصب عظيم . ويقول المحدثون : قدمه خضراء : إذا كانت تجلب السعد ، وسنته خضراء : إذا كانت مخصبة ذات خير . ويقولون : طلعت له الأسنان الخضراء حين تنبت للعجوز سن . ويتفاءل المصريون باللون الأخضر ولذلك يدعون لمن يدخل بيتًا جديدًا « بأن يجعله الله عليه سَلَقًا أخضر » ، ويستبشرون بالملوخية في أول طلوعها لأنها خضراء ، ويقولون عادةً : اللهم اجعلها علينا سنة خضراء . ولم يأت اللون الأخضر في مجال الذم أو الهجاء إلا نادرًا ، أو حين يراد به اللون الأسود كقولهم : الزرع أخضر والناس أخبر ، وهو مثل يضرب لمن يظهر في غير حقيقته مع علم الناس بها ، وكوصفهم الفاكهة غيرالناضجة ، بأنها خضراء .وكذلك قول العرب : فلان أخضر القفا إذا كانت أمه سوداء . وكثيرًا ما جاء اللون الأخضر مختلطًا بالأسود في التراث العربي[3] .

٤ - اللون الأحمر :

تعددت دلالات اللون الأحمر في التراث الشعبي وتباينت مفهوماته بصورة تجعله لونًا مميزًا . وقد جاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية بعضها يثير البهجة والانشراح وبعضها يثير الألم والانقباض . فمن ارتباطه بلون الدم

---

(١) السابق ٣٧١ ، ٥٢٠ ، ٥٦٢ ، ٧٤٧، ٧٥٠ ، ٨٣٦ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٧٦ .

(٢) ولا ننسى الكتاب الأخضر في ليبيا .

(٣) قاموس العادات : ١٢٤ ، ٢٣١ ، الألوان والناس : ١٥٩ ، اللغة واللون : ٨٠ ، ٨١ .

استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر ، ومن ارتباطه بلون النار مادة الشيطان استعمل للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية ، ومن ارتباطه بالذهب والياقوت والورد استعمل رمزًا للجمال . ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينةاستعمل رمزًا للخجل والحياء تارة ، وللغضب تارة أخرى ، وغير ذلك .

١ - فمن دلالة الحمرة على المشقة والشدة والخطر واشتعال الحروب :

* الموت الأحمر عِشْرة من لا يوافقك ولا يفارقك (مثل) .
* احمرّ البأس : اشتد القتال وصار في الهول والشدة مثل السبع .
* الحسن أحمر : أي لا يوصل إليه إلا بمشقة وصبر على المكاره .
* الحرية الحمراء : الحرية التي تنتزع من المستعمر بعد معارك دموية .
* ولا الجن الأحمر : يستخدم عند استحالة الحصول على الشيء .
* وقد جاء على ذلك قول الشاعر :

بفضلك قد صلنا على الروم صولة وقد رجعوا بالضرب في حلل حمر

٢ - ومن دلالته على الشيطان ، وعلى الغواية والشهوة الجنسية :

* انصرف لوقا وركب جوادًا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب .. وحمل رمحًا له ثلاثة حراب كأنه إبليس الليل يوم الأحزاب .
* قلع أخو المزين ثيابه وصار عريان وأخذ يجرى وراء الجارية .. وقد غلب عليه الشبق كأنه مجنون ، ورآه الناس على تلك الحال وهو عريان .. محمرّ الوجه .
* عليه ناموسة من الأطلس الأحمر .
* وفي أسطورة الشاب الذي جلس تحت نافذة حبيبته أنها أدلت له من الشباك منديلاً أحمر .

وقد شاع هذا المعنى فى العصر الحديث حتى قيل « أمضى ليلة حمراء» ، « قضى سهرة حمراء » أي خليعة ماجنة . كما شاع استخدام الألوان الحمراء الخافتة في الملاهي والأندية الليلية .

٣ – ومن إيحاءاته الجمالية :

* عليه ثياب فاخرة ، وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء .

* ثغر حكى الياقوت في حمرة الورد .

* إنْ أنكرتْ في مجال الشرع سفك دمي

فإنه فوق خديهـــا لقـــد شـــهدا

* خدود مثل شقائق النعمان .

* وجاء اللـون الأحمر في ألف ليلـة وليلة وصفًا للـذهب في مجال الـزينة والتجميل : مزركشـة بالذهب الأحمـر – ديباج منسوج بـذهب أحمر – ستور من الديباج الأزرق المطرَّز بالذهب الأحمر .

٤ – وورد رمزًا للصحة والقوة الجسمية ، كما ورد رمزًا للخجل في مثل :

* رُدَّ لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية .

* احمرت وجنتاه / احمر خداه .

* ملكت أربعة آلاف حصان أحمر .

* حينمـا قـالت الملكة بـدور لقمـر الـزمان إن أمكنتني ممـا أريـده منك أجعلك وزيرًا « خجل واحمرت خدوده » .

* احمر وجهها وخجلت .

٥ – وورد أخيرًا في مجال التقبيح أو الهجاء مثل :

* لها جَفْنَ أحمر وخد أصفر بوجه أغبش .

* صكُّوه حتى احمر قفاه[1] .

وقد ورد في الأمثال والتعبيرات الدارجة ما لا يخرج عن الدلالات السابقة :

---

(١) ألف ليلة : ٦ ، ٣٢ ، ١٢٣ ، ٢٧٨ ، ٤٦٧ ، ٥٢٨ ، ٩٣٠ ، ١٠٧٥ ، ١١٥٥ وغيرها .

* أظهر له العين الحمراء : إذا بدأ الغضب في وجهه ، وتطاير الشرر .
* فيّ ولا فيك يا أحمر : أي أنا فداؤك أيها المحبوب المفدى من كل مكروه .
* الشفة الحمرة ما تغزل كتان : أي أن الشفة الحمراء الرقيقة لا تتحمل إمرار الخيط عليها وقت الغزل فإنّه يدميها .
* روحه حمرة : كناية عن ثقل دمه وفدامته .
* أحبك وأحب اللى يحبك ، وأحب الورد الأحمر اكمنّه يشبه خدك .
* وضع الضوء الأحمر على مكتبه : دلالة على الانشغال .
* أضاء له الضوء الأحمر : علامة على الخطر وضرورة التريث[1] .

٥ - اللون الأصفر :

ليس للون الأصفر إيحاءات ثابتة . فهو تارة يستمد دلالته من لون الذهب وتارة من لون النحاس . كما يستمدها أحيانًا من صفرة الشمس عند المغيب ، وأحيانًا من لون بعض الثمار مثل الليمون والتفاح ، والطيب مثل الزعفران ، والصبغ مثل الورس . وفي أحيان أخرى يستمدها من النبات الذابل حين يجف فيميل لونه إلى الاصفرار .

ولم يكثر ورود اللون الأصفر فى « ألف ليلة وليلة » ، كما يثير الدهشة أنه لم يرد وصفًا للذهب إلا في حالات نادرة مثل « عليه خلعة سوداء بطراز من الذهب الأصفر »[2] . وفي الكثير الغالب يوصف الذهب بالحمرة والنحاس بالصفرة .

وأكثر ما وردت الصفرة في ألف ليلة وليلة مرتبطة بالضعف والذبول والمرض ، ولم ترد في مجال الإعجاب والتمدح إلا في مناظرة الجواري ، حين أخذت الجارية الصفراء تذم منافستها السمراء وتمتدح لونها الأصفر .

---

(١) الأمثال العامية : ١٧٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ ، ٤٣١ ، أحمد تيمور : الكنايات العامية (ثالثة) : ٢٩ ، ٤٦ ، حقائق الأمثال : ٩٨ ، اللغة واللون : ٧٥ ، ٧٦ .
(٢) ألف ليلة : ٦١٥ .

١ – فمن استخدامات الأصفر مع الذبول والنحول والخوف :

* حصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه .

* يا أخي كنت أراك مصفر اللون والوجه .

* وعلاني الهم والاصفرار .

* فلما سمعت هذا الكلام اصفر لوني .

* تغير حالي واصفر لوني مما جرى لي .

* بُهتَ واصفرّ لونه .

* ارتجف قلبه واصفر لونه .

* تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار .

* نحيل البدن يلوح عليه الاصفرار .

* أخذه الوجد والهيام واصفر لونه .

* ضعيف نحيل قد كَلّ جسمه واصفر لونه .

٢ – ومن ذم الجارية السمراء لمنافستها الصفراء :

* أنت مثل ملوخية باب اللوق صفراء وكلها عروق .

* تَعْسًا يا قدرة الروّاس ويا صدأ النحاس وطلعة البوم وطعام الزقوم .

* ليس لك في الحسن مآثر ، وفي مثلك قول الشاعر :

عليهـا اصفــرار زاد من غيــر علـة   يضيق لـه صـدري وتـوجعني رأسي

إذا لم تتب نفسي فـإنى أذلهــــا   بلثم محيــاهــا فتقلع أضـــراسي

٣ – ومما يدل على كراهية هذا اللـون في ذهن جمهور الناس ونفورهم منه مـا جـاء في أسطـورة السمك ، مع الصياد الـذي طـرح شبكتـه فأخـرجت أربع سمكات كل سمكة بلون ، فقد أشار اللون الأصفر فيها لليهود .

وكان منتهى الكراهية والنفور من الأصفر أن يقترن بالسواد كما في قصة الشاب عزيز الذي تبدلت به الحال بعد أن هجر ابنة عمه وصار به الأمر إلى أن قال : « وجدتني على غير استواء ، وصار على وجهي الاصفرار والسواد » .

٤ – ومن تمدح الجارية الصفراء بلونها :

* أنا المنعوتة في القرآن ، ووصف لوني الرحمن وفضله على سائر الألوان بقوله تعالى : ﴿ صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾ .
* لوني آية وجمالي غاية ، وحسنى نهاية .
* لوني لون الدينار ، ولون النجوم والأقمار ، ولون التفاح ، ولون الزعفران ، يزهو على سائر الألوان .
* لوني في الوجود عزيز مثل الذهب الإبريز .
* لها اصفرار كلون الشمس مبتهج وكالدنانير في حسن من النظر
ما الزعفران يحاكي حسن بهجتها كَلاً ومنظرها يعلو عن القمر[١]

ولم يرد اللون الأصفر في الأمثال والعبارات الدارجة في مجال المدح إلا نادرًا ، وغالبًا ما جاء في مجال الذم والتنفير مثل :

* أصفر بعلة ، ولمام جلة ، ويقول ستة بقرش
(يضرب للحقير الذي يعتز بما لديه من أشياء لا قيمة لها) .
* أصفر ومعلول ويعدّي الأصول .
(يضرب لحقير الشأن الذي يخرج عن حده) .
* ضحكة صفراء : إذا كانت ممزوجة بالحقد والمرارة ، أو منتزعة انتزاعًا .
* عين صفراء : للعين الحاقدة الحسودة .
* السراية الصفرا : لمستشفى الأمراض العقلية في مصر[٢] .

---

(١) السابق : ٢٩ ، ٣٤٢ ، ٦١٥ ، ٦٨٠ – ٦٨٤ .
(٢) حدائق الأمثال : ٢٤٩ ، اللغة واللون : ٧٤ .

ومن مجيئه في مجال المدح قولهم : « أهلك النساء الأصفران » : الذهب والزعفران وهذا يدل على غرام النساء باللون الأصفر لغرامهن بالذهب والزعفران . ولعل هذا كان السبب في أن يحتل فى العصر العباسي – كما لاحظ المرحوم أحمد أمين – مكانًا كبيرًا غطى على كل الألوان الأخرى ، وقد تمثل ذلك فيما يأتي :

* هيام العراقيين باللون الأصفر وتغزلهم بالوجوه الصفر وصبغهم ثيابهم بالصفرة ، وافتنانهم بالزهور الصفر ، واتخاذهم الطعام الأصفر ، ومدحهم الجواهر الصفر .

* إذا حسن في عينهم شيء أصفر شبهوه بلون الزعفران .

شربت على تذكر عيش كسرى شرابًا لونه كالزعفران

* كان البغداديون يلونون طعامهم وثيابهم بالزعفران والعصفر ، كما كانت أكثر العصائب التي تتزين بها النساء عصائب مصبوغة بالزعفران .

* قالوا : أجمل شيء غلالة معصفرة على جارية .

* وحكى التنوخى : أن الخليفة المتوكل اشتهى أن يجعل كل ما تقع عينه عليه – في يوم من أيام شربه أصفر – فنصبت له قبة صندل مجللة بديباج أصفر ومفروشة بديباج أصفر ، وقدم له الشراب الأصفر في صواني ذهب ، ولم يحضر من جواريه إلا الصفر ، عليهن ثياب قصب صفر .

* ومدحوا الزهور والثمار الصفر كالتفاح الأصفر والخوخ الأصفر .

* كما تغزلوا بصفرة الخمر :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها إن مسها حجر مسته سراء[1]

---

(1) أحمد أمين : فيض الخاطر ١/ ٣٢٢ وما بعدها .

٦ - اللون الأزرق :

لم يتحدد مدلول الأزرق عند العرب بل تداخل مع ألوان أخرى كالأبيض والأخضر . وهو إلى جانب هذا من الألوان النادرة في الطبيعة ، كما أن درجاته تتفاوت تفاوتًا كبيرًا يقرّبه من الأبيض حينًا ، ومن الأسود حينًا . فنحن نطلق على الأزرق الفاتح : لبني أو سماوي ، وعلى الأزرق القاتم : كحلي أو نيلي . ولعل ما نقله ابن الخطيب من أن لباس الحزن في غرناطة بالأندلس كان أزرق اللون - يعود إلى الأزرق القاتم الذي يقرّبه من الأسود .

لعدم شيوع هذا اللون في الطبيعة من ناحية ، وعدم تحدد مدلوله من ناحية أخرى نجده نادر الوقوع في « ألف ليلة وليلة » بمدلول اجتماعي خاص .

١ - فقد ورد عدة مرات مشيرًا إلى الجن من مثل :

* خرج من القمقم دخان أزرق .

* الملك الأزرق ملك الجان .

٢ - وورد مرتين مشيرًا إلى النصراني ، وذلك في قوله : « وقعت عينها على برسوم النصراني .. فقالت له : ويلك يا أزرق العينين . ما اسمك ؟ وما سبب قدومك إلى بلادنا ؟ وورد كذلك في أسطورة السمكات الأربع ، حيث رمزت السمكة الزرقاء فيها للنصارى[١] .

وفي الأمثال والتعبيرات الحديثة نجد نفورًا من اللون الأزرق - ربما لقربه من الأسود - ولهذا نجد المصريين يطلقون « العتبة الخضراء » على عتبة زرقاء كانت لبيت من بيوت أمراء هذا الحي[٢] . ويقولون : « نهارك أزرق » ، ويعنون : « أسود » لليوم المملوء بالشر[٣] .

ومن الأمثال والتعبيرات الدارجة :

* فلان عظمه أزرق : إذا كان شديد التعصب .

---

(١) ألف ليلة : ٢٩ ، ٦٥٩ ، ٩٢٧ ، ١٠٦٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٥ .

(٢) قاموس العادات : ٣٠ .

(٣) السابق : ٥٨ .

* نابه أزرق : ماكر بارع .
* أزرق زي النيلة : شيء مكروه .
* طلّع البلا الأزرق بيتنطط أُدّام عيني : مغتاظ ومتوتر[1] .

٢ - ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الديني

أعطت كثير من الديانات للألوان قيمة خاصة ، واتخذت لها دلالات رمزية ، ومنها ما ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة .

١ - فقد كان اللون الأصفر لونًا مفضلاً في الصين والهند ، فالبراهمة اتخذوه لونًا مقدسًا. وكان لون البوذيين المفضل الأصفر أو الذهبي ، كذلك كان الأصفر مقدسًا في المسيحية الأوروبية . واستخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية . ووردت الصفرة في الكتاب المقدس خمس مرات من بينها مرتان للإشارة إلى الخوف والاضطراب . وقد ورد الأصفر ومشتقاته خمس مرات في القرآن الكريم .

* قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . [البقرة ٦٩]
* إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر . [المرسلات ٣٣]
* ولئن أرسلنا ريحًا فرأوه مصفرًا لظلوا من بعده يكفرون . [الروم ٥١]
* ثم يهيج فتراه مصفرًا ، ثم يجعله حطامًا . [الزمر ٢١]
* ثم يهيج فتراه مصفرًا ، ثم يكون حطامًا . [الحديد ٢٠]

وورد عشرات المرات في الحديث النبوي الشريف كما هو واضح من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . ولا نستطيع أن نقطع بالمراد بالصفرة في بعض الأمثلة نظرًا لاختلاط هذا اللون بغيره من الألوان في لغة العرب . فقد فسرته المعاجم إلى جانب اللون المعروف : بالسواد ، وبلون دون الحمرة . وفسر بعضهم قوله تعالى : ﴿ جمالة صفر ﴾ على معنى : إبل سود .

---

(١) اللغة والألوان : ٧٨ ، الألوان والناس : ١٦٤ .

وقال ابن قتيبة وأبو عبيدة بأن الصفراء في قـوله تعالى : ﴿ صفراء فاقع لونها ﴾ ، هي السوداء .

ولكن ارتباط اللفظ في كثيـر من التراث الديني بمـواد طبيعية نعرف لـونها يجعلنـا نميل إلى أن المـراد بـه هـو اللـون المعـروف ، وذلك مثل آيتي النبـات والأحاديث النبوية الآتية .

* الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء .
* ما بال الكلب الأسود .. من الكلب الأصفر .
* من جبل أصفر إلى جبل أسود .
* وعَلَيَّ صفرة من الزعفران .
* تصفير اللحية بالورس والزعفران .

وبتتبع التراث الإسلامي لا نجد لهذا اللون قيمـة خاصة . وبما كان ارتباطه البارز بـالزعفران والورس - لاتخـاذهما مادة الخضاب الشعـر واللحية ولغسل الثياب بهما - كـان السبب في ورود هذا العدد الكبير من الأحـاديث التي تشير إلى الصفرة وهي في معظمها إشارات محايدة مثل :

* يصبغ لحيته بالصفرة حتى تمتلىء ثيابه من الصفرة .
* ورأيته قد لطخ لحيته بالصفرة .
* وأما الصُّفرة ، فإني رأيت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَصْبُغ بها .
* وعلى صفرة من الزعفران .
* معتمّـا بعمامة سوداء .. مصفِّر اللحية .
* قد أهل بالعمرة وهو مصفِّر لحيته .
* تصفير اللحية بالورس والزعفران .
* إنك تصفِّر لحيتك بالخلوق .

ووردت الصفرة مرتبطة بالثياب كذلك دون تنفير مثل :

* إذ جاء .. عليه ملاءة صفراء .
* بملحفة صفراء .

* في الثوب الأصفر .
* وعليٌّ قميص أصفر .

بل جاء في بعض الأحاديث أن « راية رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كانت صفراء » .

وهناك في الأحاديث النبوية إشارات أخرى تتعلق بصفرة الذهب « وكل صفراء وبيضاء يعنى الذهب والفضة » ، وصفرة الشمس : «حين تصفر الشمس » ، وصفرة الوجه من الإعياء أو المرض : « وكان ذلك الرجل مصفر اللحم » ، « فإذا هم قد أصابهم وباء واصفروا »[1] .

٢ – أما اللون الأبيض فقد كان منذ العصور القديمة مقدسًا ، ومكرسًا لإله الرومان Jupiter ، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء . ولأن اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاوة فإن المسيح عادة ما يمثل في ثوب أبيض . وكثر ورود هذا اللون في الكتاب المقدس للتفاؤل والإشراق .

وقد ورد لفظ الأبيض في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة ، ورد بعضها بمعناه الحقيقي وبعضها الآخر رمزًا للصفاء والنقاوة ، أو رمزًا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا :

* وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون .
[آل عمران ١٠٧]
* يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . [آل عمران ١٠٦]
* واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء . [طه ٢٢]
* يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . [الصافات ٤٦]

ويعد هذا اللون من أكثر الألوان ورودًا في الحديث النبوي ، إذ ورد ما يقرب من مائة مرة يهمنا منها ما تحمله من إشارات ودلالات اجتماعية :

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، فهرس الكتاب المقدس (رابعة ١٩٦٩) ٣٤٧ ، اللغة واللون : ٤٠ ، ١٦٣ .

١ – فقد جاء بعضها رمزًا للنقاء والبراءة والطهر :

* فقلنا : هذا الرجل الأبيَض المتكىء .
* كان رسول الله أبيض مليح الـوجه (مع ما هو ثـابت في أحاديث أخرى أن الرسول كان أسمر اللون) .
* وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيمًا .

٢ – وجاء بعضها مرتبطًا ببعض العقائد أو المأثورات الدينية :

* أتيت بالبراق وهو دابةٌ أبيض طويل .
* إنّ حوضي لهو أشد بياضًا من الثلج .
* أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة .
* أمرهم بصيام ثلاثة الأيام البيض .
* نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن .
* أتته ملائكة الرحمة بحريره بيضاء .
* رجل شديد بياض الثياب .. (المراد جبريل) .

ولعل هذا هو السبـب في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لبـاسًا أثناء الحج والعمرة ، وكفنًا للميت .

كما كان السبب في ميل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، إلى اللون الأبيض في الملابس والثياب :

* البسوا من ثيابكم البيض .
* أتيت النبي وهو نائم على ثوب أبيض .
* إني لأحب أن أنظر إلى القاريء أبيض الثياب .
* النبي عليه ثوب أبيض .
* البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم .

* أحسن ما زرتم الله في قبوركم ومساجدكم البياض .

*خير ثيابكم البياض .

* فكسا الزبيرُ رسولَ الله وأبا بكر ثيابَ بياضٍ .

كما أنـه ربما كان السبب في اختيـار الرسول ، صلى الله عليـه وسلم ، إياه لـونًا للـوائه حين فتح مكـة : « أن النبي ، صلى الله عليـه وسلم ، دخل مكة يـوم الفتح ولواؤه أبيض » . وفي وصفه الملة الإسلامية بالبياض : « لقد تركتكم على المحجة البيضاء » .

٣ - كما أن هنـاك إشارات في بعض الأحاديث النبـوية إلى بياض الـوجه في الدنيا والآخرة بمعنى الابتهاج والسعادة نتيجة الإحساس بالنجاح والفوز :

* إن أول صدقة بيّضتْ وجه رسول الله .

* ألم يُثقِّل اللهُ موازيننا ويبيِّض وجوهنا .

وهناك إشارات في بعضها الآخر إلى بياض الحسنات لما تبعثه في النفوس من الابتهاج وفي الوجوه من بياض وإشراق :

« بحسنات أمثال جبالِ تهامةَ بِيضا »[1] .

٣ - أما اللون الأسود : فقد كـان مكروهًا منذ القـدم ، وقد رمز القدمـاء به وبكل الألوان القاتمة إلى الموت والشر .

وقد ورد هــذا اللون في القرآن ســبع مرات ارتبطت خمس منهـا بالوجه ، وما يتحول إليه من سواد - في الدنيا والآخرة - نتيجة سوء الفعال :

* ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم﴾ . [١٠٦ آل عمران]

* ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ . [١٠٦ آل عمران]

* ﴿ ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ . [٦٠ الزمر]

---

(١) معجم ألفـاظ القرآن ، معجم ألفـاظ الحـديث ، فهرس الكتـاب المقدس ، ٧٨ ، اللغـة واللون ١٦٣ ، ١٦٤ .

* ﴿وإذا بشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم﴾ . [٥٨ النحل]

وقد تجاوزت كلمات الأسود في الحديث النبوي المائة بقليل ، إذا أخرجنا منها ما جاء بمعناه الحقيقي نجد معظم الباقي يشير إلى أشياء مكروهة أو منفرة :

١ - فقد كرهت الأحاديث النبوية لون السواد في الملبس ونفرت منه :

* اذهبوا إلى بعض نسائه فلتغيره ، وجنّبوه السواد .

* غيروا هذا بشىء واجتنبوا السواد .

* ينظر فى سواد ويأكل فى سواد ويمشى فى سواد .

* يطأ فى سواد ويبرك فى سواد وينظر فى سواد .

٢ - ونهت عن الاختضاب بالسواد .

* النهى عن الخضاب بالسواد .

* يخضبون فى آخر الزمان بالسواد .

(ورد فى بعض الأحاديث مايفيد استخدام اللون الأسود فى العمامة والثوب والمرط والبردة والخف) .

٣ - وصورت ملائكة العذاب قائلة : « أتاه ملكان أسودان أزرقان » .

٤ - وسمح الرسول بقتل الحية والعقرب فى الصلاة قائلاً : (اقتلوا الأسودين فى الصلاة : الحية والعقرب » .

٥ - واستخدمت الأحاديث السواد للوجه بمعنى الخسران والخذلان وسوء المصير :

* تسود وجوههم .

* وأما الكافر فيسود وجهه .

* فقال : سَوَّدْتَ وجوه المؤمنين ، أو : يا مسوِّد وجوه المؤمنين .

٦ - كما استخدمت السواد مع القلب للإشارة إلى الحقد والضغينة : وتنكت في قلبه نكته سوداء حتى يسود قلبه .

٧ – واستعاذ الرسول من اللون الأسود : « أعوذ بك من أسد وأسود » .

٨ – ووصف الفتن والظلم بـالسواد : « بـاب من كـره أن يكثر سـواد الفتن والظلـم » .

٩ – وجاء وصف المرأة بالسواد مبالغة فى التنفير :

* رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس .

* ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل .

١٠ – وأخيرًا ورد فى الأثر أن الحجـر الأسود قد نزل من الجنة أشـد بياضًا من الثلج ، وأنه اسود من ذنوب العباد وخطاياهم .

٤ – اللون الأزرق : يمثل اللون الأزرق مكانـة خاصة فى اليهوديـة فهو لون الرب Jehovah وهو أحد الألوان المقدسة عند اليهود . ولكنَّ الأزرق قليل الأهمية فى المسيحية ومن النـادر استخدامه فى الطقـوس الكنيسية . ولم يرد هـذا اللون مطلقًـا فى الكتـاب المقـدس . ولكنـه ورد فى القـرآن الكـريم مـرة واحـدة وفى الحديث النبوى ثلاث مرات. وفى كلتا الحالتين ورد فى مجال الشىء المكروه .

* فقد فسر العلماء قوله تعالى : ونحشـر المجرمين يومئذ زرقًا : بأن المراد ازرقاق سواد الحدقـة عند ذهاب نور البصر . وفسر ابن سيـده الزرقة فى العين بأنها خضـرة فى سوادهـا ، أو أن يتغشى سوادها بيـاض ، أو أنها لون يغشى العين من شدة العطش .

ومما جاء فى الحديث على سبيل التنفير والإخافة :

أتاه ملكان أسودان أزرقان .

٥ – اللون الأخضر : يمثل الأخضر فى العقيدة الإخـلاص والخلود والتأمل الروحى . ويســمى لون الكاثـوليك المفضل ، ويستعمل فى عيد الفصح ليـرمز إلى البعث . واللـون الأخضـر الحائل هـو لـون التعميد عنـد المسيحيين . وورد اللـون الأخضـر فى الكتـاب المقـدس بضعا وعشـرين مـرة دار معظمهـا حـول العشب والنبات وورق الشجر ، وورد بعضها كلون محبوب مفضل :

* وسريرنا أخضر .
* وإذا فرس أخضر .

ومن أجل ارتباط هذا اللون بالخصب والنماء ، وبالحقول والحدائق والأشجار ارتبط عند المسلمين بالنعيم والجنة فى الآخرة . ولذا يعتبر اللون الأخضر هو لون الألوان عند المسلمين. وقد ورد فى القرآن الكريم ثمانى مرات ، وردت ثلاث منها فى وصف ملابس المسلمين ومقاعد جلوسهم فى الجنة .

* ﴿ويلبسون ثيابًا خضرًا من سندس واستبرق ﴾ . [الكهف ٣١]
* ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ . [الإنسان ٢١]
* ﴿ متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان ﴾ . [الرحمن٧٦]

وورد فى الحديث النبوى أكثر من ثلاثين مرة إذا أخرجنا منها ماجاء فى معناه الحقيقى – وهو القليل – نجد الباقى مرتبطًا بمعانى الخير والجمال والعطاء :

* أتانى جبريل فى خضر معلق به الدار .
* مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء .
* صرخ ياخضرة فتفاءلت بأنا سنصيب منهم خَضِرَة .
* كساه الله من خَضِرِ الجنة .
* أرواحهم فى جَوْف طير خضر .

ولعل هذا هو السر فى اختياره لونًا لأستار الكعبة ولأضرحة بعض الأولياء ولعمائم فئات من شيوخ المسلمين [1].

٦ – اللون الأحمر : يرمز الأحمر فى الديانات الغربية إلى الاستشهاد فى سبيل مبدأ أو دين . وهو رمز لجهنم فى كثير من الديانات ، حيث توصف جهنم بأنها حمراء . وقد ورد هو ومشتقاته فى الكتاب المقدس نحوًا من عشرين مرة ورد معظمها فى معناه الحقيقى وصفًا للخيل أو للثياب أو للماء أو للخمر أو للحبيب أو للسماء .

(١) معجم ألفاظ القرآن ، معجم ألفاظ الحديث ، فهرس الكتاب المقدس ١٧٣ ، اللغة واللون ١٦٤ ، الألوان والناس ١٦١ .

أما فى القرآن الكريم فلم يرد إلا مرة واحدة فى معناه الحقيقى وهو قوله تعالى: ﴿ ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها﴾ . وورد فى الحديث النبوى مايزيد على خمسين مرة بعضها فى اللون المعروف وبعضها بمعنى الأبيض ، وبعضها بمعنى الأصفر . وقد حمل فى أحيان كثيرة دلالات ورموزًا تخرج به عن مجرد اللون .

١ – وقد كان الرسول يكره هذا اللون فى الثياب ربما لإيحاءاته النفسية الخاصة . ولذا جاء فى الحديث النبوى :

* نهانى رسول الله ... عن لبس الحمرة .
* اشترى ثوبًا شاميًا فرأى فيه خيطًا أحمر فردّه .
* وإياك أن تحمّر أو تصفّر فتفتن الناس .

٢ – ولارتباط الحمرة بالذهب الذى يرمز إلى حب الدنيا والتكالب عليها نجد الأحاديث النبوية تطلق الأحمر على الذهب .

* فألهاهن الأحمران الذهب والحرير .
* وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر .

٣ – ومع كراهية الحمرة فى الملابس صرحت الأحاديث بعكس ذلك بالنسبة للإبل والنعم :

* أن لى بها حمر النعم .
* يخطب على ناقة حمراء .
* كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء .
* موسى .. على جمل أحمر .
* على فرس من ياقوتة حمراء .

٤ – ولأن العرب تطلق على الأبيض أحمر إذا أرادت اللون (أما لفظ أبيض فتستعمله للدلالة على الطهر والنقاء) فقد كثرت الأحاديث في هذا المعنى .

* بعثت إلى الأحمر والأسود .
* لا فضل لأحمر على أسود ، ولا أسود على أحمر .
* فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود .
* رجل من بنى تيم الله أحمر كأنه من الموالى .

٥ – وربما أريد بالأحمر الأصفر ، وقد ورد ذلك فى لغة العرب حين أطلقوا على الذهب والزعفران الأحمر ، وقد ورد من ذلك فى الحديث النبوى .

* فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود .

* وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض .

* فألهاهن الأحمران : الذهب والحرير .

٦ – وجاءت الحمرة وصفا للريح إيحاء بما تحمل معها من دمار وخراب وعذاب :

* فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء .

٧ – كما وردت وصفا للعين وللوجه أو الوجنة علامة الغضب أو الانفعال :

* احمرت عيناه / احمر وجهه .

* كنا والله إذا احمر البأس نتّقى به .

* وأنت محمارّة وجنتاك .

* احمر وجنتاه[1] .

٣ – ألفاظ الألوان ودلالاتها النفسية في شعر بعض الشعراء

كما أن للألوان القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان ، فإن لديها القدرة على الكشف عن شخصية الإنسان . لما لكل منها من ارتباط بمفهومات معينة ولما يملكه من دلالات وإيحاءات خاصة .

وهذا بيان موجز بالدلالات النفسية لكل لون من الألوان الشائعة :

الأزرق :

القاتم منه يدل على الخمول والكسل والهدوء والراحة ، أما الفاتح فيعكس الثقة والبراءة والشباب . والأزرق العميق يدل على التميز والشعور بالمسئولية .

(١) معجم ألفاظ القرآن ، معجم ألفاظ الحديث ، فهرس الكتاب المقدس ١٤٩ ، اللغة واللون ٤٢ , ١٦٤ .

الأصفر :

مـرتبط بالتحفـز . والتهيـؤ للنشاط . وأهم خصـائصـه اللمعان والإشعـاع والإثارة الانشـراح . ولأنه أخف من الأحمر فهـو أميل إلى الإيحاء منـه إلى إثارة الانفعال .

والأصفر المخضر من أكثـر الألوان كراهية - وهو يـرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والخيانة .

الرمادى :

لون محايد خال من أى إثارة أو اتجاه نفسى .

الأحمر :

يرمـز إلى العاطفة والـرغبة البـدائية والنشاط الجنسى وكل أنـواع الشهوة . ويشير اللون الغامق منه إلى الانبساطية والنشاط والطموح ، أما الفاتح (الزهرى) فيدل على التهور وعدم النضج ، كما يدل على الحيوية والشباب .

الأخضر :

يرتبط بمعانى الـدفاع والمحافظة على النفس ، فهو إلى السلبيـة أقرب منه إلى الإيجابية . كما أنه يمثل التجديد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار .

البنفسجى :

يرتبط بحـدة الإدراك والحساسيـة النفسية وبـالمثاليـة كما يوحـى بالأسى والاستسلام .

الأبيض :

رمز الطهارة والنقاء والصدق .

الأسود :

رمز الحزن والألم والموت . كما أنـه رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم .

البنى :

يقل فيه النشاط الضاغط الموجود فى الأحمر ، ويتجه إلى أن يكون أكثر هدوءًا ، ونشاطه ليس إيجابيًا متعلقًا بالحواس .

ومن المتوقع بالنسبة للشخص الصحيح العادى أن تقع الألوان الأربعة النفسية الأساسية وهى الأزرق والأخضر والأحمر والأصفر أول القائمة فى أى اختيار أو تحليل يتم دون أن تتأخر عن المراكز الخمسة الأولى ؛ لأنها تمثل الحاجات النفسية الأساسية . فإذا لم يحدث ذلك دل على وجود خلل فسيولوجي أو سيكولوجي . ويزيد حجم الخلل بمقدار بُعد هذه الألوان عن المقدّمة[1] .

وقد وضع Lüscher قواعد كثيرة لاختيارات الألوان ، سندرس على ضوئها اختيارات الألوان في أعمال كل من :

١ – نزار قباني (من خلال أعماله الشعرية الكاملة) .

٢ – محمود حسن إسماعيل (من خلال دواوينه : قاب قوسين ، الملاح التائه ، أين المفرّ ، هدير البرزخ ، نار وأصفاد) .

٣ – نازك الملائكة (من خلال ديوانها الذي يجمع دواوينها الخمسة) .

٤ – أبو العلاء المعرّي (من خلال ديوانه سقط الزند) .

ونبدأ بإحصاء الألوان في أشعار هؤلاء الشعراء مع ترتيب ألفاظها تنازليًا ، مكتفين من الألوان بما تردد أربع مرات فأكثر :

---

(١) اللغة واللون ١٨٣ – ١٨٦ .

رتبة اللون	نزار قباني*		محمود حسن إسماعيل*		نازك الملائكة		أبو العلاء المعري*	
	لفظ اللون	مرات وروده	لفظ اللون	مرات وروده	لفظ اللون	مرات وروده	لفظ اللون	مرات وروده
الأول	الأحمر**	٧٢	الأخضر	٣٣	الأسود	٥٢	الأسود	٧٦
الثانى	الأخضر***	٦٣	الأبيض	٢٨	الأبيض	٣٤	الأبيض	٦٦
الثالث	الأزرق	٧٤	الأسود	٢٢	الأحمر	٣٣	الأحمر	٣٤
الرابع	الأسود	٤٠	الأصفر	٢٠	الأخضر	٢٤	الأخضر	١٩
الخامس	الأبيض	٣٣	الأحمر	١٩	الأزرق	١٤	الأزرق	١٧
السادس	الأصفر	٢٣	الأسمر	١٠	الأصفر	١٣	الأسمر	١١
السابع	الأسمر	١١	الأزرق	٤	الأسمر	٧	الأصفر	٧
الثامن	الرمادى	٦	-	-	الرمادى	٤	-	-

* ساعد الطلاب حبيب على وأمية صالح ونهى جميل في إحصاء الألوان عند نزار قباني ومحمود حسن إسماعيل وأبي العلاء المعري

** ضم الأحمر : الوردي والأشقر كذلك .

*** ضم الأخضر الفستقي والزيتي والحشيشي كذلك .

أول ما يلاحظ على ألفاظ نزار قباني أن اللون الأحمر يقف في مقدمة القائمة محتلاً المركز الأول فيها . واللون الأحمر حينما يقع في أول القائمة يدل على حيوية صاحبه ، واتصافه بالريادة والافتتان والجهد الخلاق . كما أنه يدل على العاطفة المشبوبة والرغبة العارمة والنشاط الجنسي وكل أنواع الشهوة[1] .

وما أظننا بحاجة إلى تأكيد هذه المعاني استقاء من شعر الشاعر ، ولكن يكفي أن نشير إلى الأمثلة التالية :

* هذا قميص أحمر كالنار لا يقاوم .
* لا تحسني بي الظن أنت صغيرة ، والليل يلهب أحمر الأطماع .
* كل الدنى في عرى هذا القميص الأحمر .
* نهداك نبعا لذة حمراء تشعل لي دمي .
* نار الهوى في حلمتيك أكولة كجهنم خمريتان .. احمرتا بلظى الدم المتهجم .

بالإضافة إلى مجيء هذا اللون في معظم حالاته وصفًا لموضوعات تتعلق بالمرأة كالقميص والثوب والرداء والوشاح والشفة والوجنة والخد والأظافر .

ويجيء الأخضر بعد الأحمر ليؤكد صفات أخرى في الشاعر وهي ثقته في قيمته الذاتية ، وتعاليه على الآخرين ، وإحساسه بالزهو عليهم ، وبالقدرة على التحكم في الأحداث أو توجيهها على الأقل . بالإضافة إلى حب السيطرة والسيادة ، والرغبة في ترك أثر قوى على الغير . كما يكشف عن تجدد الشاعر ونموه وتمتعه بحياة الشبان الأغرار نتيجة لارتباط هذا اللون بالطبيعة الخصبة.[2] ومجيء الأزرق في المرتبة الثالثة وسبقه الأحمر والأخضر يكشف عن صفتين أخريين هما :

١ – الرغبة الجامحة في الاستقلال الموجودة غالبًا بين الصغار الذين يريدون أن يستقلوا عن أسرهم .

---

(١) السابق ١٨٤ ، ١٩٢ .

(٢) السابق ١٨٥ ، ١٩١ .

٢ – الرغبة في الإثارة ، والاتجاه إلى النشاط المغامر مثل الاشتراك في سباق سيارات أو في مسابقات ضخمة .

أما توالى الأسود والأبيض والأصفر في المواقع الرابع والخامس والسادس فيدل على ما يأتى :

١ – سلوك متطرف من نوع أو آخر .

٢ – التوازن بين التفاؤل والتشاؤم عند الشاعر ، والنظرة إلى الخير والشر نظرة متعادلة .

٣ – سبق الأزرق للأسود يدل على الحاجة إلى الهدوء المطلق لتثبيت الانسجام المضطرب والتوتر العاطفي . كما أن سبق الأزرق للأصفر يدل على الحاجة إلى السلام والاندماج مع الآخرين .

٤ – تأخير الأصفر إلى الموقع السادس يدل على تبخر الآمال وشعور الشخص بالعزلة والانفصال عن الآخرين .

٥ – وقوع الأحمر في الموقع الأول مع الأصفر في الموقع السادس يدلان على ملاحقة المغامرة وخبرة التوتر وبخاصة الجنسية منها ، وسبق الأحمر يدل على وجود الواسطة للهروب من الإحساس بخيبة الأمل والانعزال .

أما مجيء الرمادى في الموقع الثامن والأخير فيدل على أن صاحبه رجل إيجابي مشارك فعال ، يتحمل دوما مسئولية ما يحيط به لدرجة قد تجعل الآخرين يشعرون به كفضولي أو متطفل .

فإذا انتقلنا إلى الشاعر محمود حسن إسماعيل نجد الصورة مختلفة حيث احتل اللون الأخضر الموقع الأول ، وهذا يعنى جملة من الصفات منها :

١ – ازدياد ثقة الشاعر في قيمته الذاتية وظهور تعاليه على من يتعامل معهم أو من هم في مستواه . فمحتواه العاطفي الزهو .

٢ – حب السيادة وفرض الرأي على الآخرين والرغبة في ترك آثار قوية عليهم .

٣ – الرغبة في اعتراف الآخرين به .

٤ – القدرة على الصمود في وجه المعارضين .

فإذا أضفنا إلى هذا إيحاءات اللون الأخضر المبهجة ، واستخدامه في التراثين الشعبي والديني في معاني الخصب والرزق والجمال ، إلى جانب ارتباطه بالنبات والشجر والزرع بيّنت لنا مجموعة أخرى من الصفات مثل الافتتان بالطبيعة ، والتجدد والنمو ، وحب الخير للغير .

ومجيء الأبيض في المركز الثاني يؤكد الصفة الأخيرة في الشاعر واتصافه بالطهارة والنقاء والصدق .

ومجيء الأسود في المحل الثالث يدل على تألم الشاعر وخوفه من المجهول والميل إلى التكتم والرهبة من الموت .

ولكن توالي اللونين الأبيض والأسود يدل على التوازن والتعادل في نفس الشاعر ، وسبق الأخضر والأبيض للأسود يعطى التعويض اللازم للسلبية أو الاستسلام النهائي الذي يوحى به اللون الأسود .

ووقوع الأصفر في الموقع الرابع لا يحمل أي مغزى لأنه يحمل مغزاه حين يتقدم إلى المواقع الأولى أو يتأخر عن الخامس .

وتأخر الأحمر إلى الموقع الخامس يدل على جملة أمور منها :

١ – البحث عن حماية من أي شيء قد يثير أو يجعل الشيء أسوأ .

٢ – تعويض الأخضر له يدل على محاولة الفرد أن يتغلب على الإرهاق العصبي والجسدي بقوة الإرادة فقط .

أما مجيء الأزرق في آخر القائمة فيدل على :

١ – الثقة غير الكافية في علاقات الشخص بالآخرين .

٢ – القلق المتزايد وبخاصة حين يقع الأزرق في الموقع الأخير . وقد يضطر هذا القلق الشخص إلى أن يغادر وطنه أو يغير وظيفته أو يهرب إلى بعض النشاط التعويضي .

٣ - تفكك العلاقات أو الرغبة في قطعها .

٤ - الانزعاج والسلوك غير المتوازن .

أما تعويض الأخضر للأزرق فيشير إلى الرغبة الجامحة في الاستقلال الموجودة غالبًا بين الصغار الذين يريدون الاستقلال عن أسرهم .

وننتقل إلى الشاعرين نازك الملائكة وأبي العلاء المعري . وقد رأينا الجمع بينهما نظرًا للتشابه الكبير أو شبه التطابق بين قائمتيهما . فقد تطابقا في الترتيب للمراكز الخمسة الأولى ، واحتل الأصفر والأسمر الموقعين السادس والسابع عندهما وإن تبادلا مراكزهما .

ووجود اللون الأسود في الموقع الأول يدل - بما يحمله من إيحاءات وإشارات - على ما يأتي :

١ - النظرة التشاؤمية إلى الحياة ، واعتبار جانب الشر فيها أكثر من جانب الخير .

وما أظننا بحاجة إلى تأكيد هذا المعنى في أبي العلاء المعري بعد ما عرف عنه من اعتزاله الناس وبخاصة بعد وفاة أبيه ، وتسميته « رهين المحبسين » وبتوصيته أن يكتب على قبره بعد وفاته :

هذا جناه أبي علي   وما جنيت على أحد

أما بالنسبة لنازك الملائكة فمن يقرأ أعمالها الشعرية يلاحظ بوضوح نزعة التشاؤم ، ويسمع رنة الحزن . وحتى في حديثها عن الريف والخضرة واجتماع الألوان لا تركز إلا على الجانب المتجهم فيه :

أ- حدثوني ما لى أراكم حزانى

كل راع في وحشة واكتئاب

كل راع جهم الملامح لا يشدو

ولا يزدهيه سحر الغاب

أنت يأيها الحزين أجبني

أي حزن في مقلتيك أراه

أي قيـــد مـن المـــرارة واليأ
س أظلتـك يـــا كئيـب يـــداه

ب - كيف يشقي من في حمى هـذه الجنـ
ـــة يحيـا وتحت هــذي السمـاء

كيف يشقـي الــراعـي وبين يــديـه
جنـــة مـن مفـــاتـن وضيـــاء

ج - لم تــزل قــربــةٌ على العشب النــا
دى عظـــام لكـــائن مقتـــول

هــو ذاك الــراعي الصغيـــر الــذي را
ح طعـــامـــا للـــذئب بين الحقــول

د - كيف مـــات الــراعي ولم تمـت الأغـ
ـنام يـا ظلم مـــا تـريـد الصــروف

كيف تفنى الأشـــواك حـارسـة الـزهـ
ـــر ويبقى الــورد الــرقيـق الضعيف

و - بعـــد حين يأتـي المســـاء كئيبـــا
ويلـف الجبـــال بـــالأحـــزان

وحين تتحدث عن الخيام لا تجد وصفًا لها سوى السواد :

ليس يدري ماذا يهز الخيام الـ ... سود من لهفـة ومـن آلام

وحتى حينما تنفعل بمنظر الثلج ، وهو منظر معجب ، يوحي البيـاض فيه بالسعـادة والبهجة نجدها تصف جانـب الخراب والتدمير ، غير آبهـة بصفائه وإشراق لونه ، بنقائه وطهارته :

أ - حينمـا تدفن الثلـوج حقول الـ ... قمح يـا رحمتـــاه بـــالفــلاح

ب - حينما تغمر الثلـوج ترى الحر ... ج وتطغى عـــواطـف الأجـــواء

ج - وإذا أذبل الجليـد زهـور اللـو ... ز ران الأسـى العميـق عليـــــه

وكذلك لا ترى في المطر إلا دموعًا تنهمر بكاء على الضياء الذاهب :

ويغيب الضـــياء في ليـــل قبر   ليس تبكى له ســوى الأمطار

فلا غرابة أن تكثر الشاعرة من استخـدام كلمات توحي بالشؤم مثل الغراب والبـوم ، وأن يغص معجمهـا الشعـري بكلمـات تـرتبط بـالظـلام والســواد مثل المكفهر (٤ مـرات) ، المساء (٥ مـرات) ، الدجى والـدياجـى (٢٦ مرة) ، الظلام (٤٠ مرة) ، الـديجور (٧ مرات) ، القتام (مـرة واحدة)[١] ومجموعها يبلغ ١١٠ مـرة ويبلغ أكثر مـن أربعة أضعـاف الكلمـات التي تدل على النـور والإشراق مثل الضياء (١١ مرة) ، الصباح (٥ مرات) ، السنا (٥ مرات) ، النهار (مرة واحـدة) ، الضوء (مرة واحدة) ، النـور (مرة واحدة) ومجمـوعها يبلغ ٢٤ مـــرة .

٢ – ويـرتبط بهذه النظـرة التشـاؤمية ، النظـرة السلبيـة للحياة على اعتبـار الأسود سلبًا للون نفسه . إنه يمثل الاستسلام النهائي والتخلي عن كل شيء .

٣ – كما أن وقوع هذا اللون في الموقع الأول يدل على عدم رضا الشخص عما يحيط به ، وشعوره بأنه لاشيء يجب أن يظل كمـا هو . إنه ثورة ضد القدر أو ضد حظه على الأقل ، ولذا يتصرف صاحبه بدون حكمة في ثورته .

٤ – ويدل هـذا اللون كـذلك على غموض صـاحبه وميلـه للتكتم . وخير دليل على وجود هذه الصفـة في الشاعرة نازك المـلائكة إلقاؤها بمـذكراتها في النار ، وتعبيرها عن شـــعورها حيال هـذا التصرف في قصيدتها المعروفة « الحياة المحترقة »[٢] .

أمـا مجيء الأبيض في المركـز الثاني (لاحظ الفجـوة الكبيرة بين الأســود والأبيض عنـد نازك المـلائكـة) فإنه يعنى سعى الشـاعـر – غير المتكـافىء – لإيجاد تـوازن في الحياة المحيطـة بـه تكفل التعـادل بين كفتى الخير والشـر ،

---

(١) أجريتُ هــذا الإحصــاء على الصفـــات المائتين الأولى من الجزء الأول من ديوانهـــا (ص ٢١ – ٢٢٠) .

(٢) المجلد الأول ٤٧٦ .

ويمثل عجز الشاعر عن قلب الميزان ، وإحلال السعادة محل الشقاوة ، والبهجة محل الانقباض[1] .

ومجيء الأحمر في الموقع الثالث (أو الثاني مكرر عند نازك إذا تجاوزنا عن الفرق الطفيف) يدل على الحيوية والقوة والخبرة والامتلاء بالحياة . إنه يرتبط بالريادة والجهد الخلاّق والتطور ، وإن كان هذا اللون عند نازك يساند معنى السواد المتشائم لكثرة ربطه بالدم والحزن والحقد والعار :

* الأفق المخضوب بفيض دمي .

* تصب الحمرة في قلق .

* الوردة الحمراء تسيل أد..ا عطشى ، وتسقى الأصابع الحزينة النغم .

* يمحو عار السنين الحمر .

* في الوردة رمز الدم المراق ولون ما نضمر من حقود .

أما الأخضر بعد هذا (وفي منطقة وسط تمامًا) فيقوم بدور الحاجز الذي تبنى خلفه الإثارات الخارجية دون تصريف ، مضاعفًا الإحساس بالزهو للتفوق الذاتي على الآخرين ، وبشيء من القوة لقدرته على التحكم في الأحداث أو توجيهها على الأقل .

ويدل الأزرق المتأخر إلى فقد الاتزان وتناقص الثقة بين الشخص والآخرين ، كما أنه يعطى بروزًا للقلق الذي يعد هنا بقدر متوسط (نظرًا لعدم تأخره في الترتيب كثيرًا) . وهذا القلق قد يضطر الشخص إلى مغادرة وطنه أو تغيير وظيفته أو الهروب إلى بعض النشاط التعويضي . والأزرق المرفوض يدل كثيرًا على تفكك العلاقات (أو على الأقل الرغبة في قطعها) ، ويسبب الانزعاج والقلق والسلوك غير المتوازن وقدرًا من الاهتياج .

القدرة على التركيز تتأثر كذلك . وإذا استمر التوتر الناشيء فربما قاد إلى اضطراب في النظام العصبي .

(١) ٢ : ٧٢ ، ٢٤١ ، ٤٥٦ ، ٥٢٢ ، ٥٦٨ .

وتأخـر الأصفر إلى المـركـز السادس (عنـد نـازك) أو السابع (عنـد أبي العلاء) يعني تبخـر الآمال وشعور الشخص بـالعزلة والانفصـال عن الآخرين . وتكون خيبة الأمل أكثر كلما تأخَّر الأصفر إلى الوراء .

وأخيرًا فإن وجود الرمادي في المركز الثـامن (عند نازك) يدل على إيجابية الشخص ومشاركتـه الفعالـة . كما يـدل على رغبته دومًـا في تحمل مسئوليـة ما يحيط به لدرجة قد تجعل الآخرين يشعرون به كفضولى أو متطفِّل .

أهم مصادر الملحق

١ - الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني .

٢ - ألف ليلة وليلة .

٣ - الألوان والناس - عمر الدقاق - مجلة العربي يناير ١٩٨٤ .

٤ - الأمثال العامية - أحمد تيمور - ط ثالثة ١٩٧٠ .

٥ - أين المفر - ديوان لمحمود حسن إسماعيل .

٦ - حدائق الأمثال العامية - فايقة حسين - ط أولى ١٩٣٩ .

٧ - ديوان سقط الزند - أبو العلاء المعري .

٨ - ديوان نازك الملائكة - دار العودة ببيروت .

٩ - فهرس الكتاب المقدس - مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - ط رابعة ١٩٦٩ .

١٠ - فيض الخاطر - أحمد أمين - الجزء الأول - ط رابعة .

١١ - قاب قوسين - ديوان لمحمود حسن إسماعيل .

١٢ - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية - أحمد أمين - القاهرة ١٩٥٣ .

١٣ - كليلة ودمنة - دار الأندلس ببيروت - ط أولى ١٩٦٣ .

١٤ - الكنايات العامية - أحمد تيمور - ط ثالثة .

١٥ - اللغة بين الفرد والمجتمع - عبد الرحمن أيوب - ط أولى بدون تاريخ .

١٦ - اللغة واللون - أحمد مختار عمر - دار البحوث العلمية ١٩٨٢ .

١٧ - المثل المقارن - ممدوح حقى - دار النجاح ببيروت .

١٨ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي .

١٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

٢٠ - الملاّح التائه - ديوان لمحمود حسن إسماعيل .

٢١ - نار وأحقاد - ديوان لمحمود حسن إسماعيل .

٢٢ - هدير البرزخ - ديوان لمحمود حسن إسماعيل .

مصادر الكتاب ومراجعه

أ ـ العربية

١ ـ إحصاء كلمات في النثر العربي الحديث

يعقوب م . لنداو ـ نيويورك ١٩٥٩ .

٢ ـ الإفصاح في فقه اللغة

حسن يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي .

٣ ـ ألف ليلة وليلة

دار التوفيق ـ بيروت ـ ١٩٨٠ .

٤ ـ التصوير الملون (الكتاب الخامس من سلسلة أسس التصوير الضوئي)

عبد الفتاح رياض ـ الأنجلو المصرية

٥ ـ تكملة المعاجم العربية

رينهارت دوزي ـ ترجمة وتعليق محمد سليم النعيمي ـ الجزء الأول ـ العراق ١٩٧٨ .

٦ ـ الحركة التوافقية البسيطة من الألوان والشعر

أحمد سعيد الدمرداش ـ مجلة الشعر ـ العدد ٥ يناير ١٩٧٧

٧ ـ ديوان الأدب

إسحاق بن إبراهيم الفارابي ـ تحقيق أحمد مختار عمر ـ القاهرة ٧٤ ـ ١٩٧٨ .

٨ ـ شذا العرف في علم الصرف .

الحملاوي

٩ ـ شرح الشافية
ابن الحاجب ـ دار الكتب العلمية بيروت .
١٠ ـ فيض الخاطر ـ (الجزء الأول)
أحمد أمين ـ ط رابعة ـ النهضة المصرية ١٩٥٨
١١ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي
١٢ ـ كتاب سيبويه
أ ـ طبعة بولاق ١٣١٧ هـ
ب ـ تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧٥ م
١٣ ـ كتاب الملمع
أبو عبد الله الحسين بن علي النمري ـ تحقيق وجيهة السطل ـ دمشق ١٩٧٦
١٤ ـ لسان العرب
ابن منظور ـ بيروت .
١٥ ـ لغة الألوان
شفيق جبري ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ابريل ١٩٦٧ .
١٦ ـ المخصص (الجزء الثاني)
ابن سيده ـ المكتب التجاري للطباعة والنشر ـ بيروت
١٧ ـ معجم الألوان
عبد العزيز بنعبد الله ـ الرباط ـ ١٣٩٨ هـ .
١٨ ـ معجم اللغة العربية الحديثة
سعيد بدوي ومارتن هيندز (مسودة تحت الطبع) .
١٩ ـ المعجم الوسيط
مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٢٠ ـ المفردات الشائعة في اللغة العربية
داود عبده ـ الرياض ـ ١٩٧٩

٢١ - من أسرار اللغة .
إبراهيم أنيس - القاهرة - رابعة ١٩٧٢ .
٢٢ - المورد
منير البعلبكي - دار العلم للملايين ١٩٦٩ - بيروت
٢٣ - نمو الطفل اللغوي وعلاقته بنموه الإدراكي
داود عبده .

ب - الإنجليزية

1. The Acquisition of Meaning of Colour Terms,
by Elsa Jaffe Bartlett
in Recent Advances in the Psychology of Language
ed. by R.N. Campbell and P.T. Smith, N.Y., 1978.

2. Adaptive Coloration in Animals,
by H.B. Cott, Second edition, London. 1957.

3. Adjectives of Color in Indian Languages,
by A.S. Gatschet
in The American Naturalist, Vol. 13, No. 8, Aug. 1879.

4. The Advanced Learner's Dictionary
by A.S. Hornby and others, London, 1963.

5. A.I.C. Color 77
ed. by F.W. Billmeyer and G. Wyszecki, Bristol, 1978.

6. The Art of Color and Design,
by M. Graves, Second edition, U.S.A., 1951.

7. The Art of Light and Color,
by T.D. Jones, New York, 1972.

8. Basic Color Terms
by B.Berlin and P. Kay, U.S.A., 1969.

9. A Basic Treatise on the Color System of Albert H. Munsell, ed., and with an introduction by Feber Birren, U.S.A., 1969.

10. A Critical and Experimental Study of Colour Preferences.
by H.J. Eysenck,
in American Journal of Psychology, No. 54, 1941.

11. A Critical Revaluation of the Color and Form Reaction,
by S. Honkavaara
in The Journal of Psychology, 45, 1958

12. Colour
by R. Steiner
John Salter ترجمه عن الالمانية
G.B., 1979.

13. Colour and Animal Behaviour
by U. Weidmann
in Colour and Life

14. Colour and Colour Terminology,
by N.B. McNeill,
in Journal of Linguistics, No. 8., 1972.

15. Colour and Life,
ed. by W.B. Broughton,
Symposia of the Institute of Biology, No. 12, London, 1964.

16. Color and the Structural Sense,
by William Charles Libby,
U.S.A., 1974.

17. Colour, its Principles and their Applications,
by F.W. Clulour
First ed., London, 1972.

18. The Color Lexica of Two American Indian Languages,
by André von Wattenwyl and Heinrich Zollinger,
in International Journal of American Linguistics, Vol. 44, 1978.

19. Colour- Music, the Art of Mobile Colour,
by A.W. Rimington,
London, 1912.
20. Color Psychology and Color Therapy,
by Faber Birren,
U.S.A., 1950.

21. Colours and what they Can Do,
by L. Cheskin,
London, 1951.

22. A Dictionary of Color
by A. Moerz and M. Rea Paul, Second ed., 1950.

23. A Dictionary of Modern Written Arabic,
by Hans Wehr,
London, 1966.

24. The Elements of Color,
by J. Itten
ed. and with a forward by Faber Birren,
Germany, 1970.
25. English Idioms,
by W. McMordie,
London, 1976.
26. An Introduction to Color,
by Ralph M. Evans,
U.S.A., 1948.

27. An Introduction to Descriptive Linguistics,
by H.A. Gleason,
G.B. 1969.

28. Lights and Pigments,
by Roy Osborne,
London, 1980.

29. A Linguistic Approach to the Cognition of Colour Vision in Man,
by H. Zollinger,
in Folia Linguistica, Vol. 9, Nos. 1-4, 1976.

30. The Lüscher Colour Test,
by Max Lüscher
Ian A. Scott ترجمه عن الألمانية
Pan Books, 1978.

31. The Measurement of Colour,
W.D. Wright,
London, 1969.

32. The Measurement of Meaning,
by C.E. Osgood and others,
U.S.A., 1957.

33. Methuen Handbook of Colour,
by A. Kornerup and J.H. Wanscher,
London, 1978.

34. Miwok Color Terms,
by Catherine A. Callaghan,
in International Journal of American Linguistics,
Vol. 45, Jan. 1979, No. 1.

35. Navaho Color Categories,
by H.J. Landar and others.
in Language, Vol. 36, No., 3, 1960.

36. On the Internal Structure of Perceptual and Semantic Categories,
by Elanor H. Rosch,
in Cognitive Development and the Acquisition of Laguage,
ed. T.E. Moore, 1973.

37. On the Significance of a Sequence in the Acquisition of Basic Colour Terms.
by Janet W.D. Dougherty,
in Recent Advances in the Psychology of Language
ed. R.N. Campbell and P.T. Smith, N.Y., 1978.

38. The Oxford English Dictionary,
Compact edition, 1971.

39. The Perception of Color,
by Ralph M. Evans,
U.S.A., 1974.

40. Principles of Color,
by F. Birren,
U.S.A., 1969.

41. The Psychology of Perception
by M.D. Vernon,
Penguin Books, Second ed., 1977.

42. Psychology and Language,
by Herbert H. Clark and V. Clark, N.Y., 1977.

43. Report on Colour Terminology,
by A Committee of Colour Group,
London, 1948.

44. Semantic Fields and Lexical Structure,
by A. Lehrer,
North-Holland, 1974.

45. Semantics,
by G. Leech,
Penguin Books, 1974.

46. Sex-Related Differences in Colour Vocabulary,
by E. Rich
in Language and Speech, Vol. 20, Part 4, October-December,
1977.

47. Sources of Color Science, selected and edited by D.L. Mac-
Adam,
U.S.A., 1970.

48. A Study in Language and Cognition,
by R.W. Brown,
in Journal of Abnormal Soc. Psychol., 1954, 49.

49. Theory and Practice of Color,
by Frans Gerritsen,
London, 1975.

50. The World of Colour, ترجمه عن الألمانية
by David Katz,
R.B. Macleod and C.W. Fox
London, 1935.

الفهارس التحليلية

١ - الألوان ومشتقاتها

٢- محددات الألوان

٣- تصنيفات الألوان

COLOUR TERMS

كتب أخرى للمؤلف

١ - تاريخ اللغة العربية فى مصر - الهيئة العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠م .
٢ - النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الإسلامى حتى بداية العصر التركى - الجامعة الليبية ١٩٧١م .
٣ - البحث اللغوى عند العرب - ست طبعات - عالم الكتب ١٩٧١ - ١٩٨٨م .
٤ - البحث اللغوى عند الهنود - دار الثقافة ببيروت ١٩٧٢م .
٥ - أسس علم اللغة - ترجمة عن الإنجليزية - طبعتان - عالم الكتب ١٩٧٣ ، ١٩٨٣م .
٦ - من قضايا اللغة والنحو - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٤م .
٧ - ديوان الأدب للفارابى - تحقيق ودراسة - مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى خمسة أجزاء ١٩٧٤ - ١٩٧٩م .
٨ - المنجد فى اللغة لكراع - تحقيق بالاشتراك - عالم الكتب بالقاهرة - طبعتان ١٩٧٦ - ١٩٨٨م .
٩ - دراسة الصوت اللغوى - ثلاث طبعات - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٧٦ - ١٩٩١م .
١٠ - العربية الصحيحة - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨١م .
١١ - علم الدلالة - دار العروبة بالكويت ١٩٨٢ ، وعالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٨م .
١٢ - معجم القراءات القرآنية - بالاشتراك - ثمانية أجزاء - جامعة الكويت - طبعة أولى ١٩٨٢ - ١٩٨٥ ، طبعة ثانية ١٩٨٨ ، طبعة ثالثة ١٩٩٦ - عالم الكتب - القاهرة .
١٣ - النحو الأساسى - بالاشتراك - ذات السلاسل بالكويت ١٩٨٤ ، ١٩٩٤ - ودار الفكر بالقاهرة ١٩٨٨م .
١٤ - المعجم العربى الأساسى - تأليف بالاشتراك - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٩م .
١٥ - أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩١م .
١٦ - تاريخ اللغة العربية فى مصر والمغرب الأدنى - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٢م .
١٧ - لغة القرآن - مؤسسة الكويت للتقدم العلمى - الكويت ١٩٩٣م .
١٨ - معاجم الأبنية فى اللغة العربية - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٥م .
١٩ - اللغة واختلاف الجنسين - عالم الكتب بالقاهرة ١٩٩٦م .
٢٠ - التدريبات اللغوية والقواعد النحوية - تأليف بالاشتراك - ذات السلاسل بالكويت ١٩٩٦م .

رقم الإيداع ١٠٠٢٠/١٩٩٦
ISBN
977-19-1651-3


مطابع
ت : ٩٣٢٧٠٦